الحرب

والذكاء والقيم الفكرية والمعنوية



العميد الركن (م)

محمد بن علي الحميدي

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

الحرب

والذكاء والقيم الفكرية والمعنوية

العميد الركن (م)

محمد بن علي الحميدي

١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ محمد علي الحميميدي، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميميدي، محمد علي

الحرب والذكاء والقيم الفكرية والمعنوية../ محمد علي الحميميدي - الرياض، ١٤٣٥هـ

..ص، ..سم

ردمك: ٣ - ٤٠٣٤ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨.

١ - الحروب ٢- الاستراتيجية العسكرية ٣- القيادة العسكرية

أ- العنوان

ديوي ٣٥٥،٤٣ ١٤٣٥/١١٦٥

رقم الإيداع: ١٤٣٥/١١٦٥

ردمك: ٣ - ٤٠٣٤ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ

المقدمة

إن دور الفكر في الحروب يأتي على قمة الاهتمامات، وليس في الإمكان إهمال أهمية ودور الفكر في الصراعات الدولية، سواءً كانت كبيرة أو محدودة، وهذا لا يفسر أننا نعطي العوامل الفكرية أفضلية مطلقة في الحروب أو في الصراع، وهي غير جديرة بها. ولكن يجب أن لا نهمل دور العوامل الأخرى، كالعوامل المادية أو المعنوية للنصر. ولكن الحقيقة التي أثبتتها التجربة، أن هناك ثالوثاً يسيطر على ميدان القتال والمعركة أيضاً، وهذا لا يخفى على أحد وهو: الذكاء ـ الشجاعة ـ السلاح. والحقيقة أن الحضارة أطلقت العنان للأهواء، واكتشفت قوى مادية أصبحت غير قادرة على السيطرة عليها، ولكن رغم ذلك لا يخلو الوقت الراهن من العقول المتحمسة وجاهزة للتضحية، ولكنها وللأسف تتبعثر نتيجة لما يقابلها من العقبات، لذلك تتوه خلال أشكال الحياة المختلفة وعلى الطرق الملتوية، وفي نفس الوقت هناك آلات رهيبة وتنظيمات معقدة التي خلقناها لهم كخدم مثقفون ومندفعون يجيدون إدارتها، ويتقنون تشغيلها لتحقيق مهام وإنجازات مباشرة، وهؤلاء قادرون على رسم اتجاهات بعيدة يسيرون عليها، وتعيين مهام متلاقية ومثمرة يحتفظون بها على الطريقة ذاتها. والحقيقة إن الإنسانية اليوم تسير بخطوات ثابتة غير معروفة من قبل إلى المستقبل المجهول والمقلق. لذلك فهي في أمس الحاجة إلى رجال وقادة يحملون داخلهم أرواح جسورة أبية وعقول تفكر بعمق لكي يتمكنوا من إستعمال الوسائل الحديثة وقيادتها وتوجهها إلى أهداف معقولة.

يرى (ليدل هارت) أحد المقيمين العسكريين البارزين أن أحسن أشكال العمل وأضمنها، هي الأعمال التي يسهل إدراكها وتصورها، وتؤكد الحقيقة أن أفضل الأنشطة فاعلية وتدفع إلى النجاح على المدى البعيد، هو عمل المرء الواضح الذي لا يقول إلاَّ الحقيقة بدون رتوش أو دوران، أو تعقيد أو تحفظات. ويطلق على هذا الرجل رجل صالح. إلى جانب ذلك يضيف (ليدل هارت) قائلاً: (مما لا ريب فيه أن عمل النبي يتعلق بعمل القائد" وفي هذه الحالة على القائد أن يكون إستراتيجياً

وفيلسوفاً في الوقت نفسه، وهذا يفسر للمسؤول أن يثبت إهتمامه بتجسيد ما أعتبره النبي حقيقة وأن يطابقه مع الظروف، ويتقبل الشر الذي لا مناص منه. ولكن على حكمة القائد أن لا تضحي بالحقيقة على مذبح تسيير الأمور دون فائدة مجدية للمصلحة العامة. ومن الأفضل كما يضيف "ليدل هارت" أن يرحم القائد كما رحم الأنبياء، لأن كل من إعتاد على إخفاء الحقيقة لغرض تسهيل العمل الفورى، إنتهى إلى فقدان قوة تفكره وسلامته). وفي الواقع أن "ليدل هارت" كان صادقاً وقوياً إنه يقول علانية ما نقوله جميعاً بدون إستثناء بصوت واطي. ولا شك أن العلم والتقنية والسياسة والإستراتيجية، ما هي إلى وسائل لتقريب الإنسان إلى هدفه النهائي المتمثل في تحقيق الحقيقة وبالأخير الإستمتاع بالسعادة. وهو ما كان يسمى عند الأقدمون الحكمة. ولا شك أن التميز كان قائماً منذ القدم بين العلم والحكمة، والسمو رغم الآلام والهدوء ورباطة الجأش في حالات الفشل. ويقف الفن بين العلم والحكمة، وهو خليط من العلم والحكمة، لأنه للمارسة المستندة إلى المعرفة. وفي الواقع أن فن الحرب تقنية تسعى إلى الخير رغم آلامها الجارحة بسبب الموت للآلاف، لأن الهدف السامي للحرب هو العمل على إنقاذ السعوب من العبودية والإستغلال. ولقد كانت الهزائم في الماضي تعني إستعباد شعب كامل، وإستغلال جميع موارده. ويصبح في التالي آلة حية وعبداً لصالح المنتصر. لأن الماضي خالي من الآلات الميكانيكية. ولا شك أن هذا المفهوم لم يتغير تغيراً أساسياً لأن الهزيمة ما زالت تمثل سلب موارد البلد المغلوب وخيراته، فكان شعار الشعوب تمجيد المنتصرين والغالبون في الحروب.

وتشمل الحروب غالباً الجزء الأكبر من الترتيبات والمناورات والحسابات قبل العمل واثناء العمل نفسه، والحقيقة أننا لا نمجد المنتصر لإنتصاره وليس لشجاعته فحسب، ولكننا نشيد بقدرته العالية على الحيل والذكاء الذي يتمتع بهما، وهذا طبعاً تمجيداً لفنه المزدوج في الكسب والإقناع واجتياز المواقف المتقلبة. ولا شك أن طريق القائد لتحقيق أهدافه وإنجاز مهمته. لا بد له أن يتصف بالقدرة

على التأمل والتفكير السليم والخيال الواسع، بغض النظر أن ننظر إلى عمله بأنه عمل غريزي وأغلب صفات القادة العسكريين خلال التاريخ العسكري يتمثل في قدرتهم الأساسية على تكوين الفكرة لتوجيه عملهم.

ولا شك بصحة المقولة التي تنص على أن بداية وظيفة الفكر تزداد خلال إستعمال العنف، ولا شك بأن هناك إهتمام واسع حول هذا المجال، ولمعرفة ما يدور حولنا، فعلينا التحري بدقة عما يحدث حولنا، متجاوزين إختصاصات الحرب والسياسة والقانون والأخلاق، وعلينا محاولة رؤية الفكر الذي يشكل أساس العلاقات الداخلية لتلك الأشكال المختلفة للعمل، على أن ننظر إلى جميع الأشياء نظرة واسعة وشاملة واحدة وبسيطة.

وفي الحقيقة أننا أمام تماثلاً وتطابقاً بين الأسطورة والحقيقة، بمعنى أننا نرى حالة حديثة للحرب هي إستراتيجية من نموذج نفسي يمثل تأثراً على اللاشعور البشري بالأساطير، بينما يظهر لنا من جهة ثانية حالة مستحدثة للسلاح، يعتمد بشكل أساسي على قوى تركيب المادة وتجزئتها. وهو بالتأكيد سلاح تميز بالإختلاف الكامل عمَّا كنَّا نسميه سلاحاً، منذ ظهر حجر الوس والحديد والنار وهذه المطابقة ذات الأهمية الغير متوقعة، وهذا هو حدث العصر.

❁❁❁

الباب الأول

الذكاء والحرب

لا تتمكن القيادة العسكرية من تحقيق النصر،

إلا إذا زودتها الأمة برجال يريدون الإنتصار

الذكاء والعاطفة

إن الإنسان هو مدبر الحرب، وهو في نفس الوقت وقودها، وأداتها الأولى، والحرب بكلمة جامعة تستخدم جميع القوى بأنواعها الفكرية والمادية والعطافية الكافية داخل الإنسان. ولكن القدرة البدنية التي يبذلها المقاتل أثناء الصراع، والتي تستمر بالزيادة نتيجة قوة الأسلحة، ويزيدها كذلك إنضمام زيادة الأفراد الملحقين بالقتال تحت نفس القيادة وحسب توجيهات القائد، إن هذه القوة خسرت الكثير من مكانتها السابقة، وأصبحت عاملاً ثانوياً إضافية خلال الحرب الحديثة رغم أهميتها وضروريتها.

والحقيقة أن ما يتمتع به الإنسان من القوى العقلية هي المحرك الفعلي، فمن هذه القوى العقلية تنبثق الإدارة ووسائل وطرق القتال وتنظيمه وشكله. وهذا ليس بغريب لأنها قمة قوة العالم، فهذه القوى العقلية للإنسان هي التي بدلت سطح الأرض وخلقت الحضارات وقوضتها. ولقد تشكلت النشاطات العقلية الواعية للإنسان من زمان مضى قبل وقت طويل أو بعيد بحيث تمثلت على هيئة نشاطات فكرية ومعنوية وجمالية ودينية واجتماعية. وسنناقش قبل كل شيء الذكاء لأنه على رأس القائمة، ونحدد ونعين مميزاته بشكل واضح بالنسبة لبقية الأنشطة الإنسانية الأخرى حيث أنها تتميز بقسم كبير من العاطفة وبكلمة سنتبع التقليد القديم الذي دفع كل العسكريين تقريباً في جميع الأوقات والأزمان أجمعوا على الإهتمام بدور الذكاء والقوى المعنوية في الصراعات العسكرية أو المسلحة. وهذا لا يفسر أننا نفرق بين الأنشطة العقلية أو نفرق بعضها على بعض بصورة جذرية، كما أننا نعترف بتأثيراتها المتبادلة بل نقر ذلك، ولكننا نود توضيح أن عمل الذكاء الأول لتمييز وتوضيح الأمور، ويصبح هذا العمل بغاية الأهمية عندما يدرس الذكاء نفسه الذاتية.

ولو أردنا تعريف الذكاء لوجدناه هو القدرة على إدراك العلاقات بين الأشياء والإنسان والأحداث وهو موجود عند جميع البشر بدرجات متفاوتة وأشكال مختلفة ويتميز الذكاء بأنه يختلف عن الوظائف العضوية بحيث أنه لا يتعلق بالتكتيك أو الفيزياء أو الكيمياء ولا يحتاج لأية قدرة، ولا يدفع إلى أية نشاط فيزيولوجي، ولا يخضع للقياس بشكل دقيق. ولكي تعرف بعض الصفات المعينة فاتبع طريقتين مختلفتين هما:

١. الدراسة الذاتية المستندة على قياس نوعي لما يحصل في داخلنا.
٢. دراسة تصرفات الإنسان عند الآخرين.

والدراسة التي تعطينا بعض المعطيات الكمية، علماً أن إحتمال الخطأ وارد، عندما نعتمد على نتائج قياس ناتجة عن تجارب مسبقة الإعداد بشكل مخطط ودقيق (كالإختبارات النفسية) التي تصنف الأفراد إلى مجموعات، وتعيين المناسبين لبعض الأعمال السهلة، وتقدير إمكانات الشباب. والواقع يجعل من المستحيل تمييز صفات الفرد الوراثية عن صفاته المكتسبة. لقد أظهرت الإختبارات بشكل مطلق أن أكثر الناس قدرة التفكير لديهم ضعيفة، بمعنى أنها أدت حقيقة أثبتتها تجاب آلافِ السنين. أن أغلب الناس لا يتمتعون بالذكاء، ولكن هناك فئة قليلة تتمتع بقيمة فكرية جيدة، إلى جانب ذلك هناك عدد قليل جداً ومحدود جداً من المتفوقين، علماً أنه ليس هناك من تعدى حدود البشر حتى الآن. وقد أجريت أول تجربة واسعة النطاق، خلال تكوين الجيش الأمريكي الهائل خلال الحرب العالمية الثانية. ولقد أجريت هذه التجربة على خمسة عشر مليون فرد، فمن الممكن إعتبار نتائج هذه التجربة مقنعة إلى حد ما. وكان أساس هذه التجربة، العمر العقلي الذي يمنح تقسيمه على العمر الزمني نسبة ممكنة عن طريقها يتم تصنيف الأفراد، ولقد أوضحت هذه التجارب النتائج التالية: أثبتت أن ٣٤.٨٥٪ من الرجال عمرهم العقلي أكبر من عمرهم الزمني، كما كانت الدرجة العقلية لـ ٣٤٪ من الرجال ما بين ١٠٥ .و ٩٦، وهذا يعني أن عمرهم العقلي

مساوي لعمرهم الزمني، إلى جانب ذلك كان ٣١.٢٣٪ يتمتعون بعمر عقلي أصغر من عمرهم الزمني حيث كان عمرهم العقلي يتراوح بين ١١ ـ ١٣٪ عاماً.
وفي الواقع أنه أظهرت تجارب ثانية أن النسبة بين العمر العقلي والعمر الزمني لفرد ما تستمر طيلة حياته ثابتة، بمعنى أن تصنيف الإنسان بين أقرانه يكاد لا يتبدل، علماً أن الوظائف الفكرية تزداد تعقيداً مع تقدم السن، وغالباً ما يتم النضوج العقلي في سن ١٦ عام.
والذكاء يحتاج لنموه وظهوره دائماً إلى التدريب المستمر والتمارين، وتوافر شروط البيئة التي لم تحدد جيداً بعد. إن المراقبة الدقيقة والواسعة والعميقة للأمور، والتعود على التفكير العميق، ودراسة المنطق، وإستعمال التعابير الحسابية، والإنضباط الداخلي، جميع هذه الأشياء تعود إلى زيادة القدرة الفكرية.
ولكن من جهة ثانية فإن الملاحظة السريعة الناقصة، وسرعة الإنتقال من إحساس إلى آخر، وكثرة التصور، وعدم وجود القاعدة والجهد، فهذه الأشياء جميعها تعد من تطور الفكر. وبالإمكان إيجاز كل ذلك في أن التركيز يفيد الذكاء والتبعثر يؤذيه. وإستطاعة الملاحظة والتجربة المبرمجتان بدقة إلى جانب المحاكمة التحليلية المركبة، أن تعطي الإنسانية بواسطة العلم القدرة على الطمأنينة التي كانت تفقدها في الأزمان الغابرة إلاَّ عن طريق الإيمان. ولكن الذكاء بمفرده غير كافي للإنسانية للتطور على طريق المعرفة، ولكن يحتاج ذلك إلى عمل العلماء المبدعين والقادة مع وجود قدرة غريبة، هي خليط من الإلهام والتخيل الخلاق والإيحاء، قادرة على ملاحظة العلاقات بين الظواهر المنعزلة والمتغيرة، وبالتالي تبين الحقيقة بدون الحاجة إلى التفكير، أو بتفكير سريع للملاحظات الآنية، ومن المحتمل أن يعتبر ذلك نوعاً من الإنسجام الوثيق مع الواقع.
إن القائد الحقيقي ليس بحاجة إلى الإختبارات النفسية وليس بحاجة لوسائل أخرى ليستطيع إختيار مرؤوسيه. وقد مرَّ على التاريخ العسكري بعض القادة العظام الذين كانوا لديهم إلهاماً قوياً، يستشعرون به ناشطاً في أعماقهم. ولقد كان

يقول نابليون: (يتوقف مصير المعركة على لحظة أو فكرة .. وما أن تلمع الشرارة المعنوية حتى تنفذ العمل أصغر قوة إحتياطية). ويتمتع الأشخاص المتفوقين بنوعين من الأفكار: أحدهما يتمثل بأفكار منطقية وأخرى تلقائية ملهمة، والذي يجمع بين النوعين أنه ليس لديهما أفكار مجردة من الإلهام. واتحاد هذه النوعين ضروري، لأن التفكير يعتبر الولاعة في الوقت الذي يراقب الإلهام أدائها، ويضع إكتشافاتها موضع العمل وبذلك نبرهن بالمنطق ونخترع بالألهام. وقد تنتج هذه الميزة الغير مألوفة من المراقبة وحب كشف الحقيقة والمحاكمة والإرادة، من الواقع الفيزيولوجي الذي أصبح يحظى بالقبول لدى أكثر علماء وظائف الأعضاء، والتي تنص على أننا لا نفكر بعقولنا فحسب ولكن بكل أعضاءنا، وأن نشاطنا الفكري الذي يظهر أنه واضحاً، غارق في الواقع وسط كثيراً من حالات وعينا الأخرى، المتميزة بالعاطفية بدرجات مختلفة.

وعندما نشرع بدراسة الذكاء، نبعده في العادة عن جميع أجزائه الذاتية، متناسين أن المفكر تحت ضغط حالات السعادة والتعاسة، ومن الممكن أن يكون هادئاً أو متنفرز، ولا شك أنه يكون متأثراً بشهواته ونفوره ورغباته، أو قد يكون غير متأثر. الحقيقة التي لابد من أخذها بالحسبان أن الحب والكراهية والخوف والغضب جميعها لها الإستطاعة على تشويش المنطق، وقد تبين ذلك من التجربة الجماعية. ويحتاج بيان هذه الأهواء مبادلات فيزيائية داخل جسم الإنسان. وعن طريق ذلك تقدم العلاقة بين العمل الفكري والوظائف العضوية عن طريق الواسطة بالرغم أن الفكري ليس بحاجة لأية وظيفة من هذه الوظائف.

❁❁❁

الفصل الثاني

عناصر القوة القتالية

إن القوة القتالية تعتمد على
الأسس الذهنية والفكرية والتنظيمية

عناصر القوة القتالية

في الواقع أننا لا نستطيع أن نطلق صفة الإمتياز العسكري على قوات عسكرية بدون إنتصارات تثبت ذلك. والحقيقة ونتيجة لتجارب التاريخ العسكري لا يمكن مطلقاً أن نجعل الإنتصارات هي المقياس الوحيد لتحديد الإمتياز العسكري. فلا يُستبعد أن يتغلب جيش كبير على آخر أصغر منه. وكذلك يمكن أيضاً أن يوجد قوة متفوقة نوعياً أن تفشل أمام مواجهة موازين سياسية وإقتصادية صعبة أو مستحيلة، حتى في حالة إذا فرضنا أنها لم ترتكب أخطاء تؤدي بها إلى ذلك. وإنطلاقاً من ذلك ينبغي أخذ الصفات الذاتية في الحسبان، وليس النتيجة فقط، عند محاولة وضع المعيار للإمتياز العسكري. وفي حالة إغفال ما سبق ذكره فمن الصعب الإبقاء على الفكرة النوعية بحد ذاتها.

ولو أردنا تحديد قيمة أي قوات كأداة عسكرية، ضمن حدود حجمها، إلى جانب نوعية وكمية معداتها مضاعفة، والذي سنطلق عليه القوة القتالية. علماً أن القوة القتالية تعتمد على الأسس الذهنية والفكرية والتنظيمية. وتشكل مظهرها بالمزج والإنضباط والتماسك والمعنويات والمبادأة والشجاعة والصلابة والإستعداد للقتال حتى الموت إذا لزم الأمر. وبشيء من الاختصار يمكننا وصف القوة القتالية بأنها جميع الصفات الذهنية التي تدفع القوات إلى القتال وبذلك يمكن تعريف القوة القتالية بأنها ذلك الجزء من التركيب الذهني للجندي الذي لا يتغير مع مرور الزمن.

وغالباً ما تتغير أسلحة وأساليب الحرب وتكتيكاتها، ولكن طبيعة القوة القتالية تبقى بدون تغيير لسماتها منذ عهد قديم، علماً أن النسبة بين الصفات المنفردة المذكورة تتغير بين حين وآخر. إن أي قوات تفتقر إلى ذلك لا تتعدى كونها أداة قابلة للكسر، ولو دققنا أكثر لوجدنا أن المعدات الجيدة تمنح القدرة إلى حد ما للتعويض عن نواقص القوة القتالية والعكس بالعكس. فالتاريخ مليء بما في ذلك

التاريخ الحديث، بالأمثلة لقوات إنكسرت وذابت خلال الصدمة الأولى، لأنها تفتقد للقوة القتالية بالرغم من مظهرها الجذاب والحسن التجهيز ظاهرياً.
ولو حاولنا معرفة سر القوة القتالية، لقد حاول الكثير بحث ذلك خلال الأزمنة المتعاقبة لمعرفة ذلك السر. والأغلبية رجح بأن سر القوة القومية يكمن أو يعود إلى دور الشخصية القومية، إلى جانب العلاقة القائمة بين القوات المسلحة والمجتمع، إضافة إلى التأثير اللامحدود للمعتقدات الدينية والعقائدية، وكذلك تجانس المجموعات الرئيسية، من بين العوامل الأخرى. ومن السهل جداً تصور الحالة الذهنية للقوات المقاتلة المثالية. وبناء على ذلك ينبغي أن تتكون مثل هذه القوة من رجال خُلقوا مقاتلين يمنحهم مجتمعهم اعتبار عالي وتدريب وإنضباط وقيادة على مستوى عالي من الكفاءة والخيال والتفكير السليم المقترن في بعد النظر. ونضيف على تعريف القوة القتالية السابقة بأنها ذلك الجزء من التركيب الذهني للجندي الذي لا يتغير مع مرور الزمن.. إتصفت مجموعات محدودة بنزعة حربية أكثر من غيرها، كما إتضح ذلك عن طريق نظرة بسيطة إلى التاريخ. وفي الحقيقة أن محاولة ربط هذه الصفات بعوامل ثانية كالجغرافيا والمناخ والحياة الإجتماعية والكبت وغيرها، لم تجد نجاحاً حقيقياً حتى الآن. والذي يزيد المشكلة تعقيداً كون كل مجموعة قومية تحوي أنواع عديدة من الرجال، ولأن متطلبات خوض الحروب يتطلب صفات مختلفة وعديدة وأحياناً متعارضة. وعند الحديث عن الجنود الحديثين بوصفهم هواة حرب بنفس الأسلوب والقصد عن مناقشة مجموعات أكثر بدائية، هو تعليق بعيداً عن الصواب والصحة ومضلل كذلك لأن الحرب الحديثة تتطلب الأدمغة إلى جانب العضلات. وبالرغم من وفرة القتلة البسيطين، غير كافية ولكنها ضرورية ولا يمكن الإكتفاء بذلك، لأن هناك عامل تعقيد آخر يتمثل بأن حقيقة الصفات القتالية لشعب من الشعوب من المحتمل أن تتغير وبسرعة فائقة أحياناً.
والمكانة الإجتماعية للقوات المسلحة تتصف بالمكانة العالية ضمن المجتمع

لأهمية الكثير من الأسباب. ولا شك أن ذلك يساهم غالباً برفع معنويات القوات المسلحة. وتعمل أيضاً على المساعدة بتوجيه القوة البشرية عالية الكفاءة والانضباط بها. وقد تستفيد القوات المسلحة لتحقيق حصة أكبر من الميزانية القومية.

العقيدة وصور الحرب:

تعتبر الحرب فن من الفنون، وهي نشاط خلاق متحرر يرتكز على الركائز العلمية، ويحتاج إلى أقصى إمداد من شخصية الرجل الكاملة. علماً أن في الحرب يتطور من خلال حالات مستمرة. فتجعل منه الأسلحة الجديدة قادراً على إتخاذ أشكالاً متغيرة بإستمرار، وينبغي التنبوء بظهور الأسلحة الجديدة مسبقاً مع تقدير فعاليتها وتأثيرها، وينبغي بعد ذلك ضمها إلى الخدمة العسكرية سريعاً.

إن الأوضاع والحالات الناتجة عن الحرب سريعة التنوع غالباً ما تتغير قبل وقوعها، لذلك غالباً ما يصعب التنبوء بها باكراً، وغالباً ما تشكل العوامل الغير قابلة للقياس هي التي تحدد العوامل ذات الأهمية العالية.

وتتضاد إرادة الإنسان مع الإرادة المستقلة للعدو، مما يزيد الإحتكاك والأخطاء بشكل يومي، ومن الصعب بيان فن الحرب وشرحه على شكل أحكام وقوانين، عند ذلك لا يفيد ذلك إلى كخطوط عريضة يجب تطبيقها حسب الظروف الراهنة. والواقع أثبت أن الإستمرار في العمل والبساطة أفضل الطرق لتحقيق النتائج. ويبقى دور الفرد مهماً وحاسماً بالرغم من تطور التكنولوجيا، ولا شك أن حالة البعثرة التي تتصف بها الحرب الحديثة زادت من أهمية الفرد. إن فراغ ساحة المعركة يتطلب مقاتلين يفكرون ويعملون بإستقلالية ليستفيدوا من جميع الأوضاع بأسلوب مدروس يتصف بالإصرار والجرأة، وينبغي أن لا يغيب عن فكر الجميع أن النتيجة الفعلية هي الأهم وهي المطلوبة.

ويستطيع المرء التغلب على الصعاب والأوضاع ذات الصعوبة الزائدة على الإحتمال بواسطة الاعتياد على بذل الجهد البدني والقساوة ضد الذات والتمتع

بإرادة قوية إضافة إلى الثقة بالنفس والشجاعة. والحقيقة أن صفة القائد ونوعيته ورجاله هم من يحدد القوة القتالية للوحدة، والتي ينبغي مساندتها ودعمها بالإمداد والصيانة من الكفاءات العالية وجيدة التدريب يشكلون الأساس الصلب لإحراز النصر. ويطلب من أصغر جندي فأعلى دفع جميع القدرات الروحية والفكرية والبدنية مستقبلاً. فليس من الممكن تركيز القوة الكلية للجنود خلال الصراع أيضاً. وبذلك تكمن القدرة لتطوير جنود يتصفون بالشجاعة وحسن الأوضاع الخطرة ويؤثرن على الآخرين لمشاركتهم لتحقيق الإنجازات الحاسمة والشجاعة. وبالتالي يصبح العمل الحاسم الشرط المسبِق للنجاح في القتال، وينبغي أن يعرف الجميع ذلك بدون أي إلتباس من أعلى رتبة إلى أصغر رتبة الحقيقة التي لا تقبل الجدل، إن قلة النشاط وضياع الفرص تعتبرات الأسوأ مقارنة بالأخطاء خلال إختيار الوسائل.

بعد تأكيد ما ذكر سابقاً تتابع الأحكام في تعديد بعض الطرق بإتجاه النصر. لا يمكن أن يكون الفرد أقوى من اللازم عند النقطة الحاسمة. وكل من يشتت قواه أو يوجهها إلى مهام ثانوية يرتكب خطأً لا يغتفر، إذا قام بذلك عكس هذا القانون ويستطيع الأضعف أن ينتصر على الأقوى خلال النقطة الحاسمة إذا إستطاع إستخدام السرعة والحركة والمسيرات الطويلة والليل والتضاريس، بالتالي إستطاع تحقيق المفاجأة والخداع. ينبغي العمل الجاد على إستخدام المكان والزمان إستخداماً صحيحاً، كما ينبغي إدراك الأوضاع المتوفرة بأقصى سرعة وإستغلالها بإصرار. فكسب أية ميزة على العدو وتعزز حرية العمل الذاتي، وتتمثل الوسيلة الحيوية الأكثر أهمية تحقيق نجاح المفاجأة. والحقيقة أن الأعمال المبنية على المفاجأة بنتائج مرضية لا تحقق الهدف إلاّ في حالة حرمان العدو من الوقت اللازم لإتخاذ تدابير مضادة وفعالة. علماً أن العدو سيعمل جاهداً لتحقيق المفاجأة كذلك فينبغي أن لا يغيب ذلك عن الحسبان.

طبيعة القتال:

في الحقيقة أن العقائد الرئيسية للعمليات القتالية ليست كثيرة وسهلة في نفس الوقت، ولكن الصعوبة تكمن في تطبيقها أحياناً بشكل صحيح. والمعرفة التامة لهذه العقائد والمعرفة الكافية لأساسيات تطبيقها، تمنح جميع القادة بأساس ثابت لتنفيذ المهام تحت جميع الظروف. ومعرفة القادة وخبرتهم تعطيهم القدرة والإمكانية لإستخدام التنظيم المرن الذي يعطي قواته الإلتحام الجيد الذي يناسب تحقيق المهمة ضمن وحدات المهمات.

إن من إحدى وظائف القيادة تنسيق تكتيكات وطرق الأسلحة والصنوف المختلفة للتمكن من تطوير تعاون الفريق الضروري للنجاح، بالإشتراك مع القوات المكلفة لتنفيذ مهمة معينة.

إن الفرد هو أداة الحرب الرئيسية، في حين أنه من المحتمل أن تتبدل الأدوات والآلات والسلحة الأخرى، يبقى الفرد بدون تغيير. وقد يظهر كثير من الأخطاء الفظيعة في تخطيط العمليات والقيادة، في حالة إهمال معرفة وفهم السلوك والمواصفات المبدئية للأفراد. ينبغي أن نضع في إعتبارنا بشكل جاد في حالة تدريب الجندي كفرد، تحقيق إندماج الأفراد ضمن المجموعة، وتكريس مقياس رفيع للتصرف والأداء العسكريين في تلك المجموعة والعمل على تلاحم الجميع، ولكن دون تحطيم مبادرة الفرد. وتشكل الحرب إمتحاناً قاسياً تضغط على الإستطاعة الجسدية والقساوة المعنوية للجندي الفردي. ولكن عليه أن يتمتع بالإمتيازات البدنية لمنحه القوة الكافية ليتحمل مشقة العمل في الميدان، وكذلك يقوى بشكل مستمر عن طريق الإنضباط المرتكز على المثل العلياء للتصرف العسكري وتبقى قيمة الرجل الفردي حاسمة، رغم التقدم الهائل في التكنولوجيا. كما أنها تعطي وتزيد أهمية خاصة لشكل القتال المفتوح. لذلك ينبغي إشباع الفرد بكل أنواع التدريب الممكنة ليستطيع إستغلال أية وضع ينشأة بجرأة صادقة، وينبغي إقناعه أن النجاح يعتمد على مبادرته ونشاطه. وبالتالي التعاون الجاد مع

زملائه، وتنحصر القيمة القتالية لوحدة من الوحدات إلى أقصى حد بالصفات العسكرية لقادتها وأعضائها ورغبتها لخوض القتال، ولا تخفى العلامات الخارجية للقيم القتالية على وضعية الرجال ومظهرهم إلى جانب المعدات والجاهزية للعمل بالنسبة للوحدة. ولا شك أن القيمة القتالية ستلغي الدونية العددية. ونواة النجاح في المعركة تتمثل في القيادة المتفوقة، إضافة إلى القيمة القتالية المتفوقة للأفراد، وتلك جميعها تمثل أساسياً موثوقاً للنجاح والنصر في المعركة. ويتطلب المطلب الأول في الصراع العمل الحاسم. ويشجع القادة الثقة عند مرؤوسيهم عن طريق التصرفات الحاسمة وقدرتهم على كسب الغلبة المادية على العدو.

عقائد القتال:

تمثل الغاية النهائية لكل العمليات العسكرية تحقيق تدمير العدو خلال المعارك. وغالباً ما تشكل الخطط الجيدة والطرق البسيطة والمباشرة التي يتم بها التنفيذ السريع جداً والدقيق في التنفيذ هي العامل الحاسم في تحقيق النجاح.

يقوم القائد بمبادرته مستخدماً العمل الهجومي الضاغط، مع الاحتفاظ على حرية نشاطه، ويعمل ما بوسعه لفرض إرادته على العدو. ومن المحتمل أحياناً أن يتبنى القائد موقف دفاعي كتدبير مؤقت لحين ظهور فرصة مناسبة للعمل الهجومي المضاد، وأيضاً من المحتمل أن يقتصد بالقوة على جهة ما، لا يبحث فيها عن حسم. علماً أن اختيار القائد للزمان والمكان المناسبين للهجوم عامل نجاح للعملية. وفي الواقع أن الدونية العددية تُلزم القائد أن يتخذ وضعاً دفاعياً. فيمكن كسب العدو المتفوق بالحركة والتسليح والتجهيز والنيران والمناورات الناجحة الفعالة والمعنويات والقيادة الواعية المتفوقة فكرياً. وغالباً ما تتيح القيادة المتفوقة لقوة صغيرة عدداً، أن تجعلها هي الأقوى عن نقطة العمل الحاسم.

إن أهم عمل يفكر فيها أية قيادة الطامحة لكسب الصراع هو البحث عن الظروف المناسبة المتعلقة بتركيز القوات المتفوقة وعالية الفعالية، سواءً كانت هذه القوات

برية أو جوية أو بحرية في حالة قرب مسرح العمليات من السواحل، المكان والزمان الحاسمين، على أن يكون إستخدام القوات بالإتجاه الحاسم. وينبغي الإهتمام بقدر كافي في حالة مثل هذا التركيز أن لا تهمل القيادة الإقتصاد الصارم في قوات الوحدات المخصصة للمهام الثانوية. وليس من الصواب أو تبرير فرز الوحدات خلال القتال إلاّ في حالة واحدة وهي في حالة مساهمة تنفيذ المهام الموكلة إليها مباشرة في دفع القوات إلى نجاح المعركة الرئيسية. وينبغي العمل بكل الوسائل الممكنة لتحقيق المفاجأة أثناء القتال، والسعي وراء ذلك، من قبل كل درجات القيادة ومستوياتها. علماً أنه هناك وسائل كثيرة لتحقيق المفاجأة، فيمكن تأمينها عن طريق النيران أو بواسطة الحركة. وأكثر الوسائل التي تحقق المفاجأة تتمثل في التدابير الصارمة التي تحجب المعلومات عن العدو أو أن تصل إليه معلومات مغلوطة تعمل على خداعه فعلياً، فيما يتعلق بأوضاعنا وتحركاتنا وخططنا ومعنويات قواتنا وأسلحتها. كما أنه غالباً ما يكون للتضاريس التي تظهر وكأنها تشكل عائقاً وصعوبات على تحركاتنا وقواتنا وتنفيذ عملياتنا، وبكلمة عامة يمكن تأمين المفاجأة عن طريق التنوع في الوسائل والأساليب المستخدمة في القتال مع سرعة التنفيذ. كما يجب أن لا يشغلنا البحث عن مفاجأة العدو، إعطاء العدو الفرصة لمفاجأتنا.

ومن متطلبات الوقاية والحماية من مفاجأة العدو، إجراء التقدير الصحيح والدقيق لإمكانات العدو البرية والجوية، وعمل الإجراءات الأمنية الكافية، وزيادة نشاط الإستخبارات والإستطلاع الفعلي والجدي سواء كان برياً أو جوياً، الجاهزية الفعالة للوحدات للقيام بأية عمل مفاجئ، تزيد كل وحدة الإحتياطات اللازمة لما يتعلق بأمنها المحلي البري والجوي. وعلى القائد ضمان أمن الأجناب والمؤخرة ويعطيها أهمية خاصة.

مبادئ القيادة:

لا أعتقد أن هناك حاجة أو مطلب لبيان أهمية نظام القيادة العام، الذي يستطيع القيام بالتوزيع الصحيح للسلطة والمسئولية بين مختلف مستويات البنية التسلسلية العسكرية.

لأن ذلك شيئاً بديهي، لأنه يستحيل على أية تنظيم بشري بغض النظر عن التنظيم العسكري خاصة، العمل من خلال بيئة مليئة بالفوضى والإرباك. أن يقدم بعمله أو حتى يبقى على قيد الحياة بدون توفير توازن سليم وصحيح بين المركزية واللامركزية، وبين الانضباط والمبادرة وبين السلطة والمسؤولية الفردية.

ولا شك أن ما ذكر سابقاً فيما يتعلق بالحرب في أية وقت، ولكن لا بد من ذكر بعض الكليمات الإضافية فيما يتعلق في شخصية الحرب الحديثة، فتختار الحديثة من ناحية القيادة، بالسرعة والتعاون الوثيق بين جميع صنوف القتال، إلى جانب الجنود المتخصصين. ويفسر ذلك في حالة تعادل العوامل الأخرى، عند ذلك أية نظام قيادي يسمح للمستوى الأدنى بالمبادرة، كما يسمح بالتعاون الواعي والوثيق بين القادة والصغار، وهذا أفضل من الأنظمة التي تحجب تلك الأشياء.

فلقد أكد التاريخ العسكري إضافة إلى تجارب الحروب لقوات الدول المتقدمة حيث أكدت في وقت مبكر أن الصراع بصفة خاصة يتطلب قادة وجنوداً مفكرين ومستقلين ولديهم الإستطاعة الكافية على العمل المستقل. وينبغي المطالبة بالعطاء المستقل إضافة إلى التشديد الكامل لجميع القوى البدنية والعقلية من قبل الجندي الأصغر سناً فأعلى، وبناءً على ذلك يسهل تركيز القوى الكامل للجنود بالعمل.

يجب أن تُعبر المهمة عن إرادة القائد بشكل لا يثير الإلتباس أو عدم الفهم إضافة إلى ذلك يجب أن يكون الهدف وخطة العمل وقيود المهمة كالوقت مثلاً، واضحة وغير قابلة للتأويل أو الإلتباس ومحددة دون تقييد العمل أكثر مما يجب لكي تتحقق مبادرات الأفراد والملتزمين بتنفيذ المهمة. وفي معنى آخر يتعلم القادة على توجيه مرؤوسيهم بما ينبغي أن يفعلوه، بدون أن يتدربوا على التنفيذ مع نظام القيادة الموجهة إلى المهام. وتمنح المرؤوسين حرية واسعة لصياغة وتنفيذ إجراءاتهم الخاصة، على أن يلتزموا بالإطار الكلي. ويفرض مثل هذا النظام مسبقاً بالطبع، وحدة التفكير وموثوقية العمل، ولا يمكن تحقيق ذلك إلاّ عن طريق

التدريب الدقيق والخبرة الطويلة. ولا بد من توفر الثقة المطلقة بين الرؤساء والمرؤوسين وهذا يعتبر من الثوابت.

إن أفضلية هذا النظام واضحة بشرط توفر جميع الشروط الموضحة آنفاً، ويضيف إلى ذلك الجنرال (فون لوسوف) : (يضطر قادة كافة المستويات إلى تحليل أوضاعهم وأيضاً تحليل وضع القيادة التي تقع فوقهم مباشرة، كما يتم إستعجال نقل الأوامر من مستوى قيادي إلى آخر. وكذلك تجانس الإجراءات المتخذة في موقع العمل مع الظروف الفعلية).

يتكون اساس القيادة من المهمة والوضع. وتتكون المهمة من الهدف المراد تحقيقه، وينبغي للشخص المسؤول عن المهمة إلاّ تغيب عن عينيه مطلقاً وفي حالة تجزئة المهمة الرئيسية ينحرف الإنتباه عن الهدف الأساسي. وإن الإرتباك فيما يتعلق بالوضع يعتبر حالة عادية للأمور، ويعتبر إنتظار الأخبار عن العدو خطأً فادحاً، مع العلم أن المحاولات الإكتشافية عن العدو من الأمور العادية. ويقوم القائد بإتخاذ قرار على أساس المهمة والوضع الراهن. وينبغي أن يتضمن القرار الظروف المتبدلة في حسابه، وعند تجاوز الأحداث حدود المهمة، ويجب على من يعدل المهمة أو من يفشل في تنفيذها أن يبلغ عن ذلك ويتحمل المسؤولية والعواقب. وينبغي له أن يعمل ضمن الإطار الكلي دائماً. وينبغي للقرار أن يعين هدفاً واضحاً محدداً، تتحرك إليه جميع القوى المتوفرة، وينبغي أن ينجح بإرادة القوة للقتال بعد إرادة الله تعالى، وغالباً ما تكسب الإرادة الأقوى.

لا يغير القرار بعد إتخاذه إلا لأسباب موجبة حقاً، ولكن التمسك الجامد بالقرار بعد إتخاذه من المحتمل المؤكد أن يدفع إلى أخطاء، نتيجة إلى ظروف الحرب المتقلبة، ويتألف فن القيادة من الإدراك المبكر للظروف، واللحظة التي تستوجب قراراً جديداً لتدارك الموقف.

ينبغي للقائد أن يدرك حرية العمل لمرؤسيه الخاضعين له ويقودون الوحدات الأدنى دون تعريض هدفه للخطر. بحيث لا يسند إليهم القرارات الخاصة به

شخصياً. علماً أن يشمل الأمر جميع ما وجده المرؤوس لكي ينفذ واجبه بإستقلالية. وينبغي كذلك أن يكون الأمر موجزاً وواضحاً لا لبس فيه، ومحدد وكامل، ومصنفاً حسب فهم المرؤوسين، وفي ظروف معينة حسب .طبيعته. ويجب على من يصدر الأمر أن لا يغيب عن باله أن يضع نفسه مكان المتلقي وبنفس الوقت يجب أن تكون لغة سهلة ومفهومة، فالوضوح الخالي من أية شكوك يعتبر أهم من الشكل الصحيح. وينبغي أن لا يؤثر الإيجاز على الوضوح. ويجب أن تتصف الأوامر بالإلزامية فقط حسب ما يمكن التنبؤ بالظروف. ولكن من المشاكل التي تقابل القائد فهو غالباً ما تفرض عليه الظروف أن يصدر الأوامر بالظلام، وهذا يعني أن يعطي أوامر الذهاب إلى المجهول. وعليه بشكل جدي أكثر من الأشياء الأخرى أن يبتعد عن بحث التفاصيل في الأوامر خلال تغيرات الوضع قبل تنفيذها، فلا بد أن تؤخذ تلك المشكلة في الحسبان، عندما تكون الأوضاع العملياتية تشمل أوامر لأيام قادمة، وفي هذه الحالة أو الحالات المشابهة يمثل الهدف الإجمالي للعملية أهمية خاصة. فيجب أن يشمل الأمر تشديداً خاصاً على الهدف المنشود، وينبغي أن تعلم بأسلوب معين الأعمال الحربية القريبة، على أن يترك أسلوب التنفيذ جانباً.وبذلك يتحول الأمر إلى توجيه.

وعلى القائد لأية عملية تكتيكية أن يقدر بشكل دقيق جميع المعلومات الموجودة والمتعلقة بواجبه. ولا بد أن يعتمد تقدير القائد للموقف على مهمة وحدته إلى جانب الوسائل والوسائل التي يملكها وكذلك إمكانات العدو المتوفرة، إضافة إلى ظروف منطقة عملياته بما في ذلك التضاريس والطقس، على أن يضع في اعتباره الإعتبارات والآثار المؤثرة على خطط العمل المتنوعة على العمليات في المستقبل سواء كانت سلبية أو إيجابية، ويضع القائد في إعتباره على أساس تلك الإعتبارات خطط العمل المتاحة لديه وتساعده على إنجاز مهمته لو نجحت، ولا يهمل خطط العمل المتاحة للعدو فعلياً والتي ستعطل إنجازاته. عند ذلك عليه تحليل خطط العمل المتعارضة الواحدة ضد الأخرى، ليحقق الوصول إلى الإستنتاجات فيما

يتعلق في نجاح كل من الخطط الخاصة به شخصياً. وبناء على هذا التحليل ومعرفة الإيجابيات والسلبيات النسبية بالنسبة لخططه ومن ثم يختار الخطة التي توحي إليه بإحتمال النجاح رغم نشاطات العدو المتعددة.

غالباً ما يتطلب التقدير تفكيراً سريعاً فيما يتعلق بالعوامل الرئيسية فقط. لأنه من النادر غالباً إستخلاص إستنتاجات دقيقة فيما يتعلق بالعدو خلال الحملة. وأحياناً تبرز الحاجة إلى تأجيل العمل، أثناء حالة مفاجئة بسبب نقص المعلومات، وعند فقدان الحيوية من قبل القيادة قد يؤدي ذلك غلى خسارة الفرص. عندئذ على القائد أن يجازف ولكن تكون مجازفات محسوبة. وفي النهاية يتوج تقدير الموقف بالقرار. عند ذلك لا يجوز تغيير القرار بعد إتخاذه إلاَّ عند الأسباب القاهرة. ويجب إستمرار إدارة وطاقة القائد خلال الصراع. حتى إنجاز المهمة بشكل نهائي. ولكن عملية تقدير الموقف عملية مستمرة لا تتوقف، فمن الممكن أن تتطلب المواقف المتغيرة بين وقت وآخر، قراراً جديداً يتمشى مع الظروف الراهنة والتي طرأت على الوضع برمته. وفي الواقع أن الإصرار والإستمرار بقرار سابق من المحتمل أن يؤخر عمل القائد وبنفس الوقت يعمل على فقدان الفرصة للعمل الحاسم أو يسبب الفشل الكامل للمهمة.

من المحتمل أن تصدر الأوامر كاملة أو مجزأة، بحيث يتم إكتمال الأمر عندما يشمل كل الجوانب والمراحل الحيوية للعملية. وتغطي الأومار عندما تكمل جميع مهام كل الوحدات المرؤوسة الموكلة إليها تنفيذ العمليات التكتيكية عند تنفيذ خطة القائد. ويعمل بالأوامر المجزأة عندما تتصف السرعة والحركة والتنفيذ بالأهمية القصوى. فتعطى الأوامر المجزأة بالتسلسل تبعاً لتطور الوضع وإتخاذ القرارات، وتتكون من توجيهات منفصلة إلى وحدة مرؤوسة أو أكثر، وتوضح الأدوار بكل منها خلال العملية أو خلال مراحل منفصلة منها. وينبغي بل يجب إصدار الأوامر باكراً بقدر الإمكان لكي توفر أطول وقت للقادة المرؤوسين حتى يتمكنوا من الإستطلاع وتقدير مواقفهم الخاصة بهم ويصدروا أوامرهم

لمرؤوسيهم ويحضروا أفرادهم للعمليات المقبلة. ينبغي أن يصدر أمر إنذاري لإعطاء ملامح العمليات القادمة، على أن يشمل الأمر الإنذاري المعلومات الضرورية التي تعطي القادة المرؤوسين الوقت الكافي لعمل إجراءات التحضيرات لعملية مرتقبة، على أن لا يتجاوز أي أمر حدود مسؤولية المرؤوس، على أن يتحتوي على كل الأشياء التي ينبغي أن يعرفها المرؤوس لكي يستطيع تنفيذ مهمته، وليس أكثر من ذلك.

أهم ما يتعلق بالأوامر الوضوح وأن تكون محددة مع الإيجاز بقدر الأمكان، مع الإهتمام بوضوح الجمل القصيرة ليسهل فهمها، لذلك ينبغي التركيز على الوضوح لأنه أكثر أهمية من الأسلوب الفني. وتزيد الحاجة إلى الإيجاز في الأمر كلما زاد الوضع إلحاحاً مع المحافظة على الوضوح أيضاً. وعندما تزداد الحاجة إلى التفسير من أجل الإجراءات المتخذة، فينبغي أن يقتصر على الضروري فقط لتأمين التعاون السليم بين المرؤوسين. علماً أن الإعازات المفصلة لا تؤدي إلى درء المجموعة المتنوعة من الإحتمالات الطارئة، إضافة إلى الوصفات التي تشبه في مضمونها التدريب، من أجل إثارة الثقة فليس لذلك مكان بالأوامر. ولا شك أن التعبيرات السخيفة أو التي لا تحمل أية معنى تؤدي إلى تقسيم المسؤولية وتدفع بالمرؤوسين إلى تبني الإجراءات النصفية والغير كاملة. أما ما يتعلق بالعبارات المبالغ فيها والخطابات السخيفية، فإنها تضعف الأوامر حين تستخدم بالأوامر على أنها لقضية ما ولكنها فاقدة للمعنى بل تعمل على إضعاف قوة الأوامر اللاحقة.

الفصل الثالث

إسناد القتال

إسناد خدمة القتال هي عنصر قوة القتال

إسناد خدمة القتال

الأهم قبل الكل هو أهمية تدريب الأفراد والضباط وإتقانهم لفاعلية الأسلحة وأهمية مهارات التدريب لفاعلية الوحدة.

وبالمثل لا يمكن أن تطور الوحدات قوة قتالية بدون الإستخدام الكامل للمعدات العاملة والأسلحة وهذا بالتالي يمثل إسناد خدمة القتال.

وبالنسبة لإسناد خدمة القتال ليس هناك إهتمام بأنظمة الإمداد والتموين في حد ذاتها. ولكن الإهتمام ينصب في أنظمة أسلحة العمليات في ميدان القتال. وهذا يعني أنه يجب أن يكون نظام الأسلحة مزود بالوقود والذخيرة وإصلاحه عند تلفه أو إذا أصبح غير عاملاً. والأجراءات الفعالة لدعم القتال هي النسبة المئوية لأنظمة السلاح القادر على العمل كلياً في المعركة، ولا يوجد معيار آخر غير ذلك.

عندما يركز اللواء قواته في الوقت والمكان الحاسمين، وهو يركز أنظمة السلاح (الدبابات ـ مدفعية الميدان ـ طائرات الهليوكبتر)، لذا عليه في نفس الوقت أن يركز مصادر دعم خدمة القتال بما يلي:

١. النظام المدرع المتعدد الأغراض لإعادة التموين (الذخائر).
٢. تزويد الأنظمة بالوقود (وقود ـ زيوت ـ شحوم).
٣. صيانة الأسلحة (صيانة ـ إصلاح ـ قطع غيار).
٤. تزويد الأنظمة بالرجال (إسناد الأفراد).

وإسناد خدمة القتال هي عنصر قوة القتال. يستخدم اللواء الموارد المتاحة لهذه العناصر لحفظ نسبة القوة القتالية على الأقل من (١ ـ ٣) في الدفاع و (٦ ـ ١) في الهجوم وهو يستخدم موارده للحصول على الموازنة المطلوبة للقوة للسيطرة على العناصر الحاسمة وتأسيس أولويات الدعم، وهو يركز إمدادات الإسناد كما يركز الأسلحة في الاماكن الحاسمة والوقت الحاسم، وللقيام بذلك عليه أن يعرف:

١. ما لديه (تحديد المصدر والكمية).

٢. ما هو الموجود الفوري وكذلك المستقبل القريب.

٣. حالة الإستعداد لديه.

يؤثر كبار ضباط الإمدادات على المعركة بمناورة إسناد خدمة القتال المخصصة لهم. وهم يحافظون على إسناد الوحدات إلى جانب أنظمة الأسلحة التي يدعمونها والتعويض على المخاطر، ويوصلون الإمدادات تكتيكياً ويخططوا لإستخدام النقل المخصص ليناسب خطة المناورة. وبنفس الوقت يقوم صغار ضباط التموين بإستخدام جنود إسناد خدمة القتال من الموارد لصيانة أنظمة الأسلحة الحاسمة وتجهيز الوقود والذخيرة والطعام عند الحاجة.

وعلى القادة التفكير في أصناف دعم أنظمة السلاح ليس من ناحية الدعم اللوجستي العام ولكن على موظفي الدعم والإسناد ضمان أن أنظمة السلاح تعمل بفاعلية.

مفهوم الإمداد والتموين الحديث:

يجب أن يضمن القائد العام أن قوته القتالية التي بها يقاتل بفاعلية عند بداية المعركة، وأن يقاتل بإستمرار بنفس الفاعلية فيما بعد.

وتوفر عناصر دعم خدمة القتال قوة البناء للحفاظ على قواته في القتال، ليس لنظام الإسناد غرض آخر غير الحفاظ على ودعم أنظمة الأسلحة ومشغليها. والمنافسة بين خدمات النقل الجوي والبحري المتاح أثناء المراحل الحرجة للحرب مهم جداً. يجب على القائد العام توحيد نشر الدعم، مع نشر الأفراد والأسلحة التي تتطلب ذلك الدعم بنفس النسبة.

وينبغي عدم نشر الأسلحة التي لا يمكن دعمها حتى تصبح إمكانية تشغيلها كاملة، وينبغي عدم نشر عناصر الإسناد قبل الحصول عليها من أنظمة الأسلحة المخصصة للمعركة في مسرح العمليات المحتمل أثناء فترة السلم. وينبغي بل يجب أن تكون إحتياطات الحرب موضوعة مسبقاً للإستخدام في المراحل الأولى

لدعم القوة القتالية حتى يأتي الدعم من القيادة العليا.

ينبغي تخصيص طائرة لنقل الإحتياجات الأولية في هذه المرحلة ولإصلاح القطع الحاسمة على طول فترة الحرب حسب طبيعة ميدان المعركة ووظائف الإسناد الحاسمة للمعركة تتم لأقرب ما يمكن ويتم تزويد معدات القتال بالأسلحة والوقود وعند الضرورة تكون موجودة بالقرب من ميدان المعركة. ويجب نقل الإمدادات الحاسمة إلى العناصر الأمامية ويجب تقديم هذا الدعم سريعاً، بالإضافة إلى نقل الفنيين المهرة إلى النقاط التي في حاجة إلى خبراتهم، وينبغي ضمان التطبيق الدقيق لقيادة وسيطرة عناصر إسناد خدمة القتال ونشاطات الدعم الصحيح في المكان والزمان الصحيحين.

خصائص وحدات إسناد خدمة القتال.

١. يجب أن تستجيب إلى طلبات القتال للإمدادات الحاسمة والصيانة الضرورة.
٢. يجب تفعيل الموارد والأولويات لوضع القتال المتغير.
٣. يجب أن تكون مرنة بما فيه الكفاية لدعمها من أي جهة أو قاعدة.
٤. يجب قياس النجاح في أصناف معدات التشغيل والأسلحة في ميدان المعركة.
٥. يجب أن تكون عالية التدريب لحماية نفسها وإنجاز مهامها تحت ظروف القتال.

وعلى طول هيكلة الدعم يجب أن تكون الموارد موردة بصرامة وتستخدم بدقة وكفاءة. وتعتبر عملية نقل الدعم لقوات القتال في المعركة من أهم التعهدات في نظام الإمداد والتموين. وتوفير جميع العناصر الموجودة لتحقيق ذلك.

التسليح والذخائر للقوات المقاتلة

عندما يركز القائد قواته في الزمان والمكان الحاسمين، فهو يركز أنظمة، لذا عليه في نفس الوقت تركيز موارد دعم خدمة القتال لأغراض إعادة التموين، وتتطلب

عناصر قتال الفرقة أو اللواء إعادة إمداد الذخيرة بقوة النيران الضرورة أو تدمير العدو. ويعتمد إعادة التموين الناجح على ما يلي:

١. التدفق السهل للذخيرة من القوات مباشرة إلى الوحدات التي تدعم أنظمة السلاح.
٢. تقدير المتطلبات بعناية على الخبرة السابقة.
٣. مقدرة قادة إسناد خدمة القتال للرد على طلب الإحتياجات الحاسمة والتهيؤ للظروف المتغيرة.

وبنفس الوقت الذي يركز القائد قواته ينبغي له إعتبار ما يلي:

١. النظام المدرع المتعدد الأغراض لإعادة التموين.
٢. تزويد النظام بالوقود (الوقود ـ الزيوت ـ والشحوم) لتحريك القوة.
٣. تثبيت الأنظمة ويشمل تثبيت الإمداد الأمامي في منطقة اللواء.
٤. تزويد النظام بالرجال.

يرخص القائد العام للتموين من الأعمال الأساسية التي تُمكن وحدات القتال في المعركة حتى يتم إعادة التموين.

ومن أجل الحفاظ على العمليات لفترات محددة، تحدد الوحدات حسب حجمها إحتياجاتها من الذخائر لتقديم نسبة الإمداد المطلوب لأنواع الذخيرة للقائد الأعلى التالي، وغالباً ما تقاتل القوات في أماكن أو مواقع مختلفة، لذا يمكن أحياناً أن تتغير المتطلبات التكتيكية وتتطلب إمداد أقل من المعدل المطلوب.

ولإستيعاب هذه المتغيرات على كل قائد من الفيلق إلى الكتيبة يعلن معدل التموين والسيطرة عليه إلى قادة المساندة التاليين من أجل السيطرة على الإستهلاك بناء على التمويل المتاح وهو ما زال ينجر المهمة. ويتم إعادة إمداد الذخيرة لضمان المرور المتقن وإعادة المرور للإيفاء بالمتغيرات التكتيكية ولنقل وحدات الذخيرة للإيفاء بالمتطلبات المختلفة.

إمداد الذخائر في مسرح العمليات.

تعبأ الذخائر في حاويات وتنقل إلى مسرح العمليات بواسطة الجو أو البر أو البحر أيضاً حسب طبيعة مسرح العمليات وطبيعة النقل الأسرع والأنسب والأسهل، وبالتالي تخصص معدات مناولة المواد للعمل في ظروف الأراضي والنقل لدى عناصر القتال، وتسحب الذخائر من نقاط إمداد الذخائر لتعبية الأحمال الأساسية ومقابلة متطلباتها العملياتية، ترسل عناصر القتال سيارات تكتيكية مدولبة وتعود لنقاط إمداد الذخائر لرفع الذخائر وتوصيلها إلى المناطق الأمامية. وعلى الرغم من ذلك ريما يرون من الضروري إستخدام التحرك العالي أو حتى عربات مدرعة آخر رحلة إلى كتائب مناورة القتال.

إمداد البترول في مسرح العمليات.

يحرك البترول والزيوت والشحوم القوة ويدعم أنظمة الأسلحة، ويقدر التموين بناء على الكميات المستخدمة سابقاً، والمقدرة للمستقبل، وتقدر الوحدات إحتياجاتها وتسيطر على الوحدات الأكبر على المتوفر والتدفق إلى مستودع ميدان التشكيل أو الأكياس البلاستيكية والخزانات من خط الأنابيب ويوصل بالشاحنات أو عربات القطار أن أمكن ذلك. أو في حالة الطوارئ يوصل بالطائرات، وتنقل التشكيلات الوقود والزيت والشحوم للوحدات، وعادة تخزن الفرق الوقود والشحوم في الأكياس أو عربات الصهريج ومن ثم توصل الفرق إلى أولوياتها والوحدات الرئيسية الأخرى. وإعادة التزود بالوقود التكتيكي يوصل إلى الأولوية بواسطة صهاريج الكتيبة.

تثبيت الأنظمة. الأمداد الأمامي في منطقة اللواء.

تتطلب أنظمة أسلحة القوات البرية الحديثة مثل الدبابات وطائرات الهليوكوبتر المهاجمة ورادار الدفاع الجوي ما يلي:

١. قطع خاصة.
٢. أدوات خاصة.
٣. ميكانيكيين مدربين خاصين.

٤. توثيق فني خاص.

٥. مساعدة فنية عند الطلب.

لذلك يتم تزويد مراكز صيانة خاصة في منطقة التشكيلات الكبيرة لفئات المواد التالية:

١. عربات مدرعة وقتالية.

٢. عربات مدولبة.

٣. طيران.

٤. قذائف.

٥. إتصالات إلكترونية.

٦. معدات إسناد أرضي.

هذه المراكز في اتصال مستمر مع قيادة تطوير مواد القوات البرية والإستعداد، وتوفير المراكز دعم الصيانة لجميع أنظمة الأسلحة في الوحدات التي تقع في نطاقها أو فئتها وهي تدفع القطع والتجمعات والمعدات العائمة وفرق الخبراء إلى مناطق الوحدات حيث تكون المعركة حامية الوطيس. والخسائر والمشاكل هي الأعلى أو الأكبر تتعامل المراكز مباشرة مع وتدعم عناصر صيانة الفرقة والكتيبة والتعاون مع أنظمة الأسلحة المحددة.

دعم الصيانة في مناطق التشكيلات الكبرى.

يجب حفظ معدات قوة القتال في التشغيل حيث لا يمكن الإستبدال المبكر. وأعضاء الصيانة لوحدة القتال هم أول من يكونوا في المسرح عندما تحتاج المعدة إلى إصلاح، فرق صيانة الدعم الأمامي وتمديد دعمها بوحدات القتال بإرسال فرق إتصال الدعم الأمامي حسب الحاجة لقطع إتصال إضافية من الفرق الخلفية أو المساعدة الفنية من الدعم العام للتشكيلات الكبرى، يدفع العاملون القطع والعدة إلى منطقة الدعم الأمامية عند الحاجة عندما لا تكون هناك حاجة لها تسحب ويمكن إستخدام محفوظات ميدان المعركة من المعدات بإستخدام قطع

من معدات خارجة الخدمة (تالفة وتشليح)، تقدم الصيانة الدورية من أجل تقليل زيادة وقت القتال وبالتالي تقليل الإصلاح وزمن الإخلاء.

تزويد النظام بالرجال.

تزويد النظام بالرجال يشمل دعم خدمة الرجال سلسلة واسعة من المساعدات للقوات العاملة، كثير من هذه الخدمات والنشاطات لها أهمية ولكن أثرها غير مباشر. ولكن عند قيام الحرب يظهر أثرها المباشر. ويعتمد إستبدال الأفراد في المعركة على وظيفة أنظمة أسلحة أساسية قليلة. نتيجة لذلك يجب أن يركز نظام المستخدمين على دعم هذه الأنظمة، مثلاً ينبغي تحديد وإختيار رامي المدفعية والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات، والمدربين جيداً، وتقديمهم إلى طاقم الأسلحة في المعركة بنفس العناية لنظام الأسلحة نفسه. وبإختصار ينبغي أن يكون نظام المستخدمين في ميدان المعركة الحديثة نفس أنظمة الأسلحة الموجهة.

وقبل بداية المعركة يقدر مخططي الطوارئ الإستبدال المطلوب بنظام إسناد الصيانة والعمليات للثلاثين يوماً الأولى يبنى هذا التقدير على القوة المنشورة وكثافة المعركة المتوقعة.

وعندما يتغير الوضع يتم إعادة تقييم وتحديث هذا التقييم فقط عند تنفيذ خطة الطوارئ، وتتدفق تغذية القوة بناءً على هذا التقدير بداية من القيادة الوطنية إلى مسرح العمليات. وتنسق وتوجه رئاسة الأركان حركة الإستبدال. وفي مسرح العمليات يبدأ طلب الإستبدال من أعلى مستوى تنظيمي الذي يحدد المتطلبات بدقة. وفي بعض الحالات ربما يطلب من الألوية والكتائب أن تبدأ بالطلب نتيجة لعدم وجود بيانات القوة الحالية في أعلى النسق. يقيم كل قائد نسق ويعد المتطلبات بناءً على الأصول المتوفرة الفورية والمستخدمين بالإضافة إلى تقدير الخسائر.

تقديم الغذاء للأفراد

القتال الفوري الذي من المحتمل أن يحدث خلال معركة عنيفة والتي تكون في

مدة قصيرة نسبياً تتطلب تقديم وجبات ساخنة في منطقة في مثل هذه الظروف سوف يتم تقديم المواد الغذائية الميدانية في وجبات مغلفة في أفران تكون سهلة الحمل وجاهزة للإستهلاك من الفرد الذي تدعمه معيشياً من دون أن تقلل من فعالية قتاله.

ولكن عندما تتحسن ظروف القتال وتتاح المواد الغذائية ومعدات الطبخ يقدم للأفراد على الأقل وجبة واحدة يومياً. وينبغي أن يعزز تجهيز الطعام على مستوى الكتيبة عندما يكون ممكناً وتنقل الوجبات إلى الوحدات الأكبر.

صحة الأفراد

أثبت تاريخ الحروب خسارة كثيراً من الأفراد نتيجة الأمراض أكثر من ضياعهم من قبل العدو. وفي الوقاع أن نسبة ذلك تفوق (٣ ـ ١).

ولضمان أن الأفراد قادرين جسمانياً على القتال، ينبغي أن يؤسس القادة برامج حفظ الصحة والشفاء، ويجب على القادة أيضاً وصف معايير وتخصيص دعم طبي لأداء المهام المحددة وضمان المطابقة ويكون من ضمن الأولويات تقديم الأصول والمستخدمين الطبيين لدعم المهمة، وعلى الضباط مراقبة مهام الأشخاص المسؤولين عن تقديم الخدمات الصحية والطلب من الأفراد التقيد بالقواعد الصحية ومراقبة ذلك.

تنظيم الإمداد والتموين

لأن نجاح المعركة يعتمد على مصداقية أنظمة أسلحة رئيسية قليلة، ينبغي أن يركز على هذه الأنظمة الحاسمة عند نهاية المعركة، ففي منطقة الفرقة يتم تنسيق دعم نظام أسلحة الدعم من قبل منسق إسناد المنطقة الأمامية، وهو ضابط يمثل قائد قيادة إسناد الفرقة. هذا الفرد هو الرابط بين القتال وعناصر الإسناد ويضمن الإسناد المتقن لأنظمة القتال، وهو ينسق عملية أنظمة الإسناد الأمامي للصيانة، النقل والعلاج الطبي الموضوعة خلف عناصر الفرقة التي تساندها، كمطلب تغيير تدفع وحدات إسناد هذه الفرقة موارد إضافية وتصحبها عند عدم الحاجة لها

ويقدم منسق إسناد المنطقة الأمامية تقرير إلى قائد قيادة إسناد الفرقة الذي يوجه بنشاطات الإسناد على طول الفرقة وفقاً لأولويات القائد ووضع ميدان المعركة المتغير يركز قائد إسناد الفرقة على أنظمة الأسلحة المتاحة الجاهزة عبر مركز مواد الفرقة. هنا يتم فحص جاهزية أنظمة السلاح للقتال بإستمرار، ويتم إتخاذ إجراء إداري للإحتفاظ بها في وضع تشغيلي ويتم أولويات الصيانة لضمان عمليات صيانة الكتيبة لجاهزية نظام الأسلحة الأمثل كذلك يتم العم للحصول على قطع الإصلاح الحاسمة بسرعة عندما يكون ضرورياً إعادة نظام سلاح إلى القتال.

ينقل قائد دعم الفرقة الإمدادات للأمام ويحول موارد الدعم للإيفاء لإحتياجات العمليات، ويتفاعل مع إنتقال الإنتشار وخسائر القتال المتغيرة، في حالة عدم الإيفاء بمتطلبات الفرقة محلياً أو تمت الحاجة إلى المساعدة الفنية لدعم أنظمة القتال يتم الحصول على المساعدة من قائد إسناد الفيلق.

الإسناد اللوجستي لغير وحدات الفرقة يتبع نفس النموذج، سواء أكانت موضوعة في منطقة الفرقة أو في الحدود الخلفية أو خلف الحدود الخلفية للفرقة، ويتم تقديم الدعم المباشر بواسطة وحدات الدعم المباشر للفيلق، ما لم تلحق بفرقة للدعم، وتسحب وحدات الدعم المباشر في قيادة دعم الفيلق للإمدادات. ويتم تقديم الدعم العام الموحد والإمدادات والصيانة إلى جميع عناصر الفيلق من قبل المراكز الفنية للدعم العام التي تعمل تحت قيادة دعم الفيلق، ويمكن أن يكون لقيادة دعم الفيلق جميع المراكز التالية.

١. عربات مدرعة وقتالية.
٢. سيارات مدولبة.
٣. طيران.
٤. قذائف.
٥. إتصالات إلكترونية.
٦. معدات إسناد أرضي.

يتم تفعيل المراكز لإسناد القوة، ويعتمد الحجم والأنواع والأعداد والموقع على كثافة المعدات في الفيلق، وكثافة القتال والبيئة الجغرافية، ويقدم كل مركز صيانة إسناد عامة، وإمداد قطع الإصلاح وإمداد الصنف النهائي لمجموعة أنظمة الأسلحة أو أصناف المواداْ وهي تساعد وحدات الإسناد الأمامي في المشاكل الفنية في إستعادة ميدان المعركة وتقييم الأضرار وتشغيل نقطة تجميع لأصناف ميدان المعركة المستعادة وإدارة استخدامها كمورد لقطع الإصلاح والتجميع.

لتفعيل هيكلة الدعم العام يمكن توحيد مركزين أو أكثر. من ناحية أخرى يمكن الحصول على إسناد نظام أسلحة مثالي بإمتلاك أكثر من مركز واحد من نوع محدد يمكن توحيد قطع إصلاح الإسناد العامة ماعدا للقذائف في واحد من المراكز أو في موقع مركزي، بالإضافة إلى المراكز الفنية المعرفة أعلاه يمكن أن يكون لقيادة الفيلق نشاطات إسناد عامة لإستلام تخزين إصدار الوقود والشحوم والـزيوت والطـعام والإمـدادات الأخـرى التي لا تعالـجهـا المراكز الفنية.

توفر المراكز أعلى مستوى من الإختصاص الفني على أنظمة الأسلحة المتاحة في الفيلق ويعمل كل مركز مباشرة مع مراكز الدعم اللوجستي وقيادات تطوير القوات البرية، تطوير المعدات وجاهزية القيادة من أجل سحب خبرائهم الفنيين والإسناد سوق تقدم الجاهزية وتطوير المواد إخصائيين فنيين وممثلين من الصناعة لتقديم المساعدة في الموقع للمشاكل الفنية لنظام الأسلحة. وتقود قيادة الجاهزية وتطور المواد المراكز وتدمير عمليات الإمداد والتموين عبر الفيلق ويواكب مركز إدارة المواد لقيادة جاهزية وتطوير المواد لإستمرار الجاهزية التشغيلية نظام الأسلحة لإتخاذ الإجراء لجعلها جاهزة للقتال.

في مسرح العمليات الكبير الذي يشارك فيه أكثر من فيلق واحد، تقدم قيادة الجيش في مسرح العمليات إدارة كاملة لعمليات التموين والإمداد، وهي تضع الأولويات وتحدد المهام والإمداد والتموين وتخصص الموارد، وعبر مراكز إدارة المواد تسيطر هذه القيادة تحديداً وتدير الأصناف المختارة الهامة التي يتحكم قائد جيش

مسرح العمليات عليها سوف تتم السيطرة على معظم أسلحة أنظمة أسلحة القتال الرئيسية هنا في الصنف الرئيسي ومستوى التجميع الفرعي للحاسب.

يمكن أن يؤسس قائد جيش مسرح العمليات قيادة منطقة خلف حدود الفيلق الخلفية لمناولة المواد عند مرورها ونظام المنفذ عادة لا تحمل قيادة المنطقة المواد المحفوظة للفيلق، وهي تقدم الإسناد لأي وحدة واقعة في منطقتها التي ربما تشمل بعض أنظمة السلاح مثل الدفاع الجوي أو الوحدات القتالية أو خدات القتال في حالة الإحتفاظ بمسرح العمليات.

أنظمة معلومات الإدارة والاتصالات

الرؤية هي مفتاح سيطرة القائد على الموارد، وأنظمة معلومات الإدارة والاتصالات هي الأدوات التي توفر الرؤية، وعبر معالجة البيانات أتوماتيكياً يعرف القائد ما هو متاح له، وأين هو وحالة جاهزيته للقتال، والأنظمة المبنية على الكمبيوتر ذات حركة عالية وقابلة للتهيئة البيئية، لكنها في مسرح القتال هي أهداف ذات أولوية عالية للتخريب والعمل المباشر للعدو. لهذا يكون الأمن والإهتمام بمعالجة البيانات آلياً مهمة لدعم إعتبارات التحقيق.

بالإضافة إلى توفير معلومات الإدارة فإن أنظمة تشغيل معالجة البيانات آلياً قادرة على معالجة أحجام كبيرة من المعلومات المكررة.

لهذه السعة يحلل الكمبيوتر الطلبات التي تساند أنظمة الأسلحة وفقاً للأولويات المؤسسة للإيفاء بإحتياجات قادة القتال. وهي تساعد أن تدير في وضع مستويات المخزون لمقابلة الطلبات وتحديد المتاح في القيادة ووضع طلبيات لقوات المقاتلين.

تقدم الأجهزة الإلكترونية الإتصالات ويتم نقل أحجام كبيرة من البيانات في منتصف الطريق حول العالم فوراً، توفر طرفيات المرسل والمستقبل في مسرح العمليات قنوات إتصال بين مراكز إدارة المواد وقيادة إسناد الفيلق وقيادة المنطقة، ينقل مدراء الإسناد المعلومات إلى رئاسة قيادة القوات رداً على

إستفساراتهم وربط هذه البيانات وإدارة المعلومات لتقريب المدراء في القيادات العليا إلى نمط ميدان المعركة تقريباً. ويقدمون إدراك حاد لمتطلبات أنظمة الأسلحة ويردون سريعاً على إحتياجات قادة القتال.

البقاء والنجاح في المعركة

كل قائد في كل مستويات القيادة يجب أن يحافظ على الموارد بعناية للحفاظ على قواته القتالية، ينبغي عدم إضاعة الذخائر أو إتلافها وكذلك الوقود والزيوت والشحوم، ينبغي الإعتناء بأنظمة الأسلحة وصيانتها من قبل الأفراد العاملين وعناصر إسنادهم ويجب إستعادة المعدات التالفة في المعركة لإصلاحها واستخدامها مرة أخرى، وينبغي الحصول على أي موارد محلية موجودة واستخدامها في إسناد القوات القتالية إذا كان ممكناً ويمكن تدبير الوقود والزيوت والشحوم والغذاء والإمدادات الأخرى محلية ويمكن الحصول على المرافق التي عادة ما تستخدم لأغراض مدنية لإسناد المجهود الحربي.

يجب إستخدام النقل المدني بجميع أنواعه لتقليل الطلب للنقل العسكري في المناطق الخلفية المؤمنة سوف يستخدم تأجير المواطنين المحليين بقدر الإمكان لتقليل الطلب للمستخدمين العسكريين. للنجاح في معركة القتال بما نملك والاحتفاظ بالأيدي العاملة المحدودة لدينا ومعدات القتال الضرورية للغاية.

الفصل الرابع

الاستخبارات

تشكل الاستخبارات والأصول المتبعة
لجمع المعلومات أحد المدلولات الرئيسية
وأحد عوامل التوافق والتوزان هي معرفة
عدد قوات العدو وأسلحته

الإستخبـــارات

تشكل الإستخبارات والأصول المتبعة لجمع المعلومات أحد المعدلات الرئيسية وأحد عوامل التفوق والتوازن هي معرفة عدد قوات العدو وأسلحته، لذلك يجب أن يفهم القادة أن التدريب الإستخباراتي والتمارين في وعلى جميع المستويات في زمن السلم هو ثمن النجاح في ميدان المعركة.

متطلبات كسب المعركة الأولى

تتسم المعركة الحديثة بالقدرة المميتة لذلك يتطلب من القائد لكسب الحرب عندما يكون متفوق في العدد والأسلحة، تكون الخطوة الأولى لكسب المعركة هي رؤية ميدان المعركة. ويحتاج القائد للإستخبارات لتركيز قوة القتال في الأماكن الحاسمة والوقت الحاسم، تزامناً مع زيادة خطورة الأسلحة. وتوجد زيادة متعادلة في قدرات كسب الإستخبارات، وينبغي أن يطلب القائد أن تكون الإستخبارات الإستراتيجية والتكتيكية متناغمة لإسناد مهمته، وحيث أنه يمكننا الإحساس بالعدو فإن العدو يحس بنا كذلك. وينبغي تنسيق الإستخبارات المضادة وأمن العمليات وتنفيذه متزامناً مع عمليات القتال.

والإستخبارات تتابعية وحاسمة في الوقت ومتوجهة الحدث، والإستخبارات هي مسؤولية القائد، وتوفر أسس القرار التكتيكي.

الإستخبارات في المعركة الحديثة

للإستخبارات ثلاث ميزات. حيث يمكن للقائد تشكيل المشاة والدروع والمدفعية كفريق موحد، حيث يمكنه ربط أصول أو مبادئ الإستخبارات إلى نظام مستخلص من:

(١) الطيف الإلكترومغناطيسي.

(٢) الصور من البرنامج الفوقي.

(٣) الإستخبارات البشرية، التي تشمل الإشراف المباشر.

ويوصي القادة بمهام محددة للأنظمة الإستراتيجية والسيطرة على الأنظمة التكتيكية العضوية أو الملحقة بقياداتهم.

١. الإستخبارات الإلكترومغناطيسية مستخلصة من الكشف الإلكتروني وإستغلال إنبعاث العدو المتمثل في إشارة إستخبارات العدو أو نشاطه الطبيعي، وأمثلة معالجة الإستخبارات المستخلصة عبر الكشف وإستغلال الإنبعاث الإلكتروني للعدو هي:

- الإستخبارات الإلكترومغناطيسية مستخلصة من الكشف الإلكتروني وإستغلال إنبعاث العدو المتمثل في إشارة إستخبارات أو نشاط العدو الطبيعي وأمثلة معالجة الإستخبارات المستخلصة عبر الكشف وإستغلال الإنبعاث الإلكتروني للعدو هي:

ـ تحليل الشفرة.

ـ تحليل الإشارة والإتصال.

ـ إيجاد الإتجاه.

ـ تحليل الحركة.

وكمثال للأنظمة التي توفر معلومات إستخبارات بكشف النشاط الجسماني هو رادار الإستطلاع الأرضي وأجهزة الإحساس من بعد، معلومات الإستخبارات الإلكترومغناطيسية عامة مؤقتة بزمن محدد (٢٤ ساعة) ومقدرة على الطقس وبصفة عامة محدودة في قدراتها في التصرف على تصنيف وتحديد الأهداف بدقة ومعرضة لخداع العدو وتشويشه. نفس الوحدات التي توفر إستخبارات الإشارة توفر معظم قدرات الحرب الإلكترونية والتي ناقشناها في مقالة سابقة.

- تستخلص الإستخبارات الصور بصورة مبدئية من الرادار والأشعة تحت الحمراء وأجهزة إحساس التصوير الفوتوغرافي التي تنقلها البرامج الفوقية بضمان الوقت. فإن الإستخبارات المستخلصة من الصور يجب

نقلها للقادة إلكترونياً، ويمكن أن تكون بيانات الصور أكثر دقة لإنتاج المعلومات ولكنها مقيدة بواسطة الطقس والإجراءات العدائية المضادة وأحياناً قلة الوقت.

- تستثمر الإستخبارات البشرية بقية تجميع النشاط تكتيكياً، تمثل بواسطة مراقبة القوات مباشرة في التلامس وعمليات الإستخبارات المضادة المتعددة والخداع، وإستغلال الأسرى والمستندات والمعدات والدوريات طويلة المدى والإستماع ومراكز المراقبة، التداخل مع القوات العسكرية المحلية أو القوات الشبه العسكرية، والأكثر أهمية تقارير عن الخط الأماني للقوات الصديقة، وتوفر المبادئ الثلاثة أنواع مميزة من معلومات الإستخبارات، ويمكن لأحد المصادر أن يمكن للمصدر الآخر، ووفقاً لذلك على القائد ضمان إنصهار جميع المبادئ وتوحيدها لتوفير الأسس الأفضل للقرارات التكتيكية.

لدى القوات الجوية قدرات أساسية إضافية في فئات الصور التكتيكية والكشف عن الكهرومغناطيسي، ويتم توفير التعزيزات للقوات الجوية عن طريق عناصر الإستطلاع بإستخدام طائرات عالية الأداء وطائرات بدون طيار. وهذه المركبات التي بها أفراد وكذلك التي غير مأهولة بالرجال لديها مدى طويل وسرعة وعمق في التغلغل أكثر من الإمكانات المتوفرة للقوات البرية، لذلك يتم تعزيز الأنظمة الإستراتيجية لتوفير تغطية مناطق واسعة عن طريق الجميع العلوي أو الفوقي.

ونظام إستخبارات القوات البرية هو جزء من نظام الإستخبارات الإستراتيجية الوطنية ويتكون من الوكالات الحكومية والخدمات العسكرية. والنظام الوطني هو مجهود تجميع برامج متعددة تشمل الطائرات والسفن والمحطات الأرضية، وهي تنتج معلومات تحت ثلاثة ظروف سياسية وعسكرية، وهي:

ـ الثابت (السلام).
ـ التوتر (التهديد الزائد).
ـ القتال.

وتحت الظروف الساكنة، تركز الأنظمة الوطنية على إعتبارات وقت السلم التي تهم متخذي القرار الوطني، ووظيفتهم التكتيكية الأساسية الهامة هو تطوير قاعدة بيانات إستخبارات دقيقة التي تحدد إمكانية القوات البرية في المناطق التي من المحتمل أن تتواجد بها القوات الصديقة (قواتنا). علماً أن إدارة مصادر الإستخبارات الوطنية مركزية، وقيود الأمن تحد من الدخول إلى بعض منتجاتها وتساند مصادر التجميع الإستراتيجي طلبات القادة الأساسيين خلال فترات التوتر الزائد، الأمنية في النشر والإستخدام تكون أقل قيوداً.

في القتال يتم حجز السيطرة المركزية، ولكن تلقى طلبات القادة أولوية عالية، ويتم تفويض كبار القادة التكتيكيين لإستخدام الإستخبارات حسب ما يرونه مناسباً، مع أقل قيود أمنية. ويتم توحيد الإستخبارات في الأنظمة الوطنية، وتلك من الخدمات الأخرى مع الإستخبارات من موارد القوات البرية العضوية.

إن دور القوات الجوية في الإيفاء بمتطلبات القادة، فمثلاً تتطلب بعض مشاكل الإستخبارات مجهود القوات الجوية والقوات البرية. وكذلك يتطلب حرمان الدفاع الجوي تخطيط الإستخبارات المشترك. ويمكن أن تحدد الفيالق وبرامج تجميع القوات الجوية مواقع رادار الدفاع الجوي للعدو وإتصالاته، ويمكن أن تحدد الأنظمة الإستراتيجية مكونات أنظمة العدو في المناطق المحرمة للأصول التكتيكية. ويمكن أن تحدد الدوريات طويلة المدى العناصر التي لا تمثل إشارات إلكترونية، ويتم صهر المركب في منتج موحد، إن تنسيق معلومات ميدان الفيلق هي نقطة

إنصهار بيانات الإستخبارات الموحدة في جميع المصادر بما في ذلك القوات الحليفة.

يبدأ القادة بتجهيز الإستخبارات لميدان المعركة قبل المعرفة المفصلة عن العدو والتضاريس والطقس إلزامية، وهناك بعض المهام الأساسية والتي تتمثل بما يلي:

١. التعرف على المعلومات.
٢. التعرف على طرق الإقتراب الرئيسية.
٣. التعرف على مناطق التجمع الممكنة.
٤. التأكد من دقة شبكات الخريطة.
٥. تجهيز رسم بياني لتغططية الرادار بالتفصيل..
٦. تجهيز داراسات الحركة.
٧. تحديد المواقع الأكثر إحتمالاً للمدفعية والدفاع الجوي والعناصر المضادة للدبابات ويتم إختصار هذه البيانات للإستعمال في التخطيط قبل المعركة، ويمكن كذلك تصنيفها في قاعدة بيانات للرجوع إليها بسرعة وإستخلاصها.

وبالرغم أن الطقس والتضاريس يمكن السيطرة عليها لكن يجب إستخدامها لمصلحة القوات الصديقة (قواتنا). وينبغي التفكير في عوامل الطقس والإستفادة منها في خطط العمليات التكتيكية. علماً أن القادة الذين يفهمون قيود ومميزات الطقس والتضاريس يمكنهم ربط هذه مع معلوماتهم عن العدو لقلب قوة القتال نسبياً لمصلحتهم. وكذلك تعزيز تجهيز معلومات المعركة والقيادة والسيطرة ومضاعفة قدرات القوات الصديقة لدحر العدو بأقل خسائر.

يجب أن تكون الإستخبارات موجهة الحدث وفي الوقت المناسب

ويجب أن تساند معلومات الإستخبارات متطلبات القائد الموجهة الحدث، وتلخص الإستخبارات تقارير الإستخبارات الدولية، والموجز المستخلص من

الجدول حيث أننا نعلم أنها لا تخدم القادة الجدد الذين ينبغي أن يكون لهم مفتاح للأحداث في موقف سريع التغيير.

نظام الإستخبارات كجزء من نظام القتال ككل

من أجل فهم تفاعل الإستخبارات مع العمليات من الضروري فهم الإختلاف بين الإستخبارات ومعلومات القتال. فإذا تم إستخدام بيانات خام للنيران أو المناورة، كم إستلامها بدون تفسير أو توحيد مع البيانات الأخرى فهي معلومات قتال. وإذا تتطلبت البيانات الخام تقييم وتوحيد ومقارنة أو أي شكل من أشكال التحليل بغض النظر عن أولويتها تصبح إستخبارات وبكلمات أخرى يعتمد التعريف على كيفية معالجة المعلومات وكيفية إستخدامها.

وعند بداية التحرك للقتال تقريباً جميع المعلومات المطلوبة في الجيوش الحديثة هي نتيجة جانبية لعمليات القتال. ويمكن إستخدام كثير من البيانات فوراً من قبل عناصر عمليات القتال لجلب قوة قتال لتقاتل العدو.

الإستخبارات المضادة التكتيكية

الغرض من إيجاد الإستخبارات المضادة التكتيكية هو إسناد جهود أمن العمليات لحرمان العدو من تجميع إستخبارات المعلومات عن قواتنا، وذلك بتحييد وحجب إهتماماتنا وأعمالنا ونوايانا عن العدو، وتهدف الإستخبارات المضادة إلى تقييم وجهة نظر العدو عن قواتنا، وإستكشاف الثغرات والتعرف على مناطق الضعف والخلل لدينا والتوجيه بعمل الإجراءات التصحيحية لضمها إلى ملحق أمن العمليات بناء على تنفيذ أمن العمليات.

ويمكن أن يوجه القائد بالإجراءات المطلوبة للقيام بعمليات خداع جزئية ومبتكرة ولخداع العدو ينبغي للقائد أولاً معرفة طريق جمع العدو للمعلومات. وما هي الأنظمة التي يعتمد عليها ويثق بها وما هي الأصول التي يجهلها. ويمكن أن يحدد القائد كيف يستغل ضعف العدو بالخداع عبر تجميع إستخبارات العدو وتحليلها. وينبغي تنسيق وتلاقي وإستمرارية أمن عمليات الإستخبارات المضادة التكتيكية مع جميع العمليات التكتيكية.

ويجب أن نضع في إعتبارنا أن تهديد العدو الإستخباري حقيقي ويجب تحييده، والعدو يجمع معلومات الإستخبارات بإستخدام مبادئ الإستخبارات الأساسية الثلاثة بشكل قد يفوق ما نقوم به.

ويمكن تقليل تهديد الإستخبارات البشرية بالإستخبارات المضادة الشرسة والممارسات الأمنية الجدية التي تساعدها قوات الأمن الإقليمية، والقوات العسكرية المحلية والشبه العسكرية والشرطة والمؤسسات الإستخباراتية.

ويمكن تقليل نجاح شكل صور برنامج العدو الفوقي بالتغطية الصارمة والإخفاء وانضباط التمويه.

ومهما يكن إن التهديد الكهرومغناطيسي هو الذي يظهر كمقدرة للإستخبارات التكتيكية المعادية الأساسية، ولقد تطور هذا التهديد الهائل بثبات على مر السنين. والإنضباط والإتصالات والأمن هي الوسائل الأساسية التي بها نخفي قصدنا وإجراءاتنا من المراقبة الكهرومغناطيسية المعادية، ويمكن أن تساعد هذه الإجراءات في تقليل الخسائر والإصابات.

وعمليات الإستخبارات المضادة التكتيكية المدعومة بقاعدة بيانات الإستخبارات والتجهيز المفصل لميدان المعركة هي متطلبات الخداع. كما يساعد أمن العمليات في إحباط تهديد الإستخبارات المعادية، ويتم تركز المجهود الموازي على أجهزة تجميع العدو للمساعدة في خطة الخداع. وللخداع وإتلاف المعدات والأسلحة يمكن وضعها في موقع واقعي. بينما الدمى الوهمية لا يمكن أن تخدع الصورة والمعدات الحقيقية الغير عاملة عند وضعها في مكان حقيقي مغطى للتمويه. ويمكن أن تخدم عمليات شبكات الخيال من قبل الوحدات المدربة تدريب خاص والمجهزة لتضليل العدو.

تمثل هذه العمليات الأمر الخيالي للمعرفة ويميل إلى تحميل نظام الإكتساب، وتتطلب عمليات أمن العمليات للإستخبارات المضادة التكتيكية من كبار قادة التكتيك، ويمكن أن يكون ناجحاً وقليل التكلفة للقوة المقاتلة.

الإستخبارات للقتال في المعركة

يمكن مراقبة ميدان المعركة الأمامي إلى مسافات مختلفة من قبل مختلف القادة لعدة أغراض ويختلف المنظور حسب مستوى التشكيل ومستوى القيادة وتتم مناقشته من ناحية مناطق الإستخبارات التكتيكية.

وبناء على ذلك ينبغي أن يرى النقيب إلى عمق من٤ إلى ٥ كيلومتر. تضم هذه المسافة منطقة الإستخبارات التكتيكية الأولى، وهي منطقة أسلحة النيران المباشر وخط النظر وهي منطقة معلومات القتال. ويحتاج النقباء إلى بيانات دقيقة في الوقت المحدد للأهداف. ويتم إستخلاص معظم هذه البيانات من خط النظر والإتصال المرئي ورؤية الأسلحة نهاراً وليلاً بالرادارات التكتيكية الصغيرة أو أجهزة الإحساس عن بعد. ويهتم النقباء بصفة رئيسية بمنطقة عملياتهم المقترحة، وفي هذه المنطقة يحتاجون إلى معلومات القتال لأسلحة النيران المباشرة والإخماد التكتيكي وعناصر المناورة.

وبنفس الوقت ينبغي أن يرى المقدم والعقيد من ١٠ إلى ٥ كيلومتر، وهذه منطقة أسلحة النيران الغير مباشرة والنيرران المضادة والمناورات التكتيكية. وتشمل منطقة العقيد والمقدم إستخبارات المنطقة واحد والمنطقة إثنان من أجل توجيه عمليات القتال، ويحتاجون للإستخبارات ومعلومات القتال ذات النطاق الكبير والدقيقة وفي الوقت المناسب أكبر من الذي يحتاجه النقباء. ويجب على العقيد والمقدم رؤية تحركات العدو وتعزيزاته ومواقع المدفعية ومواقع الدفاع الجوي ومناطق التجمع والأهداف التكتيكية الأخرى الهامة والدروع.

وينبغي أن يرى القائد من ٠ إلى ٥ كيلومتر إلى الأمام من جناح المعركة الأمامي، إضافة إلى ثلاث مناطق ردعم وتقوية وتعزيز تكتيكي. ومناطق معلومات القتال والإستخبارات. ويختلف إدراك ميدان القتال من خط لآخر وكذلك يختلف وفقاً للوضع التكتيكي.

جمع الإستخبارات من جميع المصادر مشمولة في قاعدة البيانات المتاحة للقائد،

ويجب أن تبنى القرارات على جميع المعلومات المتاحة والممارسة الحذرة فيما يتعلق بعمليات العدو الخادعة.

ويركز القادة متطلباتهم الإستخبارية على نطاق المنطقة إثنان والمنطقة ثلاثة، بينما يتابعون عن قرب الإجراءات في نطاق المنطقة واحد.

ومن أجل تركيز القوات يجب عليهم طلب الإستخبارات، وفي أحوال معينة معلومات القتال المتعلقة بكثافة قوات العدو، وإتجاه تحركاته وحرمان الدفاع الجوي على طول المنطقة، ويسيطر القادة ويوجهون تجميع الإستخبارات بما لهم من مدى كبير وتغطية. وينبغي أن يطلب القادة تغطية إضافية من القوات الجوية ومن القوات المتحالفة معها ومن الأنظمة وتركيزها لتعبئة الفراغات الغير مغطاه بمواردهم الخاصة. لا تختلف الإستخبارات التي يطلبها القادة بصفة جوهرية للدفاع والهجوم أو الإنسحاب. وهذا الإختلاف العملياتي يؤثر على قدرات جمع الإستخبارات التكتيكية. ويمكن أن يستخدم القادة في الدفاع في جميع مواردهم.

وكلما زادت التحركات لتصبح بعض أنظمة التجميع أقل فاعلية، فمثلاً يصبح جهاز المراقبة عن بُعد ورادار المراقبة الأرضية محدود لمراقبة جناح القوات وأمن المنطقة الخلفية. وهذه الأجهزة غير قادرة على الإستخبارات في الزمن الحقيقي وهي ذات إستخدام قليل. وطالما أنها تعمل في الزمن الحقيقي في عمليات الهجوم والدفاع يجب أن يقفز القادة على موارد التجميع حتى تكون لهم تغطية مستمرة للإيفاء بإحتياجاتهم.

ويجب التفكير في رغبات العدو مع قدراته وإجراءاته المحتملة، لذلك يبقى القادة والعقداء والنقباء قادرين بصفة رئيسية على رؤية العدو من مناطق الإهتمام الإستخباراتي ويحتاجون كذلك إلى التفكير الخيالي لما يفعله العدو. ويمكن الإفتراض أن جميع الجيوش تكشف عن أنماط من النشاطات المختلفة ومختلف الإنتشار المرتبط بعمليات تكتيكية مختلفة. ومهما يكن لا يستطيع القادة الإقتناع بقدرات العدو والإجراءات المحتملة بناءً علىَ التحليل الإستقرائي أو الأحداث

السابقة. وينبغي أن يبحث القادة عن تصميم العدو وإتجاه تفكيره. فقد تصرف عن العدو إتجاهات معينة ويفاجئك بأخرى.

معيار الإستخبارات

هي أداة تحليل تستخدم لربط نشاطات العدو للأراضي والطقس في ميدان المعركة الحديثة المتغيرة بسرعة لذلك يحتاج القائد لأكثر من إستخبارات واحدة فقط. ويحتاج إلى أجوبة سريعة، وعليه التركيز على إنتاج الإستخبارات أكثر من العملية، ومهما يكن عندما لا يكون القادة مهتمون بتفاصيل معالجة الإستخبارات يجب عليهم أن يكونوا معتادين على المنهجية المستخدمة للوصول إلى المنتج الأخير أو التقدير الإستخباراتي لرغبات العدو. إذا كان المنتج لا يمكن تصديقه لا يعتمد القائد عليه كأساس للقرارات التكتيكية.

لهذا فالمعيار هو جزء لا يتجزأ من تجهيزات إستخبارات القادة لميدان المعركة، ومعيار الهجوم بجيش موحد يوضح عمق الجيش الأمامي ومسافة النسق والتركيب والتخلص وقوة العناصر المساعدة. ويمكن تجهيزها بشكل بياني للتحرك على خريطة عسكرية بناءً على تحليل الأراضي السابق ويمكن التركيز على مناطق محددة أو طرق الإقتراب، ويمكن عمل حكم إستقرائي لمواقع تمركز قوات العدو ومناطق التجمع ومراكز القيادة وأسلحة الدفاع الجوي والمدفعية وسوف يبدأ الكشف عن إجراءات العدو في تنفيذ الهجوم.

❁❁❁

الباب الثاني

عمــل الحــرب

الحرب اصطدام بين إرادتين متضادتين ومستقلتين

عمــل الحـــرب

عمل الحرب يشمل الصفات الأساسية للعمل الحربي، إضافة إلى القيمة العملية للمبادئ الكبرى. والحرب في حقيقتها هي عبارة عن صراع جماعي مميت، وهذا ما يمثل صفاتها الأساسية، والقواعد والمبادئ التي تحملها ما هي إلاَّ قواعد العمل الناتجة عن هذه الصفات، والرأي السليم كافياً لكشف ذلك.

ونعني بالتعريف السابق أن الحرب إصطدام بين إرادتين متضادتين ومستقلتين، وفي الحقيقة أن جميع ما في الصراع نسبي، ولا تحقق القوة والمهارة النصر على العدو، ولكن من أراد النصر أن يكون قوي وأمهر من خصمه، ولا شك أن القائد المنتصر هو الذي يكون غالباً أقل أخطاء من خصمه. ومهما كان نوع الصراع ملاكمة أو تجاره أو مصارعة فهناك منافسة بين الطرفين ويتضح بشكل واضح التفاوت وكل طرف من الأطراف المتصارعة يطبق بوعي متفاوت القواعد الست والتي تحكم كل أنواع الصراع، ولا شك أن تطبيقها بوعي يزيد إحتمال الفوز، وهذا لا يعني أنها تؤدي إلى النصر بشكل آلي، والذي يتوقف قبل كل شيء على ردود فعل الخصم، وتتمثل هذه القواعد بـ : (الحيطة ـ المفاجأة ـ الإقتصاد بالقوة ـ الحشد والتجمع ـ ملاءمة الوسائل مع الهدف ـ المبادأة).

ولتأمين الحيطة أو الحذر لا بد من توفير الحماية إنطلاقاً من تحليل إمكانيات الخصم وفي نفس الوقت مفاجأته والتهيؤ لردود الفعل عنده (التعرض مع الإحتماء)، والإقتصاد في القوة في الحالات التي لا يمكن تحقيق خلالها نتائج حاسمة ولكن نتائج ثانوية فقط، وتجميع الجهود وإستخدام كل الوسائل الممكنة في الحالات التي نبحث خلالها عن نتائج حاسمة. وينبغي أن نضع في إعتبارنا أن نحدد أهداف مناسبة للوسائل المتوفرة لدينا، ويجب أن لا يغيب عن إعتبارنا أن الهجوم هو الوسيلة الحتمية لتحقيق النتائج الحاسمة، ولا شك أنه ليس من الممكن تحقيق نتائج مهمة بدون المخاطرة، وفي الواقع أن تحقيق التوازن بين الهدف والإمكانات قد يحد من الأخطار الكبيرة، علماً أن النجاح الكبير يحتاج إلى مخاطر كبيرة.

وقد قال الجنرال (قوا): (إن الألعاب التي يختلط فيها الحساب بالدقة خطرة دائماً، وتتزايد فداحة الخطر كلما أردنا الحصول على مكاسب أكبر). لقد إجتمعت ثلاثة أفكار متعارضة وفي نفس الوقت متناظرة وجميعها تتطلب المخاطرة، ولا شك أنها تلائم العقل حيث أنها قوتان متجانستان، ويملك كل منهما حرية العمل المتساوية، وتتحركان حتى يتم الإصطرام، وتقدم تصويراً واضحاً للطريقة الهيغلية (الفرضية والنقيضة المركبة) والذي مارسه كلاوزفتز واعتبره روح فلسفة الصراع.

والحقيقة أننا نرى منذ البداية أن تطبيق هذه الأوامر المتعارضة يخلق صعوبات حقيقية وكثيرة لنا. والحقيقة التي لا تقبل الشك أن رغبة أية جهة تحقيق أمنها، بجانب بحثها عن مفاجأة الخصم، عملان متناقضان في بعض النواحي. إن الحرص لتحقيق الحماية ضد إمكانات العدو المتعددة والمختلفة عامل توزيع، بينما العمل بناءاً على العدو المتوقع في حاجة إلى تجمع معظم القوات في وقت معين ومحدد بدقة. ما هو المدى الذي يمنحنا الإمكانية أن ندفع الإقتصاد بالقوي في المناطق التي ليس لها أهمية عالية وتعتبر حسب تقرير القائد ثانوية، وفي نفس الوقت ما هي درجة تحملنا لإستقبال المخاطر لتحقيق تجميع القوى الكافية لأعطائنا حل حاسم؟ لأن كل قوة تريد النصر وتسعى إلى تحقيقه بأقصى السرعة الممكنة، ونرى أن نابليون الذي إعتبروه خطأ كقائد يبحث عن الحل الحاسم في كل مكان وزمان وفي مختلف الظروف، قال: (يجب أن لا تقع المعارك إلاّ إذا كانت نسبة نجاحها المتوقعة ٦٠٪ على الأقل). وليس من المملكن حل هذه التناقضات بشكل عام، ولكن يتطلب من الحروب إعداد حلول وسط تنسجم مع كل حالة خاصة بمفردها، مع الأخذ بالإعتبار إعطاء الخطر والحكمة حجمها الحقيقي. علماً أنه من الممكن إيجاد حلول وسط، فإذا كان العدو يهدد حرية مناورتنا فعلينا أن نعمل على وضع الحدود التي تحد من حريته. وغالباً ما يخطط العدو أعماله طبقاً لتصرفاتنا بالضبط كما نحن بخططنا بهذا الشئ، وهذا لا يعني

في الحقيقة تماثل تصرفات الجانبين تماماً، لأن الإستخبارات وذكاء القائدة يحول دون ذلك. إن مناورة القوة لا تتم بشكل عشوائي، أو بعد تجارب تسبق العمل الفعلي للقوات، ولكنها تنفذ بناء على إفتراضات متعددة يتناقص عددها بإستمرار، وبالتالي وخلال سير العمل يتم التحقق من وجودها حسب تدفق المعلومات الصحيحة إلى القائد ومن خلال سير الصراع. وكلما تعمقنا بالعمل تناقص حرية عمل العدو، وبالتالي يجد نفسه يكشف لعبته وخططه. وحينما يوجه قواته إلى إتجاه معين ويتقدم إلى الإمام يفقد مرونته الأساسية فيصبح أكثر جموداً. وكلما زادت صعوبة الموقف زادت بساطته، ونقصت الأخطاء المحتملة. حتى يتم الخلاص من المعضلة الأخيرة. من أجل ذلك إعتبر البعض أن الهجوم خير وسيلة لخلق الأمن. علماً أن القائد عندما يقسم مناورته إلى مراحل متعاقبة تتقلص معطيات هذه المراحل وتزداد دقة بإستمرار، وخلال ذلك يجد القائد في لحظة معينة أن بإستطاعته حل التناقضات التي سبق أن قدمها المبادي لمتناقضات لا يمكن حلها. وإنطلاقاً من ذلك تطلع بنتائج أن هذه المبادئ الكبرى المجردة ليس لها أي معنى عملي، إذا لم تلائم الواقع، ولا تخضع لقنان الحل الوسط. إنها لا تختلف في حقيقتها عما حفظها التاريخ عن حقيقة وقيمة الحكم والأعراف القديمة، والتي تردد على شكل أمثال تختصر تجارب الشعوب العملية المتراكمة عبر القرون، رغم انها مختلطة ومتناقشة ولأمثلة عليها أو بعضها: (وفي الحذر السلامة، يبتسم الحظ للجسور، على المرء أن لا يلقي بودرته للعصافير إلخ) ولكن الحقيقة على من يريد الوصول إلى النهاية أن يستخدم الوسيلة إذا أراد الكسب الكثير تعرض للخسارة، من لا يخاطر بشيء لا يكسب شيئاً، ولكن لا بد من إستخدام العقل والفكر خلال المخاطر.

❁❁❁

الفصل الأول

الحرب عمل جماعـــي

قال الجنرال كاردو: يجتمع التكتيك في جملة واحدة، حاولوا أن تضربوا جميعا بآن واحد

الحرب عمل جماعي

قال الجنرال كاردو: (يجتمع التكتيك في جملة واحدة، حاولوا أن تضربوا جميعاً بأن واحد). وهذا يمكن تفسيره أنه ينبغي إشتراك جميع عناصر الوحدة ومفارزها للعمل الموحد لجميع مهام الصراع لتحقيق نتيجة واحدة، والإبتعاد بقدر الإمكان التجزيئة الغير مجدية، ولا شك أن ذلك الكائن الجماعي المتمثل بالوحدة العسكرية، يتصف بالتعقيد كلما كبر التشكيل. وهذا المبدأ لا يتعلق بالأفراد فقط، ولكن يشمل جميع المفارز العضوية والملحقة التي تستعمل أسلحة ومعدات مختلفة. ولا شك أن هذا الكائن مادي ويتميز بحجم معين، ويغطي مساحة محدودة من الأرض، وغالباً ما ينتشر على جهبة محددة ومعروفة للجميع. وليس من السهل أن يمثل جهد وحدة ما بجهز قذيفة نووية واحدة، لأن الوحدة في الواقع تتكون من مجموعة قوى مشكلة من عناصر متعددة. من أجل ذلك ينبغي للقائد أن يوجه هذه القوى الرئيسية المتوفرة لديه ويجمعها للوصول إلى الذروة الهندسية للجهود المتلاقية، لكي يتمكن من تنفيذ مهمته. ولا شك أن للقتال الجماعي مدة معينة وتحدد هذه المدة حسب الظروف القائمة أو الراهنة وهذا يتوقف كذلك على الموقف العام بشكل أساسي.

وفي الحقيقة أن لكل تشكيل قتالي وجهين، يتجه أحدهما إلى تنفيذ المهمة بينما يتجه الآخر إلى الخطر المعادي، ويجب أن يكون الضرب بقسوة وعنف وقوة عن طريق إستعمال كثيراً من الوسائل المجمعة، مع أخذ الحيطة وتقليل ما أمكن تعرضها للخطر، على أن توزع على مساحة واسعة مع ضمان التعاون فيما بينها إلى جانب تغطية الجبهة بشكل لا يترك ثغرات للقوات المعادية. لذلك لا بد من تركيز عناصر قادرة وجاهزة لشد الثغرات خلف القوات المعنية لجهود إنجاز المهمة،

بحيث تكون قادرة على العمل ضد مبادرات العدو وحدها والرد عليها لكي تحافظ على زخم قوات المناورة الرئيسية والمحافظة على جهودها كذلك. والواقع أنه ليس بالإمكان تحديد عمل وحدة ما بميدان رمي ومناورة واحدة، ولكن في الحقيقة مؤلف من جهود متعاقبة، لا يمكن تنفيذها إلاَّ من خلال ميادين رمي ومناورة متعددة ومتلائمة مع الظروف القائمة والمتعاقبة. وتتجزأ مهمة القائد فيما يتعلق بعمل مرؤوسيه إلى سلسلة من الأعمال المنسقة في الزمان والمكان، ويتمتع كل مرؤوس بحرية نسبية بحدود إختصاصاته.

وكل مقاتل يتصرف بشكل طوعي وإجباري معاً، لأنه مرتبط برئيسة برباط مرن، يحدد له في كل زمان حرية عمله حسب الظروف وموقع المقاتل في التسلسل العسكري. ولقد توسعت حرية المقاتلين بشكل مستمر منذ نهاية القرن الثامن عشر، بعد أن كانت حرية المقاتلين مقيدة جداً، ومحددة في تشكيلات القتال المكونة من خطوط مستمرة لا يملك الحرية الحقيقية فيها إلاّ القائد العام، وكذلك فكرة المناورة فقدت مركزيتها وانتشرت لغاية أصغر التشكيلات القتالية.

ولو رجعنا إلى عام ١٩١٤م لوجدنا أن فصيل المشاة خلال الحرب العالمية الأولى يتشكل من خمسين فرداً مسلحين بالبنادق، وينتشرون على خط ضيق من الرماة، وكان الفصيل بشكله آنذاك غير قادراً على المناورة، ويقتصر عملهما على الرمي والتقدم فقط. بينما الفصيل حالياً يُشكل نواة القتال الحقيقية ويتألف من ثلاثة أو أربعة مجموعات يطلق عليها حظائر، وغالباً ما تأخذ تشكيل قتال يتصف بالعمق، ومسلح بأسلحة آلية تتمتع بنيران تسمح لهما بالمناورة. ولها القدرة الكافية في أن تغير إتجاهها وتعديل جبهتها حسب متطلبات الموقف، وتستطيع دفع عناصر من الخط الثاني إلى الخط الأول حسب الظروف القائمة والحاجة إلى ذلك. ويستطيع

الفصيل إيقاف مقاومة العدو النارية والإلتفاف عليها بجناح أو جناحين، كما أنها تحمي أجنابها وتقدم مركزها إلى الإمام حسب متطلبات الموقف والتوجيهات أحياناً. ويتضح من ذلك أن الفصيل يستطيع تطبيق جميع الحركات الرئيسية للمناورة على نطاق ضيق حسب إمكانياته. وكلما ينطبق على الفصيل يكون أكثر صحة بالنسبة لتشكيلات القتال الأكبر. ويملك قائد الكتيبة المعاصرة في القتال حرية كافية للعمل.

ونستطيع القول أن المرؤوس سيد تصرفاته التنفيذية في حدود مهمته، لأن الواقع أكثر تعقيداً مما نتصور، فهو يراقب ويتلقى المعلومات والأوامر ويتوقع ويشكل فكرته الخاصة. ولأن زاوية نظره تختلف عن زاوية نظر رئيسه. وإنطلاقاً من ذلك، نتسائل هل نستطيع القول أن هناك تسلسلاً للحقائق تسيطر عليه حقيقة القائد؟ وهذا شيء أكيد بدون شك، ولكن ذلك مشروطاً بظهور هذه الحقيقة في الوقت المناسب. إلاّ أن المرؤوس يتمتع رغم كل شيء بإمتياز واضح هو قربه من منطقة العمل وقدرته على التصرف بسرعة أكبر لمواجهة المواقف الطارئة ومتطلبات الموقف بشكل عام. لأن الفترات الزمنية بين القرار والتنفيذ تزداد مع إرتفاع النسق التسلسلي. وإنطلاقاً من ذلك يعالج المرؤوسون في الغالب ظروفهم ببداهة تنعكس نتائجها على قرارات القائد المقبلة. وبذلك إنتهى الإنضباط الآلي القديم، ليحل محله بالتدريج إنضباط يتصف بالمرونة بالعلاقة مع القائد، وينبغي أن لا نفسر كلمة الإكراه بمعناها السلبي، فالمرؤوس لا يمكن أن يعمل على إكراه رئيسه نتيجة لعدم إنضباطه، ولكن طبيعة الأحداث وتسلسلها يفرضان ذلك أحياناً. إنه ملزم بطاعة رجلاً يرى أمامه آفاقاً أوسع، ويتوقع إلى حدود بعيدة، ويعمل ويتصرف حسب إيقاع معين بينما هو يعيش بحدود عالم ضيق وأمامه أفق أصغر،

وتجتمع النتائج كلها لطبيعة الصراعات الجماعية لتجعل من القائد مهما كانت مكانته، أن يجعل من نفسه رجل مهمته. الرجل الذي يتوقع ويفكر ويقرر في مجال الزمان والمكان وبإيقاع معين يحدد من قبل مستوى القيادة الذي يشغلها. فإذا رأي السيطرة على جميع الأمور بشكل مباشر زيادة عن اللازم، وهو ما يطلق عليه مركزية، لكن يؤثر على الأحداث بشكل اسرع، وهذا أسلوب غير حميد، لأنه بذلك يشل مرؤوسيه ويخلق الغموض بينهم. ولقد قال نابليون: (إن قيمة المرء مطابقة لردائه وليس هناك مكان كالصراع يتطلب من المرء أن يكون أهلاً لأشرطته ونجومه). ويجب أن نضع في إعتبارنا أننا لا نريد سجن القائد في برج عاجي، أو أن ننسى فائدة وجوده خلال ساعات الهلع والخوف والفوضى. وفي الحقيقة بئس القائد الذي يتدخل في تبديل مكان خطير بآخر، ولكن القائد الحقيقي الذي يعرف كيف ينتقل من العموميات إلى التفاصيل ومن التفاصيل إلى العموميات، دون أن يفقد حسن التقدير وحقيقة حجم الأشياء.

❁❁❁

الحرب قتال مميت

الحرب عبارة عن عمل أو صراع أو قتال مدمر وحدي إلى أقصى الحدود، وتحمل ميزتها المميتة أبعاداً وعنف لجميع قواعدها الموجهة لجميع الصراعات الجماعية. وتزيد نسبة الأثر المعنوي الناتج عن المفاجأة وحجم الخطر بالخوف من نتيجة المعركة. وهدف الحرب أثناء القتال يتطلب إقتصاداً صحيحاً بالقوى، ومطابقة الإمكانات المتوفرة مع الأهداف المعينة بشكل دقيق وكامل. ولا شك أن هناك صعوبة تحول دون تحقيق الإقتصاد بالقوى والمطابقة على أساس إستعمال الطرق الملائمة، وبناءاً على ذلك ينبغي إجراء تقدير وتقييم يشمل المعدات والأسلحة والرجال، ويحدد إمكانياتها المادية والباليسيتكية والميكانيكية ومدى فعاليتها، لأن الإنسان خلال الحرب معرض للموت والخوف لذلك فإنها يحتاج أشياء كثيرة في كل زمان ومكان، ليحصل على ما يكفي وهذا ما يطلق عليه قانون الفيض.

ولو سألنا أنفسنا ما هو عدد المقاتلين المؤثرين خلال أي هجوم؟ وسبق أن أجاب على هذا السؤوال أردان دوبيك عندما قال: (يعيش مصير العالم في بعض الأدمغة وبعض القلوب) والحقيقة أن الباحث عن النصر سيجده في هذين العاملين، فالمقاتلين تتكون كل مجموعة من البشر تشمل بعض من الأبطال وعدد من الجبناء، ولا شك أن هناك الكثير من الأفراد العاديين الذين لديهم الإستعداد لفرار أو الإنقضاض بنسبة متقاربة. ويتم جميع أعمال الأفراد إنطلاقاً من واقع الظروف والمُثل الذي يقدم من الأبطال والجبناء. والحقيقة أن التعليم والتدريب العسكري والمناورات المشابهة لأضواء القتال، إلى جانب طرق التنظيم والثقة بالسلاح تعمل على القضاء على تأثير الخوف. والواقع أن جميع هذه التدابير عبارة عن مسكنات، وغير كافية لتغيير البناء الأساسي للأفراد. ولكن تبقى الوحدات العسكرية بالرغم من كل المحاولات خليطاً غير متجانس نسبياً، ومعرضاً

للتفكك تحت تأثير الصدمات القوية أو الإنفعال العنيف ليتحول أخيراً إلى شكل كتلة بشرية غير منظمة. وفي حالة وجود الوحدة المتماسكة، فينبغي أن نتذكر وجود الخسائر البشرية والمادية أثناء العمل. وعلينا تحديد عدد الرجال والأسلحة الذي سيبقى سالماً في اللحظة المعينة والحاسمة. ولو أخذنا العملية الدفاعية لبيان ما سبق بشكل أفضل. فإن القائد المدافع يقوم عادة بإستطلاعاته عن طريق دراسة الخارطة وإستطلاع الأرض، وبالتالي يرسم مخطط نيران متكامل لإيقاف المهاجم، وبذلك يضع سداً نارياً خالي من الثغرات، ويحاول خلال عمله أن لا يتك أي مجال من الممكن أن يستخدمه العدو كحفرة أو ساتر إلا غطاه بالنيران المناسبة لإيقاف جميع أنواع أسلحة العدو المتحركة والثابتة.

ورغم جهود القائد بتغطية جميع الثغرات والمنحدرات بنيران الأسلحة الرشاشة والمدافع الماضدة للدبابات، إلا أن هذا السد الناري لا يتمتع بقدرة الإستمرار بالشكل المطلوب، في حالة إكتفى القائد بما قام به ودراسة الأهداف والمنحنيات وإستهلاك الذخيرة، لأن العدو لن يقف متفرجاً على تصرفات المدافع، ولكن سيصب جم نيرانه على المدافعين ويعمل المستحيل لتكبيدهم الخسائر الجسيمة البشرية والمادية، إضافة إلى خلخلة معنوياتهم، وهذا سوف يسمح للمهاجم لفتح الثغرات في الموقع الدفاعي إضافة إلى سده الناري قبل أن يشرع بالإنقضاض. وفي هذه الحالة ينبغي للقائد المدافع إذا أراد المحافظة على إستمرار سده الناري وتماسك قواته الدفاعية، أن يجعل في حسابه الخسائر المادية والبشرية والمعنوية المحتملة، وبالتالي يحتفظ في يده بوسائل إضافة تستطيع تعويض الخسائر المحتملة، وهذا التحليل يبرر بصورة لا تقبل الشك قانون الجهود المتعاقبة الذي يفسر مادياً على الأرض تنسيق القوات الدفاعية بشكل يحقق العمق الدفاعي، ولا شك أن معرفة دقيقة للمعطيات الفنية تسمح للقائد بتقدير الخسائر المادية والمعنوية المتوقعة إلى جانب الدراسة الدقيقة للمعضلة، تعطي القائد أرقام تقريبية بشكل عام تسمح له بتحديد الخسائر المادية. وتقابل القائد المُدافع

مشكلة تحديد نسبة الضعف المعنوي، وكيف يستطيع فكره التحليلي أن يعمل من خلال التشابك الرهيب للأسباب والمؤثِرات المادية والنفسية، ولا شك أن هذه الحالة مشابهة لكل مواضيع الحياة وهو يخضع لرأي (باسكال) القائد (إن لكل شيء مُسَبِّب ومُسَبَبَّ) بنفس الوقت. وهذا يفسر أن كل حالة من الحالات تكون سبب تارة ونتيجة تارة أخرى، وقد تكون سبب ونتيجة في نفس الوقت. والسبب فيما أشرنا إليه هو الخسائر البشرية والمادية المؤدية إلى الضعف المعنوي. ولا شك أن هذا الخلل في المعنويات ينعكس مباشرة على فعالية الوحدة وقدرتها القتالية، ويجعلها تقوم بمناورات خاطئة تسبب الخسائر الكبيرة في الوحدة المدافعة من النواحي البشرية والمادية جديدة تؤدي إلى زيادة الضعف المعنوي وهكذا.

ويتطلب الفن العسكري أن تكون واعياً لحساب جميع الإحتمالات بدقة متناهية على أن تعتبر عامل الصدفة بعد ذلك على أن يكون لها حسابها الخاص. ومن الممكن إضافة العوامل الطارئة كجزء من الصدفة. ولا شك أن عبارة العوامل الطارئة لا تستطيع الأفكار حصرها أو حساب قيمتها. ولا يقتصر الأمر على ما سبق فهناك مجالات أخرى معقدة ومتحركة وهي المتمثلة بالظواهر البيولوجية والإجتماعية والسياسية مثلاً. وهذا يجعل اذكى العقول وأكثرها علماً لا تستطيع متابعة أكثر من حالتين أو ثلاث حالات كحد أقصى في لعبة الأسباب والنتائج المتشابكة، وبعد ذلك يفقد طريقه خلاله حركة الأفعال وردود الأفعال المستمرة. عند ذلك لا وسيلة سوى العودة إلى التجربة، وهذا عبارة عن اختيار لا يمكن شرحة، لأنه يتصل بتأثيرات مجموعة من الأسباب المختلفة والمستقلة ومن الصعب أو المستحيل عزلها عن محيطها وعن بعضها، والواقع أن تدخل هذه الأسباب لا بد منه خاصة عند ضرورة العمل قبل أن يسمح الوقت للعقل لإجراء إستنتاجاته. وسيكون القائد أمام خط مبهم حالك السواد، بينما هو يجد نفسه مضطراً لبيان أو رسم خط واضح المعالم بلا ظلال، لأن العمل لا يتناسب إطلاقاً

مع انعدام الدقة. والقائد لا يملك وسيلة للوصول إلى ذلك سوى الإلهام، هذه الصفة العجيبة المكونة من الخيال والحس السليم. والتي هي في الواقع لا تنافس العقل، ولكنها بمنزلة التابع له. والإلهام الجيد المفيد، هو الإلهام الذي يقوم العقل والتجربة لدفعه، ويقول نابليون: (الوحي هو الحل الآتي لمعضلة دُرست مدة طويلة). ويكمن كل شيء في الإحساس بما تستطيع الوحدة تقديمه، والإستطاعة على دفع هذه الوحدة لتقديم كل ما عندها. الشيء الذي يجب أن نعرفه أن التفكير السليم والتجربة الفنية والإلهام الصادق هي أسلحة القائد الفكرية الثلاثة، وتظهر أهمية التفكير الرئيسية عن تحليل الصفات العامة لكل الحروب. ولكن التذكير بالموت هو الذي يشكل الخطر الأعظم وهو الصفة الملازمة لجميع الحروب، والتفكير بقانون الفيض الناتج عن هذا الخطر هو الذي يدفعنا إلى منح التجربة والألهام أهمية جديدة. لقد قال (دراغوميروف): (إن مبادئ الحرب لا تتجاوز حدود الذكاء العادي، ولكن هذا لا يعني أن الذكاء العادي قادر على تطبيقها).

❁❁❁

الفصل الثاني

مواقف القائد الفكرية

القائد العسكري يعين لفكره ثلاث مواقف
وفي نفس الوقت يتبع ثلاث طرق فكرية مختلفة

مواقف القائد الفكرية

بالنسبة للمنفذين والقيادات الصغيرة لا يتطلب العمل في بداياته بالنسبة لهم سوى الإطلاع على القليل من الوسائل والحلول التي تختار حسب الموقف ومتطلباته. وكلما إرتفع درجات التسلسل القيادي بغض النظر عن نوع النشاط المطلوب يصبح العمل أكثر تعقيداً وأشد قوة كما أن المعطيات التي تختص بها تتزايد إلى جانب إزدياد الحالات الخاصة، ويصبح من الصعب تعيين تصنيف شامل للوسائل، ولكن يصبح من الضرورة إختيارها حسب الطلب، وأية أساليب هي عبارة عن سلسلة من العمليات المطابقة التقريبية، حيث أن كل معضلة خاصة تحتاج إلى عملية فكرية واسعة، وتحليلاً واقعياً يتبعه ترتيب يتعلق بعدد محدد من المعطيات التكتيكية والظروف الخاصة. فلو سألنا أنفسنا هل هذا جميعه يعني أن الحالات الخاصة المتعددة لا تشمل أية نقطة مشتركة؟ كلا. إن الذكاء الذي يعمل على تفسير الأشياء، وعمل المقارنة فيما بينها في حدود المقارنة المممكنة، يجعل منها نماذج أو قوانين، سوف يلاحظ هذه النقطة تلقائياً، ولكن من الضعب أن نعرف المجموع، إلاّ بعد إختصار عدد الحالات الخاصة إلى قاسم مشترك. وفي الواقع أن الذكاء قد إعتاد على هذه الأعمال، وأفضل دليل على ذلك هو قدرة العامل الحرفي البسيط مهما كانت مهمته على معرفة قواعد العمل من خلال عمله اليومي. إن إتقان العمل يخلق المعرفة بشكل طبيعي، وعادة تتجه المعرفة نحو العموميات. إن العامل بعد حفر أعداداً كبيرة من الأمتار المربعة يعرف كيف يحدد ضربات معولة حسب الطبيعة والظروف وميل الأرض. وعندما تكسبون ثقته يخبركم عن القواعد الملائمة التي استنبطها لنفسه. والأجدى أن يعمل القائد العسكري الذي يتعامل مع مادة معقدة جداً بالعمل على أساس هذا التبسيط والتصميم وهما الوسيلتان اللتان يحتفظ بها الفكر البشري معلومات لا تفنى.

وفي الحقيقة أن عقيدة الحرب في أية جيش، وخلال زمن معينة ليست محصلة تفكير القادة الكبار أو مساعديهم كما يرى ويعتقد البعض، ولو كانت بهذا المفهوم لأصبحت وجهة نظر فكرية محدودة القيمة. ولكنها في الواقع تمثل كل الجهود التي نفذها القادة على مختلف مراتبهم على وجه التعميم. وعلى القادة العسكريين في مختلف المستويات، أن يعملوا على تطوير مستوى تجاربهم عن طريق إتقان طريقة المحاكمة التي يتم من خلالها إعداد العقيدة، ولكن مهما كانت مهمة العقيدة التي تدفع الفكرة، وتوجه ذكاء مختلف المنفذين إلى إتجاه عام جماعي، فإنه يصعب عليها تعيين القيمة المطلقة للحقائق الرياضية، ولكي نحصل على هذه العقيدة، لا بد من مقارنة عدد من المواقف التي لا تقبل المقارنة إلاَّ من بعض الوجوه فقط. وهذا يعتبر تشويه أجزاء من الحقيقة. وبناءً على ذلك ليس بإستطاعتنا الطلب من العقيدة، كما نطلب من النظرية أن تمنحنا بالتفكير المنطقي، الحل للحالات الخاصة. فإذا كانت تحقق ذلك في العلوم الرياضية، لأنها لا تنطبق على حقائق بل على تصور مجرد. ولكن لكي نحافظ على علمنا العسكري ونتمكن منه، سعينا إلى جعله في بعض الوجود من خلال محاولاتنا إلى مجردات، فعملنا على تجفيف وتبسيط وتصنيف الحقيقة الدامية المضطرية الماثلة في حقوق المعارك، وفي الوقاع أن قواعدنا عباره عن درجات الفكر، والحالات الخاصة فقط هي الحقائق الحلية. ولكي نجعل من عقيدتنا قابلة للإستعمال، ينبغي لنا أن نعطيها الحياة، إلى جانب تأمين التوافق بين كل المتناقضات التي تتكون منها حقيقة حالة واقعية، وأن ينصب إهتمامنا بالحدث لا بمظهره أو ظله.

لقد قال (ليوني) في إحدى الكلمات الغامضة التي كان يعرف سرها: (تدعي العقول الساذجة أن الأمر هو هذا أو ذاك، وغالباً ما يكون في العمل هذا أو ذاك).

إن ممارسة القيادة تحتاج إلى طريقة فكرية تختلف كثيراً عن طريقة المنظر الذي

يضع العقيدة بالضبط كالإختلاف بين أسلوب الطبيب المعتمد على التشخيص، وأسلوب عالم وظائف الأعضاء، وكما تختلف الطريقة عن النظرية، والحقيقة أن عمل القيادة بتطبيقاتها مواقف فكرية متباينة هما: مرحلة الدراسة والتفكير ـ مرحلة القرار والتنفيذ، ولقد قال نابليون بإعتباره سيد الحرب عند الأوروبيين: (إنني أبدو دائماً جاهزاً للرد على كل شيء، ومجابهة أي شيء، وما ذلك إلاّ لأني فكرت طويلاً قبل الإقدام على العمل. لقد توقعت كلما يمكن أن يقع، وليست العبقرية هي التي تكشف لي فجأة وبصورة سوية ما عليَّ أن أقوله أو أفعله في ظرف لا يتوقعه الآخرين، إذن فمن يقوم بكل هذا، إنه تفكري، أنه التأمل). وهكذا أنكر نابليون عندما تحدث عن نفسه، الأسطورة الخطرة التي تتحدث عن شرارة تهبط في الوقت الملائم على الرأس المختار. ولم يعترف بإحتمال وجودها إلا بعد القيام بتحليل كامل وموضوعي لمعطيات المعضلة. ويقابل القائد لحظة يحاول خلالها أن يستنتج، ولكنه يجد العقل مضطراً للوقوف عاجزاً، لذلك يترك الأمور تمشي على هواها، والسبب وراء ذلك لأن المعطيات غالباً تكون ناقصة أو غير مؤكدة، عند ذلك ينبغي للقائد أن يغامر، لذلك يضطر المرء في الأعمال الكبيرة أن يترك بعض الأمور للصدفة، ولقد كتب نابليون مؤكداً على المرحلة التي بين مرحلة الدراسة والتفكير الموضوعي الحساس، ومرحلة القرار، والتنفيذ التي تعتمد علي الإيمان والثقة قائلاً: (ليس هناك من هو أكثر مني حذراً، فعندما أضع مخططاً عسكرياً، أحسم لنفسي جميع الأخطار والمتاعب الممكنة في كل الظروف، فأعيش في إنفعال مؤلم حقاً.. وعندما أتخذ قرار أنسى كل شي إلا ما يدفع قراري إلى النجاح)، وفي الواقع أن هذا لا يفسر أبداً أن العقل يتعطل وينسحب حالما الوصول إلى العمل، ولكنه قادر على تجاوز التوقف معتمداً على بديهية من البديهيات كي يعود بعد ذلك سيره من جديد. اليست الرياضيات، وهي من

المجالات العقلانية، مبنية جميعها على البديهيات؟ والقائد العسكري يعين لفكره ثلاثة مواقف، وفي نفس الوقت يتبع ثلاث طرق فكرية مختلفة تتمثل فيما يلي:

١. طريقة المنُظِّر: الذي يدقق الفكر بالتجارب، ويستنبط منها قواعد عامة ويشترك في إعداد العقيدة.
٢. طريقة الطبيب الذي يحلل ويناقش ويزن المعطيات لحالة خاصة معينة.
٣. طريقة رجل العمل الذي يستنبط ويقرر وينفذ.

إن الأهداف الرئيسية المطلوبة هي تحديد ووصف هذه الأساليب الفكرية وبعد ذلك سوف نتمكن أن نكسب ثمرة هذا التحديد، لأن تحديد المفردات ضروري للتفاهم، وعدم التحديد وبالتالي التفاهم يؤدي إلى فهم شيء بدل آخر. وفي الواقع لو دققنا وأمعنا النظر إلى الكتُّاب العسكريين لوجدناهم يقومون أغلب الأحيان بتأكيدات متناقضة، فمثلاً يرى أحدهم تفوق العقل والطريقة المنهجية، بينما تجد الآخر يفضل الإلهام وشرارة العبقرية. وفي نفس الوقت تجد من يحبذ أن يناور تلقائياً، بينما تجد من يرى القيام بمناوراته بناءاً على التجربة. وأحياناً تجد كاتباً يرفع الذكاء ليجعله في أعلى المستويات، بينما تجد آخر يرفع الشخصية إلى السدة العلياء.

ولقد ظهر نابليون أكثر من مرة متناقض مع نفسه، فبعد أن أكد مراراً أن للعلم العسكري قواعده، نراه في مكان آخر يناقض نفسه حيث يسلط الأضواء من جديد على الأحداث التي تؤثر على كل موقف، ثم قال في مناسبة أخرى وهو يتحدث عن الحرب: إن التنفيذ هو كل شيء، ولكنه رغم التناقض الظاهر يعطي طريقة لحل المتناقضات الأخرى. وعلينا أن نكون حذرين من هذه التعابير، لقد كان نابليون يستعمل تعابير خاصة وجاهزة. ولقد ذكرت بعضها سابقاً، حيث كان يستعمل تعبير العلم العسكري، عندما يرغب بيان أهمية القواعد والمبادئ وعلو شأنها،

فنجده في هذه الحالة يتخذ الموقف الفكري الأول من المواقف الثلاثة السابقة بينما نجده عندما يؤكد عدد لا نهاية من الحالات الخاصة، مع إصراره على أفضلية التنفيذ، ويستعمل فن الحرب ليصبح وكأنه يستعمل طريقتين: الطبيب ورجل العمل سوى، ولا شك أنه يستعمل هذين التعبيرين ليحسم نقاشاً عقيماً غطى صفحات الكتب العسكرية منذ عهد قديم، المتمثل في: هل الحرب علم أو فن؟ والحقيقة أن الحرب علم في إمكانية تخليصها بمجموعة أنظمة معلومات وقواعد ومبادئ، ولكن الحرب فن عندما يتعلق الأمر بتطبيق هذه القواعد والمعلومات والمبادئ على الحالات الخاصة، لأنها تتصف عندئذ بصفة الفن الذي يحاول إلتقاط الأشياء في حقيقتها الداخلية الخاصة، بعكس العلم الذي يهدف إلى إظهار الصفات المشتركة ليكتشف من خلالها قواعد ذات عمل تطبيقي واسع. وفي الواقع التطبيق المتعاقب للثلاثة الطرق المتعلقة بالمنظر والطبيب ورجل العمل تشكل رياضة ذهنية كاملة وصحيحة. ولقد بين (الكسيس كاريل) في كتابه (الإنسان المجهول)، إن الذكاء يتعرض للخطر عندما يزيد كثيراً في التخمينات النظرية، فقد قال: (إن عقلنا يحب الدقة، وأمن الحلول النهائية، وهو يميل بشدة لإختيار مواضع دراسته مبتدءاً بالأوضح والأسهل تكتيكاً بدلاً من أن يبدأ بالأهم).

وفي الحقيقة أنه سبق أن قدم لنا المؤلفون العسكريون الكثير من الأبحاث فيما يتعلق بمعضلات المناورة، وهي في الواقع مواضيع بسيطة ومجردة وشبه رياضية، في الوقت الذي كان فيه عدد من حاولوا تحليل المعركة محدوداً، لأنها مادة معقدة وحية ومتحركة. إن ملاحظة الأحداث الخاصة بشكل كامل ودقيق، إلى جانب دراسة الحالات الخاصة دراسة تجريبية، تظهران لنا وجود معضلات واقعية، وتطرحان محتوياتها، وتقويان الفكر إلى جانب زيادة ثروته، ويحفظان له الحماية

من المباغلة في السير على مخططات جامدة. والحقيقة أنهما يحملان في داخلهما خطر الإنحراف. وعند ذلك ينبغي للأفكار العامة تعديل كل ميل زائد بإتجاه التفصيلات، لأن زيادة دراسة التفصيلات قادرة على زيادة الضرر الحقيقي بتقدير الجوهر بشكل صحيح. ويدل أسلوب رجل العمل على أن الذكاء عاجز عن السمو، إذا لم يتوفر له درع معنوي قوي يحميه، والخطأ ينجم كذلك عن ضعف الشخصية، إلى جانب ضعف التفكير. ومن خلال التجارب السابقة إتضح أن الأفكار الخاطئة التي تطبق بفاعلية ومهارة ينتج عنها نتائج جيدة، تدفع البعض إلى الإفراط في البراغماتية (البراغماتية هي عبارة عن عقيدة تعتبر أن القيمة الحقيقية للأشياء هي قيمتها العملية فقط، وهي تنكر الحقيقة المطلقة، وتقول إن ما ينجح حقيقي، وتعتبر هذه العقيدة أساس المجتمع الأمريكي الحديث). ولكن الإنسان المجرب بشكل حقيقي في مناقشة الأفكار تقود تلك المعرفة نتيجة التجارب إلى التواضع والصفاء الذهني، فنجده يحاكم بمعرفة وسرعة جميع المواقف المختلفة، ولا يتضح من ذلك إفلاس العقل، يشعر بحدود عقله. كما نجد أن (غوته) يقول: (كيف للمرء أن يعرف نفسه؟ إن الوصول إلى ذلك متعذر عن طريق التفكر وممكن بالعمل فقط).

الفصل الثالث

بداية العقيدة العسكرية

عقيدة الحرب كائن مستمر، وعلينا أن نغذيه
بالتجربة ونعطيه الحياة بالحس الدقيق بالحقيقة

بداية العقيدة العسكرية

قال المارشال بيتان : (عقيدة الحرب كائن مستمر، وعلينا أن نغذيه في التجربة ونعطيه الحياة بالحس الدقيق بالحقيقة).
ولكي نفهم أن التركيبات العسكرية سهلة دائماً، علينا أن نقود الرجال في خطوط النار، ولكن يجب أن نضع في الإعتبار أنه رغم تلك السهولة فإنها غير فعالية إلاَّ إذا نفذت في ظروف تحقق توافق أكبر عدد من ممكن من المعطيات. المعنوية والفكرية والمادية المعقدة والمتناقضة والمتشابكة، علماً أن هذه الترتيبات لا تتصف بميزات تخصها، فإذا عزلتها عن عوامل الحياة أصبحت كالشجرة التي قطعت جذورها. والحقيقة التي يجب أن نعرفها هي أن فكرة المناورة لا تخرج جاهزة مسلحة من عقل القائد، وهي لا تتصف بالعبقرية إلاّ لكونها مزيج من أدق الحقائق المشتركة فيها، فالحقيقة تضع الظروف قبل أن تكون جاهزة لقيادتها.
لقد نصح (أردان دوبيك) عندما قال: (إن ينطلق كل تكتيك من الإنسان، أي أن ينطلق من الأسفل ومن أصغر المعطيات وأكثرها واقعية وتكتيكية، إذ لا يمكن إستنباط العقيدة التكتيكية من بعض المبادئ المجردة الكبيرة، ولكنها تبنى مع إحترام هذه المبادئ.. وعندما يُشيِّد المرء بناء فإنه يبدأ من الأساس). وفي الواقع حينما يكون الأمر متعلق بتجديد الطريقة الضرورية للبناء نصطدم بحاجز يمنع تقدمنا، كما هي الحال في كل الدراسات المختصة بالإنسان، والمتمثل بصعوبة أو إستحالة القيام بالتجارب كما نريد (فالحرب علم تجريبي تنقصه التجربة). ونحن لا نسير حملة ولا نخوض معركة للتأكد من فكرة إستراتيجية أو تكتيك، وتقتصر التجارب الوحيدة التي يمكن أن نقوم بها هي ما يقدمه لنا التاريخ في الشكل والزمان المناسبين له، وفي الواقع أنها تعتبر لذلك ثمينة وتستحق الدراسة إلى أقصى الحدود. وإنطلاقاً من ذلك يتضح أن البناء العقائدي في أمس الحاجة إلى قاعدة تاريخية، وهذا لا ينطبق على المجال العسكري فقط ولكن يشمل كل

المجالات الأخرى المتعقلة بالنشاط الإنساني. وحقيقة إن هذه القاعدة التاريخية جزء من الماضي، وتمثل تجارب تلامس الأرض، ولكن يجب أن نعيش في الواقع ونعلم أن المستقبل هو ما يهمنا،لذلك فالمطلوب إنشاء عقيدة لتحقيق النصر في صراع يقع في المستقبل بشكل ووقت محدودين تقريباً.. والشيء الذي ينبغي أن نزود هذا الخيال بشكل كافي بالمعلومات والوثائق والمعطيات التكتيكية والنفسية والسياسية وهو وحده قادر على الوصول في النهاية إلى التوسع في الأفكار الضرورية.

وفي هذه الحالة هي ينبغي الإكتفاء بالخيال؟ قد يوفر الخيال الكثير من الميزات ولكنه عديم الإخلاص. وفي الواقع أن جميع تأكيداته تعتبر فرضيات يجب إخضاعها للمراقبة، ويجب الإكتفاء بالمراقبة لتعذر إجراء التجارب الحقيقية ما عدا التجارب الناقصة والمبتورة المتمثلة بالتمارين والمناورات خلال وقت السلم.

القاعدة التاريخية:

حقيقة أن الفضيلة الرئيسية للمؤرخ تتمثل في الأمانة الفكرية. أما ما يتعلق في كتابة التاريخ بواسطة محاولة وضع أمثلة تحفز الأجيال، فإنها رغم فوائدها ومحبة القدماء لها من الأفضل أن تضاف إلى أدب الأطفال. علماً أن التاريخ العسكري يخضع لنفس النظام الذي يخضع له التاريخ العام. لهذا ينبغي أن نبحث عن بعض الدروس من خلاله. ومن أكبر الأخطاء إهماله وإستخدامه لبيان النظريات، ومن الضوري كتابته حسب أسلوبه الخاص، ومن ثم البحث عن النتائج أخيراً بأسلوب المفكر العسكري البحت. والواقع أن المرء لا يهتم بفكرة لا يعرف مصدرها أو كيفية ولادتها. وغالباً ما يعلنا التاريخ أو التجربة أن نستخدم هذا التعبير أو ذاك أو هذه الكلمة أو تلك. وفي الواقع أن التاريخ أو تجرب حرب أو عدة حروب، ليس من الممكن أن نستفيد منها أو تعلمنا شيئاً من الدراسة الأولى، فكيف تستطيع كتلة مبهمة واهية والمكونة من خلال أحداث متنافرة ومتشابكة ومتناقضة بنفس

الوقت أن تفيدنا بشيء مهما صغر؟ ولكنها تحتاج إلى تصنيف ومقارنة وبيان العلاقات التي تجمعها، وبالتالي تفسيرها، فكيف تفسيرها؟ وكيف نظهر منها فلسفة؟

يحتاج إظهار المعلومات أو إستنباطها من التاريخ أن نرى ما تحت الأحداث، حتى تكتشف (كيف) وقعت الأمور، وبالتالي نعرف الأسباب إن جميع العلوم التي تدرس الإنسان وتعتمد على المادة التاريخية ذاتها (علم الإجتماع ـ الإقتصاد السياسي .. ألخ) دائماً تكون أمام هذه المشكلة من أجل ذلك جعلت هذه العلوم طرق إستقصاء لنفسها مشابهة للطرق التي يطبقها العسكريون. والعسكريون عادة يستخدمون قواعد علوم الملاحظة، ويعملون على تعيين سبب من الأسباب ويتابعون تأثيراته. وقد تعطي الإحصائيات في الحالات المثالية التأثيرات على شكل أرقام. ولكن في الحالات الأخرى تتم مراقبة ظواهر عديدة تمثل مجموعة مختلفة من الأسباب المادية والفكرية والمعنوية التي يصعب عزلها ويستحيل قياسها. ويمكن هنا بوضع هذا المثال النوعي خلال عام ١٩١٨م كان إحتلال موقع دفاعي عرضه كيلومتر واحد يحتاج إلى كتيبة. وبنفس الوقت كان الهجوم على عدو متمركز في خنادق يحتاج إلى سبع جماعات مدفعية في كل كيلومتر من عرض الجبهة، إنها أرقام ذهبية ثمينة رغم غرابتها لأنها تمنح قيمة ملموسة وحجماً متسلسلاً للأفكار المبهمة. ولديها القدرة على منح قيمة حقيقية للنظريات المبتدعة زمن السلم. ولكن لا بد أن نستخدم هذه الأرقام بحذر ونترك للعقل حرية التعامل معها بمهارة، وعلينا عدم تكرارها دون اسباب وجيهة وأكيده كما ينبغي لنا أن لان نعدلها دون إحتراس وحذر، لأنها في الواقع أثمن ثمار الحقل الفكري التي أنبتتها جهود الجندي ودمه. وبهذا نصل عن طريق الدراسة الواعية بالرغم من دقة القواعد، إلى تحديد الطرق وكشف الأساليب التي بواسطتها تحقيق النصر خلال معارك في الماضي القريب، وربما نصل أحياناً إلى تحديد الإتجاه ومعدل التطور هنا وهناك. فهل نتيجة لذلك نكون قادرين على توقع

المستقبل بناء على هذه المعلومات التاريخية؟ كلا. إننا غير قادرين على ذلك إلاّ خلال فترة زمنية محدودة. إن التاريخ لا يرسم منحنياً منتظماً مستمراً، ولكن الواقع أنها تلتقي فيه وتتداخل اسباب كثيرة مختلفة ومتناقشة، لأن منحناه متغير في نقاط تمثل الحوادث: كالإنقطاع والإنحراف وإنعكاس الإتجاه. إنه في الواقع عبارة عن سلسلة متتالية من عناصر منحنيات محددة ومعروفة تبدو وكأنها من أول وهلة ظاهرة نتيجة الصدفة. والتوقع ليس إطالة لإمتداد منحنى وحسب، ولكنه يشمل بنفس الوقت تخيل الأحداث التي قادرة أن تعرقله وهذا عمل صعب جداً.

الخيــال

إن التاريخ الواقعي، والذكرى الواضحة، ودراسة الماضي الحقيقي، لا تحد من خيال رجل العمل، ولكنها على العكس تشجعه وتخضعه لوتيرتها، وتحدد له الإتجاهات التي تسمح وتكرر حالات الفشل والنجاح عليها بتوقع الإفلاس أو التفوق. وللتخيل بشجاعة وفي حالة صحيحة، على المرء أن يضع في إعتباره أن يبدأ الملاحظة بشكل منهجي. ولكن علينا أن لا نحدد للخيال إستعمال طريقة معينة. إن الخيال في أعماقه عمل خارج المألوف، إلى جانب الحرية المفرطة. والواقع أن الخيال يعمل بطريقة مختلفة من شخص لآخر، إنه أحياناً يكون للبعض إلهام مفاجئ تجميعي، ولكنه بالنسبة للآخرين عبارة عن ومضات مصباح تشع نورها وسط الليل في مختلف الإتجاهات. ولكنه حقيقة بالنسبة للجميع بما في ذلك المجانين لا ينفصل عن الحقيقة أو الأشياء المعقولة التي تمنحه قاعدة إنطلاقه. وفي الواقع أنه يتمتع بقدرة على التقدم بشكل أسرع من الحقيقة، لأنه يكتفي لتأمين سيره بافكار لا تكفي الواحدة منها لإيصاح شيء، ولكنها تصل إلى الإجناح بفضل تعددها، كمال قال (باسكال) ومقارنات وتشابه ورموز، ولكنه لا ينفصل عنها خلال تقدمه، ويسعى دائماً إلى التماسك معها. إنه يمثل جسر يقفز من ركيزة ليتعدى حفرة، على أن يستند مرة أخرى على ركيزة أخرى، إذا أراد أن يتجاز حفرة أخرى. والخيال يرغب إلى تجاوز العقلانية، وفي بعض الأحيان يصل

إلى ذلك، ولكنه يبقى متوازياً معها. والخيال في الحقيقة التي يجب أن نعرفها أنه كالإستنباط التاريخي تماماً، معرضاً للسقوط في كل لحظة، نتيجة للخطيئة المتمثلة في الخلط بين التوقع وعملية تمديد المنحنى (الذي يرسمه الماضي والحاضر). وهذا أمر هام جداً للمؤلفين الذين يكتبون الخيال العلمي. إن أكثر هؤلاء المؤلفين وأكثرهم شهرة مثل (جول فيرن ـ ويلس) يكتفون بتخيل الأمور كيف تصبح في المستقبل، إنطلاقاً من بداية تطور لاحظوا وجودها في الحاضر، وهذه الوسيلة غير كافية لنا وتؤدي إلى العكس إلى تزايد الخطر الذي يهددنا. ولا يهتم الخيال عند إندفاعه لعامل الوقت، ولكن كل إهتمامه ينصب على العمل. لا شك اننا نريد في الحقيقة توقع آثار الأسلحة المحتملة في المستقبل على تقدم الفن العسكري، ولكننا في الواقع نشتبك خلال الحرب بما نملكه وليس بما نريده أو نتوقعه. ينبغي للعقل أن يضع في الزمن صور المستقبل. والخيال المجدي هو الخيال الملم جيداً بالمعلومات الخاصة أو العوامل المؤثرة على شكل وسير العمليات الحربية: (العوامل السياسية والنفسية والتكتيكية والتنظيمية والتكتيكية) والقادر على تصور تأثيراتها المتبادلة والخاضع بفضل العقل لإيقاع الزمن. إن أول ما يدفع الخيال هو التجمع الصدفي للأفكار والمفاهيم والصور، ولا يمكن أن يكون الخيال مفيداً إلاَّ في حالة معرفة الكثير، وكذلك ليس من الممكن أن يصبح مثمراً إلاَّ في حالة معرفة الأمور بشكل جيد. وبالتالي يتم مراقبة الفرضيات التي توصل إليها الخيال نتيجة لتجاربنا ومناوراتنا في وقت السلم، بغض النظر عن تطبيقها سواء كانت بواسطة الوحدات أو بدونها، ولكن هذه المراقبة ناقصة، بسبب أن هذه المناورات والتمارين تعطي أحياناً نتائج ناقصة ومشوهة، فإذا لم نضع في إعتبارنا ذلك جيداً، اعتمدنا في الواقع على نتيجة تلك النتائج على صور خادعة.

أما أسلوب الحالات الملموسة التي تشمل إظهار العقيدة عن طريق المقارنة بين عدة حلول مختلفة لحالات خاصة، بدل إستنباطها عن طريق المحاكمات العامة

النظرية، فلا بد من إجبار الفكر على التدقيق والواقعية، ونتيجة لذلك تحضر العمل الذي لا يقبل الإكتفاء بالأمور المجردة الغامضة، والواقع يؤكد لنا أن تطبيقها منفردة تعرضنا إلى الخطر، ولقد بانت أخطارها منذ أن ضعفت قاعدة الدراسية التاريخية في الجيوش. والواقع أنه إذا كانت معطيات الحالات الملموسة معينة بصورة خاطئة، عند ذلك يصعب علينا أن نمنع أنفسنا عند لحظة إختيارها أن نتخيل الحل أو الحلول الممكنة، وعندما نجد هذه الحلول خلال التمارين، نجد أننا لم نلاحظ في التمارين إلا ما جعلناه نحن فيها سابقاً.

وعند ضرورة مراقبة العقيدة، تضطر الحالات الملموسة إلى الإعتماد على عقيدة تاريخية. أن أفضل طريقة لازمة لإعداد عقيدة عسكرية هي أن تبدأ من قاعدة تاريخية صلبة. كان للفكر الناقد عمل أساسي في إنشائها، وينبغي الإعتماد على خيال مسلح بمعلومات وافرة عن الظروف المتوقعة خلال الصراع المقبل، لإنشاء فرضيات نسخرها بعد ذلك للمراقبة، بواسطة دراسة حالات ملومسة متعددة، وعلى الجميع أن يعرفوا هذه الطريقة بدقة، حيث أنهم يشتركون فيها حسب حدود مستوياتهم. إنها طريقة مستمرة الإستخدام، فالعقيدة لا تتغير بين حين وآخر بشكل مفاجي. إنها مبدأ مستمر، وهي كمعظم القضايا الإنسانية تحافظ على نفسها عن طريق الوسائل التي أنشأتها، وهي مستمرة التطور، وكل جيش يفقد هذه المرونة الحيوية يتخلخل وينتهي، وعندما يضع كل إيمانه بالفوائد المستمرة لقواعد تعلمها، يتجه نحو الهزيمة الحتمية. إنها وسيلة تتطلب إحترام قواعدها بشدة، طالما الجهاز العسكري عاجز خلال السلم عن إثبات قيمته.

ولو إتجهنا إلى الحياة العامة لوجدنا أن الصناعي ورجل الأعمال خلال صراعهما اليومي يعرفان أهمية التنافس كحافز، كما أنهما يعرفان عواقب الفشل والنجاح مهما كان محدود، وهذا ما يدفعها إلى العمل والتخيل والتوقع، بينما القائد العسكري لا يحس وخزات هذه المهاميز. ولكن ينبغي لإدارته أن تحث بإستمرار فكرة الناقد، وتحرك خياله وتخلق إندفاعه وتحافظ عليه. وغالباً يكون عقاب القائد العسكري غير

أكيد، لذلك تحاول النفوس الضعيفة تجنبه، بينما عندما يأتي يكون رهيباً. إنه عار وإزهاق أرواح بلا جدوى إضافة إلى بؤس الوطن.
والذي يجب أن نضعه في الإعتبار دائماً أننا لا نملك لمنع عقيدتنا سوى وسائل ناقصة فمثلاً: المحاكمات التي تخطئ عندما نطبق على موضوع كالتاريخ لا يمكن قياس كل عناصره، والخيال الذي نشك بنتائجه، وتجارب زمن السلم المبتورة والتي تحمل بعض الأخطاء. ويتطلب قصور وسائلنا الدائب. ومقارنتها المستمرة بالإستنتاجات المؤقتة والجزئية، فإن حصل ذلك إستطعنا تخطي إنحرافات العقيدة، كالإنحرافات الشائعة وقت السلم.
إن التجارب الماضية لا تستطيع الإحتفاظ بجدتها وجاذبيتها بعد العيش بسلام لمدة طويلة. ويتجه العلم العسكري إلى الميلان نحو الإنحراف بإتجاه العقلانية المطلقة، ولكن يبقى الإحتفاظ ببعض القواعد العامة الكبيرة، التي يتجه القياس المنطقي ليأخذ منها سلسلة لا تنتهي من الإستنتاجات، وينحدر الفكر شيئاً فشيئاً، حتى يصل إلى تجاهل غير واعي للحوادث. عند ذلك تظهر بعض الكتابات المنمقة بإغراء الأفكار وسحبها بعيداً عن حدود الإعتدال كما حصل قبيل عام ١٤١٤م عندما جذبتها إلى تبني عقيدة الهجوم بلا تحفظ. وعلى العكس يظهر بعد الحروب الكبيرة حذر غريزي في بعض المؤلفات الفكرية التي تمثل بعض الخطر. ولكن ينبغي ألاّ يسوق إحترام الوقائع إلى التشاؤم الذي ينتهي بنا إلى الركود، كالذي حل في العام ١٩٣٩م بإتخاذ الدفاع الثابت المثل الأعلى.
إن الفن العسكري الفعال ينشأ على قاعدة تاريخية قوية نتيجة للجهاد الواعي والمستمر الحذر، الذي يقوم به العقل ويدفعه الخيال بلا توقف، وتراقبه تجارب السلم وتوجهه. وبذلك لا غير يمكن أن نحقق الخلق المستمر.. المغذى بالتجربة والقوى بحس دقيق لمعرفة الإمكانات.
إن الحقيقة المتحركة تحتاج لعقيدة تكون طريقة الإنشاء أفكار العمليات، وليس نظاماً لوصفات جامدة لا تتغير.

الفصل الرابع

الحالة الخاصة

على المرء ألّا يقاتل بلا هدف،
وعلى المرء إلّا يقاتل بدون مخطط

الحالة الخاصة

لكي نتعرف على طبيعة الحال الخاصة، فلا بد أن نعرف أنه ينبغي للمرء ألاَّ يقاتل بلا هدف وكذلك لا يقاتل بدون مخطط. وبناء على هذه القاعدة، ينبغي للقائد عندما يناقش الحالة.أو الظرف الذي أمامه، أن يمارس ذلك بفكر متحرر من القوانين والقواعد والمبادئ التي سبق أن درسها. على أن يتصف فكره بالانفتاح والرغبة الصادقة للاستطلاع ، وفي الواقع أن قواعد عقيدة القتال تجعلنا مضطرين أن نعامل الحوادث بعنف، فليس من المعقول أن نعود إلى تشويه الوقائع التي نقابلها لكي نجعلها تلائم نظريتنا. إن حالة الأشياء خلال الصراع لا تخضع لمقاييس جامدة. ولا شك أن الهزيمة تكون من حظ من يريد تقييد حوادث القتال بقيود يرى أنها لصالحه. ولقد قال نابليون: (يا لتعاسة الجنرال الذي يسعى إلى ميدان المعركة بمنهاج جامد). والواقع حسب التجارب والتاريخ العسكري أن كل حالة خاصة تعتبر عقيدة عسكرية بحد ذاتها قد لا تشابه موقف آخر. وفي هذه الحالة لا بد من ملاحظة الحالة الخاصة المقيمة من واقع صفاتها الذاتية بدون أية تعديل. وعند ذلك نجد أنفسنا غير مضطرين إلى تذكر القوانين والتصنيفات السابقة لوضع الحالة الراهنة في جوها التقريبي. ما هي المسافة التي تفصلنا عن العدو، ما هو الوضع الأفضل لنا الهجوم أو الدفاع، ومن الممكن استخدام تعبيراً آخر هو في أية مرحلة من مراحل القتال وضعنا، ومن المحتمل أن يلوح لنا شيئاً أو واقعة بدون عمل التحليلات اللازمة. غالباً ما نحصل على ما نريد من المعلومات من خلال مراقبة الجميع. والحقيقة التي يجب أن يعرفها القائد أن الطريقة أكثر بساطة وتأكيد عما يتخيل عادة، فالملاحظة الواقعية للواقع، ولا سيما لدى الإنسان المتطور قد يصيبها التجريف، لأن فكر الإنسان يتجه غالباً إلى تحويل ما يلاحظ باتجاه ما يعرف. والمرء غالباً يظن ويعتقد أنه يرى الظواهر الأولية لما يخافه أو يغرب فيه، واعتماداً إلى توجهاته وأساليبه التي سبق أن إعتاد عليها يحول

الحقيقة إلى مجردات سهلة في المحاكمة. ولكن تظهر الأفكار نتيجة ظاهرة المشاركة التي يتصل بعضها مع البعض الآخر. وعند ذلك يرتسم في خيالنا بوابة عمل مخطط لمشروع غامض ومختلط وناقص كذلك، ولكن تظهر عليه في عدد النواحي المختلفة نقاط أكثر وضوحاً ونقاوة من غيرها، وعندما يحصل ذلك تبدأ لحظة تقييم هذه الأجزاء وإكمالها، إذا كان بالإمكان عن طريق التحليل الموضعي الدقيق لمعطيات المعضلة. وليس بإمكان هذا التحليل تضليلنا، لأنه يجذبنا بإتجاه تفصيلات جذابة سطعت عليها الأضواء، لأن نتائجه محددة منذ هذه اللحظة على أساس حدود المنظر العام الذي رسمناه، والسؤال الذي تقدمه مباشرة جميع المعاضل القتالية، وكذلك أية بمعضلة من معاضل العمل هو : ما هي المسألة؟، ماذا علينا أن نعمل؟ وبذلك تبدأ دراستنا من النهاية، ونقصد بالنهاية بمعناها، المعنى الفلسفي والذي يهدف إلى الهدف المراد الوصول إليه، إلى جانب المعنى الشائع المتمثل بالأخير في التسلسل الزمني. إن المهمة والوضع هما العاملان اللذان يحددنا كل الأعمال المتعلقة بنا. ولا شك أن الوضع أو الموقف كان موجوداً قبل المهمة، ولكن يجب البحث دائماً في البداية بالمهمة، وهي تمثل الهدف الواجب علينا تحقيقه. فالمهمة تصدر عن طريق السلطات العليا وتتضمن غالباً معطيات أساسية إضافة إلى الواجب في الوحدة تحقيقه، إلى جانب الحدود الملموسة لميدان عملها فيما يتعلق بالإتجاه والجبهة والمدة. ويصدر إلى جانب ذلك في أغلب الأحيان معطيات إضافية مصممة لتوجيه البداهات في الموقف المفاجأة الغير متوقعة، وغالباً ما تتعلق في مهام الوحدات الأعلى والوحدات المجاورة، إضافة إلى ذلك يصدر بعض الأحيان معطيات محتملة إضافية تحدد درجة الحركة المحددة للقائد مثل: الخط الذي لا يمكن تجاوزه دون أمر جديد، إلى جانب معلومات تتعلق بالقوات الإحتياطية، وكذلك حدود إستهلاك الذخيرة، وتشمل كذلك قيود الحركة على الطرق وقواعدها.

وبعد بيان المعطيات التي تصدر من الأعلى بإختلاف أنواعها واتجاهها نعود لأهم

شيء في العمل وهي المهمة التي تشكل بحد ذاتها أمر، وهي تمثل روح الأمر، وعلى القائد قبل الإنصات لأية أمر أن يضع في فكره الفراغ والصمت، ولا شك أن معرفة وفهم الأوامر تتطلب الإرادة وتركيز الأفكار. وعلى القائد أن يقرأ المهمة بتواضع فكري عميق، لأن المهمة تتطلب بديهية العمل على أن يقف الفكر الناقد أمامها صامتاً، لأن هذا الوقت ليس وقته. إلاَّ أنه سيعود إلى الميدان فيما بعد. ولكن إسكات الفكر الناقد في هذا الوقت صعب ولو لوقت قصير، لأن الواقع يؤكد إختلاف القادة ولكل واحد منهم نظره أو فلسفته الخاصة وحقل رؤية خاصة كذلك يتلاءم مع مستوى القيادة الذي يشغله، والقائد غالباً يتوقع وهذا العمل يعتبر من صميم واجباته، وبالتالي يدفعه توقعه واندماجه في العمل إلى تحديد مهمة لنفسه، قبل أن يستلم مهمته الجديدة. والحقيقة الواقعية أن بعض القادة لا يتقنون في مثل هذه المواقف والظروف قراءة المهمة، لأنهم يجهلون فن القراءة نفسها، وسبب ذلك أنهم يندفعون خلالها تحت تأثير الميل والهوى، ولا يدخل عقولهم من الأوامر إلاّ ما يتلاءم مع أفكارهم الخاصة. لذلك ينبغي لنا عند قراءة الأمر أن نأخذ الحذر والحرص من أنفسنا. ومن الحكمة أن يقرأ القائد المهمة المسلمة له من السلطة العليا بصوت عالي، أو أن يكلف أحد أعوانه يقرأها عليه. فالأذن أكثر بدائية من العين ولكنها أشد إخلاصاً.

أما ما يتعلق بالإلمام بالوضع، فهو يفسر تعيين المنطقة التي سنعمل فيها، وهذا يؤكد تأمين الضمان الجديد لمستوى قراءاتها وتأثير أعمالنا. ويشمل التعيين المشار إليه عدد مختلف الجوانب من العوامل المتعددة، كالخصمين المتصارعين، والأرض، والوضع الجوي، إضافة إلى العوامل أو العناصر الممكن حسابها من مختلف معطيات الوضع، وتتعلق بالعوامل الخاصة بالأشياء الملموسة كالجو والأرض وعدد المقاتلين والأسلحة ونوعها وإمكاناتها، وكذلك وسائل النقل إلى جانب الإمكانيات الإضافة، أما العوامل الأخرى الخاصة بالعامل النفسي والمعنو ي فليس من الممكن حسابها بالأرقام، ولكن من الممكن

أن نقدرها بواسطة الفكر الحساس والدقيق، وينبغي أن لا يغيب عنا معلوماتنا مضمونة الدقة ولكنها معرضة للخطأ وعدم الدقة والخلل كذلك، وترتفع نسبة الأخطاء التقديرية، وبالتأكيد عندما تخص المعلومات عند العدو، لأن العدو يعمل بأقصى ما يستطيع بالكذب علينا والعمل ما إستطاع لخداعنا بجميع ما يتعلق بأعماله ونواياه، وهل يريد الدفاع أو الهجوم. وفي حالة إلتماس معه، هل نحن نلامس المقدمة أو القلب أم مخفر أمامي أو مركز مقاومة أو دورية أو مركز مقاومة رئيسي، ولكن ذلك واجب إستخباراتنا لكشف خداع العدو إضافة إلى بيان قيمة وأهمية قواه وتشكيلاته وكذلك بيان الفترات اللازمة التي تحتاجها مختلف خطوط القتال لديه للإشتراك الفعلي في القتال وكذلك درجة إستعداده للمعركة وكذلك كفاءة قادته ومعنوية أفراده، وإنطلاقاً من ذلك نتمكن من دقة الإستنتاجات التي نتوصل إليها فيما يتعلق بإمكانات العدو، لكن نأخذ حذرنا، وفيما يتعلق بإرادته لكي نعمل. أما ما يتعلق بقواتنا والقوات المجاورة فيمكن تقديرها بعوامل بسيطة كميزان القوى والقوات الجاهزة للإشتباك بالإضافة إلى قيمة القوى المتوفرة ونسبتها بالنسبة إلى عرض الجبهة، وهذه معلومات من السهل تقديرها بدقة كافية وصحيحة. ولكن عند تقدير درجة إستعداد وحداتنا للقتال، وتقدير القيمة المعنوية للقادة والوحدات تظهر لنا الأخطاء بشكل واضح وخطير، أما ما يتعلق بالأحوال الجوية والوقت والأرض فغالباً ما تكون ثابتة ويسهل قياسها، لأننا نعرف الطقس والفصل رغم حدوث بعض التغييرات المفاجئة والغير متوقعة، وبنفس الوقت نعرف وقت شروق الشمس وغروبها، ودرجات الإضاءة القمرية في حالة الصحو، علماً أن الأرض تعطينا معطيات دقيقة وثابتة في أغلب الأحيان، إذ أن معرفة الأرض جغرافياً تساعد في إستنباط مجموعة من النتائج العسكرية والتي تخص إمكانية الحركة وشبكة الطرق وطبيعة مجاري المياه، إن وجدت، وتحديد المناطق المأهولة، والأرض بطبيعتها نوعين مكشوفة أو مغطاة.

وعادة ما تدرس الأرض في البداية على الخارطة، ويتلو ذلك إستطلاع الأرض نفسها. وغالباً ما تكفي الخارطة في الواقع لإعطاء شكل أو منظر بشكل عام يتميز بأبعاد متناسبة وصحيحة، ولكن المراقبة المباشرة للأرض تزود المراقب للأرض بمناظر مقسمة ومشوهة، لتأثر المراقبة بتدخل أفكار المراقب وما يريده وما لا يرده ويخافه فيما يتعلق في تعديل المنظر المائل أمام المراقب. ولكن الواقع أن المراقبة المباشرة تحقق تدقيق بعض النقاط الغامضة على الخارطة. والحقيقة أن الإستخدام المتعاقب لمعرفة الأرض سواءً كان عن طريق الخارطة أو المراقبة المباشرة تعطي إمكانية تحديد الخطوط الكبرى للمنطقة كالوديان والجبال والهضاب، وتسمح في نفس الوقت بتقدير نقاط الإسناد الطبيعية كالغابات والقرى، إلى جانب كشف نقاط الملاحظة.

وإذا تطرقنا خلال الدراسة إلى مفهوم الإتجاه، ووضعنا أنفسنا في مواقع العدو حيناً وفي مواقعنا حيناً آخر، تمكنا بذلك من تعيين المواقع المرئية والمستورة وتقاسيم الأرض المختلفة، وتحديد الطرق المناسبة التي تؤدي إلى ميدان المعركة .. إلخ.

وجميع ذلك يعتبر معلومات ثمينة ودقيقة، لذلك فالأرض تعتبر الصديق الصادق المخلص للقائد العسكري. ولا شك أن الأرض هي الساعد الأيمن للقائد لكشف تضليل وخداع وأكاذيب العدو الجاثم على تلك الأرض. ورغم الجهود التي تبذل خلال التحاليل ليس بإمكاننا الوصول إلى تأكيدات مطلقة أو معرفة لجميع المعلومات الوافية التي تغطي الموضوع، لأن هناك أخطاء كثيرة ونقص في وضوح المعطيات، ونجد أنفسنا في هذه الحالة كما يقول (كلاوزفتر) "نسبح في ضوء القمر"، ولكننا مخططنا الذي بدأنا برسمه يسير نحو الكمال في عدد من النقاط وإن كان لا يغطيها كاملة، ولكن يتحقق زيادة الدقة في أماكن أخرى. ولكن كلما سبق ذكره، سيواجهه بنقد يتمثل: وهل الوقت كافي للقائد بدراسة أكيدة ودقيقة لكل ما ذكر، والجواب نعم. هناك الوقت الكافي لعمل أكثر من ذلك، إذا عرف القائد تنظيم وقته. فالقائد لا يعمل بمفرده ولكن بجانبه هيئة أركان متكاملة

ومتعاونة، فالمساعدة التي تقدمها هيئة الأركان توفر للقائد وقتاً ثميناً، بشرط أن يتخلص القائد من الفكرة القديمة المتمثلة بأن على القائد خلال جميع الظروف أن يغطي كل شيء بنفسه، وهذه نظرية خاطئة ومضيعة للوقت بدون فائدة ترجى من ذلك. ولكن القائد الحقيقي يحتفظ لنفسه بالأعمال التي ليس بإستطاعة الآخرين عملها. ولا شك أن الوقت يمضي للجميع بشكل منظم، سواءاً للقائد أو هيئة الركن، ونعرف أنه ليس في اليوم سوى أربعة وعشرين ساعة. لهذا على هيئة الأركان تقديم إيجازاتهم وقضاياهم بشكل موجز، بعد تحويلها إلى عناصرها الحقيقية، والواقع أن الحقيقة لا تتصف غالباً بالسهولة والوضوح. وقد يحدث أخطاء تعكر أعماقها عند توضيح وتبسيط مظاهرها. ولا شك أن هناك مواضيع معقدة بطبيعتها، وبالتالي يؤدي الرغبة في إيضاحها وتبسيطها الزائد إلى تشويشها ومسخها. والحقيقة التي يجب أن لا تغيب عن بال أية قائد، أن القائد الذي يوجه مساعدة بأنه ليس لديه سوى دقائق محدودة أمنحها لك لإيضاح ما عندك عليه أن يعرف أنه يطلب المستحيل. لأن القائد المشغول الذي يريد أن يغطي ويعرف كل شيء بنفسه، لا يتحصل في نهاية الأمر غير بعض الأفكار المبهمة والمضللة والسطحية. لأنه يعتمد على العموميات والأفكار العامة الغير كافية لمساعدته لإتخاذ قرار سليم. لذلك المطلوب من القائد توزيع العمل بشكل مثالي، وأن يحول بعض المواضيع ذات الأهمية الأقل أو الثانوية إلى مرؤوس يثق به، وبالتالي يوافق على إستناجاته بعد تأكده من عدم معرضتها لخط مشروعه العام، على أن يكرس نفسه لدراسة وتحليل بشكل دقيق المعضلات الرئيسية التي تعود عليه بالنتائج الحاسمة على أن يعين لها الوقت الكافي لفهمها، ويهتم بتفاصيلها الدقيقة عند اللزوم، وهذا يمثل الضمانة لنجاح الحالة المطروحة، وتعتبر تمريناً للقائد لمجابهة الحالات التي يفرض عليه الموقف حلها خلال وقت قصير. لذلك نجد أن الذي يدرس بعناية محتوى حالات ملموسة خلال التمارين وقت السلم أو خلال الحرب عندما يسمح مضمونها بذلك يصبح عند الحاجة يستطيع دراسة

الأشياء بسرعة. ولا شك أن تجاوز تفاصيل المحاكمة يؤدي إلى إستنتاجات أقل دقة، ولكنها مناسبة لمعطيات المعضلة، كما يصبح القائد أهلاً للملاحظة مما يعطيه الثقة بترك ما يستطيع بين أيدي مساعدين دون أن يكون ذلك تهاوناً منه. ولإختبار تواضع القائد الفكري، يمكن أن يطلب منه أن يستشير مرؤوساً مؤهلاً وخاصة في بعض الأمور التي يحتفظ بها القائد لنفسه. علماً أن من أهم صفات القائد الناجح قدرته على الإصغاء. ولا شك أن ذلك يصطدم مع الفكرة التقليدية للإنضباط المتشدد التي إنتشرت بين الحربين العالميتين بشكل كبير والتي أدت إلى كثير من النكسات. والواقع أن القائد ليس بإستطاعته الإلمام بكل الأشياء، وليس من الممكن إعتباره أذكى الناس وأمهرهم. أما ما يتعلق بالمرؤوسين الذي يترفع عن إستشارتهم فهم ورثة منصبه، إنهم قادة المستقبل، ومن الصعب وغير المقبول إعتبار الخلف أقل كفاءة وفهماً وأضعف إدراكاً من سابقه، وإلاّ كانت الأمم تنحدر إلى الخلف دائماً، ويعد تعاقب الأجيال الماضية إلى أسفل درك. إن تلك الفكرة الشكلية البليدة وغير المجدية عن الإنضباط، والتي تمنح القائد حصانة خيالية لا صحة لها، لا يؤمن أو يعتقدها أحد، لا تستحق سوى السخرية، ولنكن صادقين مع أنفسنا لقد سببت لنا هذه الفكرة الخاطئة كثيراً من النكسات والآلام، ووجهتنا إلى الخلط بين الإنضباط والتزمت الضيق، وفي نفس الوقت قادتنا إلى إشغال المناسب والأعمال الهامة بمرؤوسين يتصفون بالنفاق والخنوع، ويفتقرون إلى الفكر الناقد أو الشخصية القوية. ولقد قال (إيتين أبو الدبابات المنتصر والقائد اللامع) قال مازحاً: (لا يملك العقل شرائط وحبذا لو يكون عند الشرائط عقل). ولكن الجنرال صحح مقالته السابقة عندما بدل موقفه من الهزل إلى الجد عندما قال: (ليس للحقيقة شرائط ونجوم، ولا تملك هذه الأشياء إلاّ القرار). وهذه هي عقدة القضية، وهذا يمثل الإنضباط الحقيقي، على القائد أن يعرف طريقة الإصغاء إلى مستشاريه وأن يستخدمهم ويأخذ بآرائهم إذا لزم الأمر، دون أن يكون لذلك أية تأثير على حرية القرار، الذي يملك القائد نفسه حق إتخاذه

بفضل مستواه ومسؤوليته ويجب أن نعرف أن القائد ليس عالماً وعرافاً أو ملهماً من السماء، إنه في الواقع عبارة عن رأس مكلف بإتخاذ القرارات، وهذا واجبه الرئيسي وفي حالة فشله في هذه الوظيفة يحط من قيمته، أما ما يتعلق بإستشارة المرؤوسين وطلب مساعدتهم فلا يحطان من قيمته أبداً. لذلك قال نابليون: (على المرء أن يكون بطيئاً في الإستشارة والدراسة وسريعاً في التنفيذ).

❁❁❁

الفصل الخامس

القـــرار والتنفيذ

هناك مسافة واسعة بين الرغبة والإرادة
وبين الإرادة والتصميم، وبين التصميم
واختيار الأساليب وبين اختيار الأساليب والتنفيذ

القرار والتنفيذ

إن إنعدام الدقة مع عدم التأكد يلعب دوراً مهماً في القضايا الإنسانية، حيث أنهما أكثر إحتمالاً من الحزم، وليس من السهل أن تستطيع الأسباب فرض شروط حتمية على الحدث، ويبقى هناك من الإحتمالات الممكنة الأخرى، وهذا يترك بلا شك مجالاً واسعاً للإختيار بحرية. أما خلال الحرب فالموقف يختلف لأن أمامنا عدو يملك الحرية المطلقة في قراراته، وبالرغم من ذلك فعلينا في وقت من الأوقات أن نعمل بغض النظر عما هي رغبتنا، إضافة إلى نقص المعطيات المتوفرة عندنا، وينبغي أن لا نندفع إندفاع الأعمى، ولكن يجب أن نقرر إتجاه العمل وأشكاله. وعلى التحليل أن يقودنا إلى المركبة، وهذا يدفعنا إلى الإستنتاج، وحيث أننا لا ندرك ولا نعرف إلا القليل والقليل جداً من العوامل المليئة بالشك والأخطاء الضبابية، فعلينا الإختيار وبكلمة أخرى أن نغامر بدون شك أو تردد. إن العقل الذي يعمل بما لديه من المعطيات الضبابية المبهمة في أغلب الأحيان، وغير صحيحة في أحياناً أخرى، إضافة إلى ذلك ناقصة ومتحركة دائماً، من الصعب أن تصل إلى تأكيدات حسابية، ولكن تشمل إستنتاجاته نسبة من الصدفة. وحقل إحتمالات. ومع ذلك علينا أن نعمل، حيث أن المهمة وعمل العدو وضغط الوقت يجبرنا على العمل، وهناك أوقات يزداد خلالها خطر التخاذل، لأن اللحظة المناسبة لإنطلاق العمل أكثر أهمية من نوعية العمل نفسه. إن عدم الدقة في مجال الدراسة وإعداد العقيدة أحسن من خطأ المحاكمة، أما في مجال الصراع فالتخاذل هو المسؤول الوحيد لأنه هو الجريمة. وبناءاً على ذلك فإن القائد العسكري مضطر أكثر من أي شخص للعمل في ظروف مظلمة قاسية، وهنا تكمن عظمته.

ولقد قال (باسكال) (ليس هذا إرادياً، ولكننا مدفوعون، وعلينا أن نراهن) وينطبق

رهان (باسكال) على إرادة النصر. والأمل الحسابي ناتج عن نتيجة الكسب بالحظ، إن الكسب عن طريق الرهان الميتافيزيقي هو اللانهاية، فإذا إنعدم احتمال وجودها أصبحت المراهنة نوعاً من السخف، لأن اللانهاية محتمل، في هذه الحالة نقدم للرهان كل شيء ونطبق خلاله أفكار الإرادة التي لا يفهمها العقل. إن كسب النصر شيء رغم أهميته لا يوازي إدارك الحقيقة الإلهية، والحقيقة أن النصر يتعلق في المجالين الزمني والفكري. لهذا ينبغي لنا أن نغامر ونراهن عندما يقودنا التحليل المنطقي والعقلاني على وجود نسبة معقولة من الاحتمالات التي تحقق النجاح، فرهاننا هذا دليل على الإيمان.

قال (فوش) إذا كان عليَّ أن أتخذ قراراً تتعلق به آلاف الأرواح البشرية فدرست واستشرت، ولكنني لم أتوصل في النقاط الخطيرة إلى قناعة كاملة بالحل المطروح أمامي، وتساءلت أهجم أم انتظر؟ وهل أدفع الهجوم من اليمين أو من الشمال؟ وكان هناك فرص واحتمالات متساوية أمامي، عندئذ وبعد أن استنفذت كل وسائلي توكلت على العناية الإلهية وانطلقت). وهذا الكلام لا يبتعد كثيراً عن كلام (لويس الرابع عشر) (تفضل الحكمة أن تترك في بعض الظروف شيئاً للصدفة، إذ ينصح العقل عندئذ بإتباع حركة أو غريزة عمياء تسمو على العقل وتبدو قادمة من السماء) وبناءاً على ذلك علينا أن نفهم أن في كل قرار قسماً كامناً من الصدفة، يتمثل في قسم القائد.

غالباً ما يكون القرار ناقص في حد ذاته، ويشمل شيئاً من الخطأ، وواجبنا العمل بقدر المستطاع على معالجة هذه الصفة إلى أقصى الحدود من الضعف، كما ينبغي العمل بجد لإنقاص حقل الإمكانات لغاية أن يصل إلى حقل إحتمالات، حيث أنه في حالة عجزنا عن معرفة أغلب الأفكار صحة، أصبح علينا إتخاذ أكثرها إحتمالاً. ولكن نقص المعطيات وكثرة أخطائها، أصبح من واجبنا مضاعفة التفكير والتوقع، وإذا أهملنا ذلك منحنا المجهول والصدفة فرصة غير مقبولة. ويقول نابليون: (يجب أن نهب في كل ما نعمل الثلثين للعقل والثالث للحظ، فإذا ما زاد القسم الأول كنا جبناء، وإن زاد الثاني أصبحنا متهورون). ونحن نعرف تماماً أنه لا تتم محاولة الوصول إلى

شيء دون الإيمان، كما أنه لا يمكن تحقيق الوصول إلى شيء معقول دون نقد وتحليل. ولكن بعد أن يضيق حقل الممكن إلى أبعاده المحدودة، يبقى للقائد خطوة واحدة يخطوها.

على القائد قبل أية عمل تحديد أبعاد رهانه مثلاً (هذا ما أعرفه عن العدو، وهذا ما سأفعله، وهذا هو هدفي). وعليه بنفس الوقت أن يعين بشكل واضح هدفه بحدود أبعد منطقة يتوقع الوصول إليها، على أن يترك هامشاً للحظ، إذاً ما هي الصفات التي تمنح القائد إلهامه الذي يستعين به لطرط الظلال من الأفق ويعطيه القدرة على إكتشاف نقاط الضعف عند العدو وإكتشاف المناورة التي تحقق المفاجأة. فهل توجد مثل هذه الصفات؟ نعم وبكل تأكيد لقد كانت موجودة، ويوكد نابليون ذلك في جملة من جمله المعبره والمباشرة، إذ قال: (تبقى الصدفة عجيبة بالنسبة لذي الأفكار المتوسطة، ولكنها حقيقة بالنسبة للمتفوقين) ولا يبتعد هذا الأسلوب عن مقالة (لابروبير) عندما أنهى إيجازة وتأكيده على الطريقة الإمبراطورية: (إن المقاتل والسياسي والمغامر والماهر لا يصنعون الصدفة ولكنهم يعدونها ويجهزونها ويبدأون وكأنهم يحددونها إنهم يعرفون إستخدام الصدفة السانحة، وهذا أمر يجهله الغبي والجبان، كما يتقنون إستخدام حذرهم وتدابيرهم للإستفادة من هذه الصدفة أو تلك فإن جاءت هذه النقطة ربحوا وأن جاءت النقطة الأخرى ربحوا أيضاً. وقد تجعلهم نقطة قادرين على الكسب بأشكال متعددة.. ويمكننا أن نمتدح في هؤلاء الأشخاص العقلاء حسن الحظ وحسن التصرف، وأن نكبر فيهم الصدفة والتعقل. ويعتبر الخيال في الصف الأول من الصفات العجيبة، التي تمنح القائد القدرة لكي يمنح الصدفة معناها الحقيقي ويحدد مكانها. وفي الواقع أن الخيال يعتبر وسيلة النبوغ والمغامرة للفكر البشري، وله دور لا يستهان به فيما يتعلق بأمننا الذي لا يمد بصلة بالمعلومات والمواضيع كما كانوا يرددون بشكل غير صحيح تعلقه بدرجة دقة توقع القائد لتصرفات العدو، وفي الواقع أن الخيال هو مدبر اللعب فيما يتعلق في مجال المفاجأة الكبير

الواسع، والذي هو في الحقيقة يغطي كل أنساق التسلسل العسكري، والمفاجأة تتمتع بتأثيرات ودرجات متعددة، ففي حالة عدم قدرة الخصم لإمتلاك الوقت أو الوسائل الكافية لحماية نفسه، ففي هذه الحالة يكون وقع ضحية مفاجأة الخصم. وقد تفاجأ الوحدات الصغيرة، بينما تبقى الوحدات الكبيرة بمنئى عنها أو العكس. لذلك هناك يوجد أنواع وأشكال متعددة ومجهولة غالباً ومختلفة أيضاً. ولا يمكن تحقيق المفاجأة بالسرية فحسب، فهناك طرق أخرى يمكن اللجوء إليها لتحقيق المفاجأة منها، مثلاً:

١. إجراء مناورة لا تخفى على العدو ويعرفها، ولكن تطبق في زمان ومكان غير متوقعين.
٢. إجراء مناورة كلاسيكية لا يتوقعها العدو وقد أبعدها من حساباته لإستحالة تنفيذها.
٣. إستخدام مغدات قتالية لا يتوقعها العدو ولم تكون معروفة من قبل.

وفي الحقيقة أن الخيال مغري وجذاب، ولكن من الجنون الإعتماد عليه بمفرده، وعلى القائد أن يعتمد على ناصرين أكثر جدية من الخيال، وهما الحس السليم، وهو عبارة عن غزيرة تكشف شكل الأمور العام، والقدرة على قياس أو تقدير ما لا يمكن قياسه. أما الأمر الثاني الأكثر إخلاص للقائد من الخيال هي التجربة التي يمتد تاثيرها إلى التكوين الداخلي للفكر المعتاد على معالجة الحقائق فكرياً، وتعدل هذا التكوين بالطريقة التي تمنحه القدرة على مسايرة وتيرة الأحداث، ومطلوب من الحس السليم والتجربة أن يقوما بدوراً خاصاً فيما يخص الوقت، الذي يعتبر العامل الأساسي من معطيات العمل. أما بالنسبة لأوضاع القوى الخاصة في المناورة فليس لها إلاَّ أهمية ضئيلة، لأن من يقوم بإجراء المناورة يدور في الوقت ذاته معرضاً نفسه لمناورة الخصم، والذي يتقن وضع الثقل في الوقت المناسبة هو الذي يربح المناورة. في معركة التطويق الواسعة تصبح بلا فائدة، إذا إستطاع العدو بخرق الطوق من قبل إغلاقه والتخلص منه. والتكتيك يقترب من الديناميك

(العلاقة بين القوى والحركات). أما ما يتعلق بالسينماتيك فهي تتعلق بحركات الأجسام أكثر من إقترابه من الجغرافيا. ولكن المشكلة صعوبة تقدير عامل الوقت، إن الفكر البشري العادي يسهل عليه تحديد الإتجاه الرئيسي للأحداث في المواضع الإنسانية، وإختيار التصرف الأفضل، ولكن يصعب عليه تقدير سرعة الأحداث وتحديد المهل المفروضة.

ويقول نابليون: (الوقت هو فن البشرية الكبير)، والواقع أننا نتصرف بما دفعنا فيه حياتنا القصيرة الفانية، لذلك نجعلها مقياساً لكل شيء، كما أن تقديراتنا في الحقيقة غريزية قصيرة، وفي أغلب الأحيان يذهب فكرنا خلال مسيرات النتائج بسرعة تفوق الأحداث. والقائد العسكري الحقيقي هو من ينجح في حساب وقته وفي نفس الوقت يعرف كيف يتوقع ليستطيع تدارك الأمور في الوقت المناسب، يكون يملك الإستطاعة والنباهة الكافية لكي يدخل في الوقت المناسب عملاً معيناً خلال تعاقب الأحداث التي لا يعرف سرعتها ووتيرتها. ولكن الفكر البشري يقابل أشد الصعوبات عند التفكير بالمحتوى والحركة معاً، لهذا عادة يقوم بتقسيمها إلى صور متقطعة ثابتة، يعرف رجل العمل كيف يصنع من هذه الصور غرضه، أما النظري فيعتمد في دراسته على الفانوس السحري، يقول نابليون: (يجب أن نرى الإنسان الحي مثلاً على الخارطة والجبال والقوات السائرة). لقد أصبح تطور فكرة الحركة حساساً وذا أهمية جداً خلال عصرنا. لأن في وسائل النقل الميكانيكية إلى جانب الأسلحة المقاتلة المتحركة أدت إلى زيادة سرعة المناورة، وأصبحت الخطيئة أسهل وقوعاً وأشد خطراً. أما ما يتعلق بتحسين وسائل الإتصال إلى جانب أدوات طبع الأوامر والآلات الكاتبة الناسخة بما في ذلك الكمبيوتر وما أستحدث حديثاً كعدات إتصال مراكز العمليات. فقد سهل نقل الأوامر، ولكنه خلق ضعف الإنتباه إلى الأخطاء بشكل يهدد وسائل أمن القيادة بالخطر، فعندما كان نابليون يلزم نفسه بعمل جبار يتمثل في إملاء ست أو سبع رسائل بوقت واحد، وكان القادة يأخذون هذه القيود والفترات بعين

الإعتبار، وكانوا يعرفون أنه ما أن يأخذ مراقب من المراقبين إلا ويضعه في حقيبته وينطلق حتى يصبح من المتعذر إستفادة هذه الأوامر وتصحيحها. وعن طريق ذلك نشأت ضرورة لإيجاد وإقلال عدد المرسل إليهم. الواقع أن التفكير الطويل وتوقع الأحداث المستمر قبل إتخاذ القرار، إضافة إلى منح القرار عند إتخاذه المرونة الكافية لكي تعطي المنفذ القدرة عند الضرورة معالجة الأمور الطارئة، وإتخاذ الإجراءات المناسبة حيال تغييرات الموقف التي تحدث بين إصدار القرار وتنفيذه. ولكن في الوقت الحاضر فالوسائل الحديثة للإتصال تغرينا أن نكتب كما نشاء، أوامر نعرف أننا نستطيع حتى شيئاً إختصارها أو تعديلها عند آخر لحظة بمكالمة هاتفية أو برقية لاسلكية، ونعمل على إطالة هذه الأوامر ونملأها بالتفاصيل الخاصة بعمل المرؤوسين، كما نزيد عدد النسخ الموزعة كما نريد، وبمعنى آخر تغرينا وتساعدنا على نسيان أن الوقت المستنفذ في هذه الأمور هام جداً مهما قصرت مدته، والحقيقة التي يجب أن لا تغيب عن الأذهان أن إعطاء الأوامر بعد فوات الأوان خطيئة ضد الفكر، ولكنها خطيئة قاتلة.

إن الصورة الباهتة الناتجة عن التفكير غالباً لا تملك قوة كافية لدفع الرجل إلى العمل، ولكن المرء يجد هذه القوة الدافعة في إرادته التي تمنحه القدرة بأن يحلق متجاوزاً الشك والنقد الصغيرة، حتى يصل في النهاية إلى ثقة براغماتية تتمثل في العمل. وليس بإستطاعة الذكاء الوصول إلى هذه الدرجة السامية التي يصير بعدها خلاقاً، إلا في حالة إستناده على التجربة والحس السليم والشخصية القوية.

لقد أكد نابليون ذلك واعتبره لازماً لدعم الذكاء خلال تعثره عند مدخل العمل. وكان يرغب بقادة مرعبين تتساوى فيهم القاعدة مع الإرتفاع، حيث قال: (يجب أن يكون لرجل الحرب شخصية تعادل فكره، أما من زاد فكرهم وقلت شخصيتهم فلا يصلحون لهذه المهمة، فهْم كمركب لا يتناسب صاريه مع ثقله).

إن الإرادة بدون ذكاء شيء خطير، ولكن الذكاء بلا إرادة شيء لا قيمة له في المجال العملي. ويؤدي إقتران العقل المفكر التحليلي مع الإلهام الفوري التركيبي

إلى خلق العبقريات الكبيرة. بحيث أننا لن نجد القائد الفذ إلاّ عندما تنضم الشخصية إلى الصفتين السابقتين.

بعد ذلك تأتي لحظة القرار، وهي الوقت الذي يختلفي فيه الوقت إطلاقاً، بعد حساب كل شيء، وينبغي لنا بعد تعيين جميع الأخطار، إلا التقدم بشجاعة. ويقول نابليون: (ليس هناك أصعب من إتخاذ القرار). وفي هذه الحالة ينبغي للقائد أن يعرف أنه وحيداً خلال لحظة إتخاذ القرار. ويزيد شعوره بالرغم من كفاءة وإمكانيات وأخلاص من حوله. ويجب على القائد أن يعرف هذه الوحدة هي التي تخلق عظمته وتبرر حقه في القيادة، فهو الوحيد الذي يحمل المسؤولية بكاملها فوق رأسه. ولكن على القائد أن يضع في إعتباره أن العمل يصبح خلال لحظة الذروة يظهر شديداً وساخناً لدرجة تطهيره بحيث يصبح فكر القائد الحق حاداً وعنيفاً بشكل غير معتاد. ويجب أن يضع في إعتباره أنه سيتلقى من جهده المؤلم مكافأة فورية المتمثلة بالشعور الجارف من التعب اللذيذ والراحة والإحساس بالثقة.

وعلينا حالياً أن نعرف ماذا يشمل القرار، الذي يمثل العمل الأساسي المتعلق بالقائد. أولاً وقبل كل شيء على القائد أن يبلغ الجميع بدون إستثناء وبدون غموض عن حدود رهانه الذي يشمل: مهمة الموقف، وفكرة مناورتهاً وبنفس الوقت ينبغي له أن يعين بوضوح فرضية أو فرضيتين واللتان تبدوان له أكثر إمكانات العدو إحتمالاً حسب ما ظهر له من تحليلاته ودراساته. وعلى القائد بحد ذاته أن يحترس من إمكانيات العدو جميعها مهما كانت بعيدة الإحتمال، ثم يضع خطة مناورته ويبين بشكل لا يقبل التأويل أين ومتى وكيف ينوي قيادة عمل كبد قواته لغرض تنفيذ المهمة. ومن واقع فكرة المناورة والمخطط العام للعمل ويشمل: التنظيم العام ـ المراحل المتعاقبة ـ توزيع المهمات بين الوحدات المرووسة ولكن يجب أن نعلم أن القرار مبني على فرضيات وليس على معطيات أكيدة، وبناءاً على ذلك يبذل قصارى جهده خلال سير العمل أن يدقق ويؤكد على

تحديد المعلومات الواجب جمعها لغرض معرفة نوايا العدو كما تصورها، مع تحديد الميدان العام للإمكانيات.

ومن الأشياء الضرورية كتابة القرار بعد إستلامه، مهما كان مطولاً، أو مختصر، والقائد دائماً يتحمل مسؤوليات قراره، وهو ملزم بذلك أخلاقياً أمام مرؤوسيه وأمام نفسه، ويجب على القائد أن لا يبحث عن مبررات الفشل وتحويلها إلى مرؤوسين بأنهم لم يفهموا أوامره. إن الجمل التي يكتبها قلمه، والمخطوطة بإسمه وبأسلوبه، والمطبوعة بطابعته الخاصة، ستنقل الأوامر بصورة شبه كاملة، وستحمل فقراتها المتسلسلة إلى المرؤوسين نبرات صوته. وبعد ذلك يتحول القرار إلى أوامر يقع على عاتق المنفذين تطبيقها، وهنا يكمن دور هيئة الأركان، وينبغي ألاَّ يتدخل القائد في هذا العمل، والحقيقة تؤكد أن القائد الواثق من مساعديه، والذي إختار مجموعة أركان وأعدها بنفسه على أساس أسلوبه وطريقته لدرجة أنه أصبح يعدها إمتداد لذاته، وفي عهذه الحالة يكون وصل بالثقة لحد أن يستطيع توقيع الأوامر دون قراءتها وهو واثق أنها تترجم قراره بأمانة. عند ذلك يكسب القائد بعض الوقت القليل ليأكل أو ينام، ويعتبر هذا الوقت القليل ضروري ليعينه على المقاومة الجسمية وتوزانه العصبي وذلك أهم بكيثر من الوقت الذي يضيعه لتعديل الشكل العام والطول فقط.

وفي الواقع أن جميع الأنظمة العسكرية تجمع على أن يكون الأمر واضحاً ودقيقاً وكاملاً، ومن المستحسن أن يكون موجزاً، ولكن الصفتين الأخيرتين متناقضتان فكيف حل المعضلة، إن أهمية الكمال والإيجاز متغيرة حسب المرحلة القتالية، ففي المرحلة الرئيسية التي تسبق العمل مثلاً، يتوفر الوقت لهيئة الأركان بشكل يعطيها الوقت الكافي لإصدار أوامر عامة مطولة بعض الشيء، ويتوفر للمنفذ حين ذاك الوقت ليقرأها ويفهمها، وبناءاً على ذلك ينبغي أن تكون الأوامر كاملة بقدر الإمكان. لأن إلمام المرؤوسين لفكرة القائد ونواياه تؤدي إلى إيجاز الأوامر اللاحقة المعطاة خلال العمل، علماً أن هذه الأوامر ستكون موجزة حتماً، لأن

هيئة الأركان ليس بمقدورها في ذلك الموقف صياغتها مطولة. ولا يخفى وضع المنفذ الذي يتلقاها أوضاعه القاسية التي لا تعطيه الفرصة لفهمها إن لم تكون موجزة.

وعلى القائد أن يعرف أن الإسهاب في الأوامر لا يخص إمكانيات هيئة الأركان وقدرتها على عمليات الصياغة، ولكنه يتعلق بإستطاعة المنفذين على الفهم. وعلى القائد أن يستخدم خياله لينقله إلى بيت متهدم أو حفرة موحلة ويضعه موضع المرؤوس الذي سيتلقى الأوامر بعد قليل. وعندما يصدر الأمر يصبح مقدساً رغم نقائضه الجزئية، ورغم تطورات الصراع التي تحثنا بإستمرار إلى التساؤل عن صحة قرارنا، ويصبح القائد ملزماً بملاحظة ومتابعة عملية تنفيذه بإصرار وعدم إختزاله أو تعديله دون سبب جوهري هام. ولقد قال (ديكارت): (إن أفعال الحياة لا تحتمل الإنتظار أية فترة، وعلينا أن نختار لأنفسنا لبعض هذه الأعمال، ولا نشك بها ذلك لأنها قادمة من التنفيذ العملي، بل نعتبرها حقيقة أكيدة، نظراً لأن العقل الذي جلعنا نختارها حقيقي وأكيد). وعندما أوجد ديكارت (الأخلاق المؤقتة) التي كان يرغب تطبيقها في المجالات التي لم يستطع كما لم نستطيع تحديد قواعدها العقلانية الحقيقية إستنتج: (وحكمتي الثانية هي أن أكون حازماً ومصمماً ما أمكن في أعمالي وأن أتبع الأفكار المشكوكة التي أختارها بكل إصرار كما لو كانت أفكاراً أكيدة).

وهناك تأكيد لا شك فيه أن وجود أخطاء بالإمكان تعديلها عن طريق الإستمرار فيها بإصرار وتصميم. ولقد أجمع كل رجال الحرب على فائدة ذلك في حقوقهم الخاصة وبنفس الوقت ضرورة تعديل أخطاء القرار عن طريق الإصرار على التنفيذ. والجميع ينفر غريزياً وعقلانياً من الأمور المعاكسة. ويقول (مونتي كوكولي) في المعنى نفسه: (ما أن يتم إتخاذ القرار، حتى نرفض الإستماع إلى الشك والتحفظ، ونفرض أن الضرر الذي يمكن أن يقع لا يأتي دائماً، لأن العناية الإلهية تبعد حيناً وتجينا مهاراتنا منه حيناً آخر، كما أن حذر العدو قد يمنعه من

إغتنام الفرصة). وفي الحقيقة أن الإصرار لا يشبه الإيمان الأعمى، وعلى القائد أن لا يسكت العقل نهائياً، لأن العقل يقوم بمهمة رئيسية تتمثل بمرافقة الأفق المضطرب، والعمل على إكتشاف اللحظة التي يجب عندها تغيير القرار. والقائد الحقيقي لا يخفاه معرفة تحقيق التوازن في أعماقه بين الشك الفلسفي الناتج عن كلِ مناقشة تستند على قواعد فرضية، والإختيار الضرور للعمل. والقادة الحقيقيون يعرفون حق المعرفة أنه لا يأمرون آلات أو ملائكة، بل يتعاملون مع رجالاً من المحتمل أن يترددوا أو يخطئوا، ويجب على القائد أن يعرف من أهم واجباته مراقبة المرؤوسين بإستمرار ومحاولة التغلب على جمودهم وعدم فهم البعض منهم، وكذلك معارضة البعض الآخر منهم. ويقول (فوش): (قيادة الرجال لا تعني أبداً أن يكون القائد غامضاً، إن القيادة أمر بسيط والمهم هو فهم من تتعامل معهم، وإفهامهم رأينا جيداً). ولا يخفى على الجميع من مارسوا القيادة يوماً ما كم كانت صعوبة تعليم الأوامر للآخرين ليفهموها بدقة، لأن المرؤوس غالباً لا يسمع ما يقال له، ولكنه يسمع ما يتخيله، وغالباً ما يكون يفكر بشيء آخر أو بطريقة أخرى. وهذا الأمر يجعل بين المرؤوس ورئيسه حاجزاً أو سراباً يمنع تفاعل عقولهم معاً. لأن المرؤوس غالباً لا يفهم بشكل واضح، لأن الفهم يحتاج إلى التفكير والتحليل والمقارنة، وهو لا يستطيع ذلك في أغلب الأحيان، بسبب سرحانه في رؤيته الخاصة وأهوائه من التطلعات والخوف. والواقع يتطب منا إذا أردنا إفهام المرؤوسين أمراً ما، علينا أن نعمل بقدر الإمكان إقناعهم بأنهم يريدون ما نأمرهم به. وهذا لا يتوفر دائماً وإعطاء الأوامر غير كافي لوحده. والمهم في ذلك أن نقبل هذه الأوامر أو ترفض عند اللزوم. وقد يكون المرؤوس متردداً أحياناً أو غير ذكي بما فيه الكفاية، عند ذلك تظهر أهمية المراقبة، والمراقبة تعتبر من أهم واجبات القائد التي تخصه شخصياً بعد إتخاذ القرار. على أن تكون المراقبة تبحث عن النتائج بعيداً عن التدخل بطريقة العمل، إلاَّ في حالة واحدة وهي عندما تكون مهارة المنفذ أو خبرته أو تصميمه تدعو إلى الشك، علماً أن ثقة

القائد الإدارية المستمرة والعلنية تمنح فوائد كثيرة وتكون خلال الأوقات العصبية أهم حافز للمترددين. وينبغي للقائد أن يستمر خلال المراقبة على قدر منصبه وبمستوى مسؤولياته، وعليه ألآ يتردد في تعديل خطأ المرؤوس الذي يرى حقيقة المعضلة المطروحة. وعليه في نفس الوقت قبل إجراء أي تعديل على التدابير المتخذة من قبل مرؤوس موثوق به يعمل في منطقة عمليه ويفهم المفهم بشكل جيد، فقد يكون هذا المنفذ القريب من العمل قائماً بدوره ومحقاً في تصرفه. إن القائد يحتاج إلى التشاؤم ليتمكن بعناية من إختيار النقطة التي يوجه إليها رجاله، والطريقة المثلى لبلوغها، ولكنه في حاجة إلى التفاؤل للبدء في قيادتهم نحوها.

وعندما نعود إلى عمل القيادة، فإننا عندما نقسم عمل القيادة إلى مراحل مختلفة والتي تشمل: الدراسة والقرار والتنفيذ، ويظن البعض أننا نضع منهاجاً جامداً للسير عليه.. والواقع خلاف ذلك حيث أن هذه المراحل تتداخل وتتشابك. يقوم القائد قبل بداية العمل بعمل مخططاً مسبقاً شاملاً بقدر الإمكان يشمل جميع الأحداث المتوقعة، حيث أنه بالإمكان أن نستطيع من منبع الأحداث التأثير على سيرها بطريقة أفضل. والمخطط ليس جامداً كما يظن البسطاء، ولكنه بالعكس مرناً جداً. والحقيقة أنه يصبح ضاراً إذا كان لا يمكن تغييره، لأن روح الحرب في الحقيقة هي بنت الإرادة والحاجة. ومن غير المعقول أن يكون المخطط برنامجاً صلباً، وتوقيتاً مسبقاً يتوقع كل شيء، فطبيعة الحرب والصراع ترفض ذلك. وهناك حقيقة لا يمكن تجاهلها وهي أن الذكاء مهما توهج توقده إلى جانب العبقرية، عاجزين عن إكمال نواقص عمل المعطيات، والتقدم بثبات خلال وسط كلما فيه متحرك وضبابي، أو إخضاع حرية عمل الخصم تماماً. ومن الأشياء التي يصعب تحقيقها، وليس بإستطاعة الذكاء أن يملك القدرة على رسم منحنى المستقبل، وكلما يستطيع عمله هو رسم محاور إحداثياته، مع تعيين النقاط الرئيسية والخطوط الأساسية للشكل العام بخط رفيع. ثم يأتي دور الإحداثيات لتؤكد هذا الشكل أو تعديله وبهذا نكون قد وصلنا إلى شيء مهم والمتمثل في

إستطاعتنا حصر الشكل العام بشكل دقيق بالنسبة إلى الأحداث القريبة، ولكنها أقل وضوحاً بالنسبة إلى الأحداث المتوقعة فيما بعد. والواقع أنه مخطط مبهم تتحدد أبعاده الصحيحة لاحقاً خلال العمل. ويفضل أفضل القادة الموهوبين الإحتفاظ بمخططاتهم مهمة لأنه يرى أن أفضل الطرق المستخدمة المستخدمة لمفاجأة العدو وأكثرها فاعلية، تكون في خداع العدو وإغراقه في الشك لأطول مدة ممكنة من أجل وضعه أمام معضلة متعددة الأطراف. وهذا ما كان نابليون يطلق عليه (إنشاء فكرة ذات شكلين) ومن الصعب تعديد قيمة مخطط الصراع إلاّ بالنسبة إلى مخطط العدو إنه في البداية هدف وتوقعات شرطية ومجموعة قوى وحركات. ومن الصعب ومن المتعذر أن يكون المرء قائداً بدون ملاحظة هذه الأمور الثلاثة بإستمرار دون كلل ولم يكن جاهزاً لجمع ثبات الهدف مع تعدد الظروف والإمكانيات وتباينها.

ويؤدي تنفيذ الأوامر الأساسية إلى تعديل أو رفض أو تأكيد الفرضية أو الفرضيات المختارة، ويتم ذلك عن طريق العنف أو بشكل متدرج. وعلى القائد وهذا يشمل كل القادة وليس القائد العام فقط، كما قال نابليون أن يتحلى بصفة أساسية هي: (أن يكون هادئاً، يأخذ الإنطباع الصحيح عن الأشياء ولا ينفعل إطلاقاً ولا ينبهر أو يسكر بالأخبار الحسنة أو السيئة، ويجمع الإحساسات التي يتلقاها متعاقبة أو بآن واحد خلال اليوم ويصنفها حسب مكانتها).

ولكن شكل المعضلة متغير في كل لحظة، وأن لا يتوانا خلال الحالات الطارئة بإصدار جديد أو تعديل القرار السابق إذا لزم الأمر. ويقوم القائد بدفع سيل الأحداث ولكن يستخدم هذا السيل كبحار ماهر، على أن يتابع حساب موقع السفينة وقياس الإنحراف وتعديل الإتجاه.. وأن غموض المعركة وإضطرابها يذكرنا لكلمات عنف التي ذكرناها آنفاً، يجعلنا ندرك هذه الكلمة بشكل أدق وأشمل. ولا شك أن القائد كائن وآلة بنفس الوقت لإتخاذ القرارات. ولكن يصعب أن يكون كذلك ما لم يتمتع بنفس قوية، ويكون لديه القدرة الكافية على

مسك الدفة وسط بحر هائج الأمواج تغطيه مناطق واسعة من الظلال، تجبرنا أحياناً ضآلة وضعنا البشري على تركها للصدفة. وعلى القائد أن يتصف بالرغم من قدراته بشجاعة كافية لإختراق هذه المناطق الغامضة، التي لا تزال خاضعة لإحكام مجهولة بالرغم من حكمة توقعاتنا وحسن تصرفاتنا وقوة أسلحتنا فإن التمتع بكل ذلك، كان أهلاً للإحساس، بالثمالة القوية الصافية التي تحدث عنها نابليون يوماً بحماسة شعرية قائلاً أمام مرافقه (نارمون) (السعادة الإلهية للقائد العسكري هي أرتال تتحرك، وحركات تنطلق بناءاً على أوامر ألقيت منذ هنية وقوة لا تقاوم تتجه نحو نقطة واحدة ورجل يقف بعيداً ثابتاً يتوقع، ويحكم ويستوحي كل شيء من أفكاره).

وأرغب أن أختم بما قاله الكاردينال دوريتز: (هناك بون شاسع بين الرغبة والإرادة، وبين الإرادة والتصميم، وبين التصميم واختيار الأساليب وبين إختيار الأساليب والتنفيذ).

❋❋❋

الباب الثالث

الإعداد للحرب

لا يمكن الحصول على المهارة الفنية إلا بالتديب

الفصل الأول

دور الذكاء للإعداد للحرب

من الممكن كسب الحرب أو خسارتها
خارج نطاق المعركة وقبل بدايتها

دور الذكاء للإعداد للحرب

من المحتمل كسب الحرب أو خسارتها خارج نطاق المعركة وقبل بدايتها. ولا شك أن الحرب بنت السياسة، والسياسة هي التي تصدر المعطيات المتعلقة بالمعضلة المطروحة إلى القائد الأعلى، والتي من الممكن أن تكن عديمة الحل. عند ذلك نخرج من المجال العسكري البحت، وندخل في المجال المشترك للسياسي والعسكري، لأن القائد الأعلى من الدول المنظمة والمتقدمة، عنده القدرة الكافية على دخول مجالس الحكومة بكل حرية، والكلام بما يخصه بالسلطة اللازمة، وهذا يتعلق بنسق القيادة الأعلى، وينبغي للقائد العسكري خلال الإقتراب من قمة التسلسل، أن يجمع علومه وفكره السياسي مع معارف وفضائل وظيفته. ومهما كانت دراسة العلاقات بين السياسة والحرب جذابة، فإنني أرى عدم التعرض لها. ولا شك أن هناك أمور أخرى تختص بالإعداد للحرب. وتتصف بأهمية أعم، وتتعلق بشكل مباشر بأعمال القيادة الممتد بشكل أوسع وتتمثل بما يلي:

١. ما هو السلام الذي نحتاجه.

٢. كيف سنقوم بتنظيم تشكيلاتنا.

٣. كيف نعد العقول التي ستستخدم هذه الأسلحة.

وفي الواقع أن أهمية إعداد العقول التي ستستخدم هذه الأسلحة العسكرية تهم جميع القادة العسكريين على مختلف مستوياتهم، وهذا شيء بديهي ولا يحتاج إلى نقاش أو تفسير. أما المواضيع الأخرى المتمثلة بالتسليح والتنظيم، فهي تعتبر من صميم العمل وتطرح خلاله ومن قبل العمل نفسه، أمام جميع المقاتلين المفكرين. ويعلمنا التاريخ العسكري على أن براهة المنفذين وإصرارهم، كانا من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الإختراعات الرئيسية لقد كان (لوفوا) مثلاً لا يحب

إستخدام البنادق ويعارض إستخدامها، لأنه يرى أنها سريعة الخراب، ولكن الأفراد كانوا يتخلون عن رماحهم وبنادقهم القديمة المرتكزة على حامل خلال إمسيات المعارك ليتسلحوا بالبنادق النمساوية وفي الأخير فرضوها عليه. وخلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨م) لعبت المشاة الفرنسية دوراً أساسياً في إنتشار إستخدام الأسلحة الآلية (الرشاشات) وأسلحة الرمي المقوس (هاونات ـ قاذفات ـ رمانات) .. ولا يمكن التقليل من أهمية دور المرؤوس عندما يتعلق الأمر بالتنظيم، لقد ظهر خلال نهاية القرن الثامن عاشر الفرقة، وهي أول تشكيل عسكري مقاتل كبير، وكان ظهورها بناءاً على بداهة فردية، والأمثلة حول ذلك كثيرة لا أرى سبباً لذكرها.

وفي الحقيقة أود أنني كما ناقشت العمل الحربي نفسه. أن أعين دور القائد وموقفه الفكري فيما يتعلق بمعضلتين من معضلات الإعداد للحرب وهما: تنظيم الوحدات وملحقاتها، مع إيضاح نظام خاص للتسليح بجميع جوانبه وأن أبين أن القواعد التي يخضع لها القائد فيما يتعلق بهذين المجالين لا تبتعد كثيراً في جوهرها وأهميتها عن قواعد أسس عمله خلال الصراع، إلا أنها تحتاج لبعض المعلومات الإضافية إلى جانب المعارف الخاصة، وفي الواقع تشكل جزءاً هاماً وفعالاً من تحضيرات الصراع والحقيقة أن التفكير رغم كونها أداة لكلِ فرد مهما كان مجاله لتعينه لتحقيق مبتغاه، ولكنه للعسكري عامة وللقائد خاصة تمثل أداة رائعة لها القدرة لدراسة نفسها، إلى جانب أنها مرآة تستطيع عكس صورتها، وبإمكاننا أن نطلق على التفكير، جراح يملك القدرة على إجراء العملية لنفسه، وسأحاول تعيين الطريق لتحضير الذكاء وقت السلم بإعتباره جزء مهم جداً من الأعمال المتعلقة في الإعداد للحرب. ولن أتطرق هنا في التفصيلات التعليمية الواسعة في هذا المجال سواءاً العملية منها أو النظرية، ولن أحدد أساليب أو أضع مخططات عمل للإستخدام في خط من خطوط القتال ابتداءاً بالفرد وإنتهاء بالقائد الأعلى.

وكل ما أصبوا إليه هو تعيين الخطوط العريضة للمجال المتعلق بإنشاء الفكر الحربي وإظهار المبادئ والقواعد التي ينبغي عليه تطبيقها، لأن الدراسات العسكرية بمختلف مستوياتها، تجتمع داخلها صفات مشتركة، ووحدة البيئة والطريقة، إن تفاوت الدرجة في قوانين العمل تبايناً يختص بخط القتال، ولكن لا يوجد إختلافات في طبيعة هذه القوانين. فقيادة الفصيل تتم مع الإلتزام بنفس القواعد الفكرية المطلوبة لقيادة فيلق. وتكون الإستعدادات بنفس الطريقة. وتبرز قيادة أصغر الوحدات أهم دروس فن الحرب تماماً كما تبرزها ممارسة القيادة العليا. ولا شك أن القاري لاحظ أنني لم أحاول بيان الفروق بين الإستراتيجية والتكتيك. وليس يعني ذلك أنني أفكر كالبعض حيث لا وجود للإستراتيجية وإنها عبارة عن (لغو صارخ) ولكن موقفي يعود إلى إعتقادي بأنها ما دامت تأخذ حياتها مبرر وجودها من وسائل عمل التكتيك، فإنها مضطرة لإتباع قواعد التفكير المطبقة فيه، كما يعود إلى يقيني بأنه ليس لها، ولا يمكن أن يكون لها من هدف سوى: دفع القوى إلى مكان العمل، وإلى حيث تستطيع التأثير في أحسن الظروف، وهذا ما يجلعها تتأثر بهذه الظروف نفسها.

١. **حدود الخيال المجدي.**

ينظر المقاتل الذي يحيط به الكثير من المعاضل الدامية ولكنه لا يرى لها حلاً، هنا تفرض الضرورة الحاجة إلى معدات جديدة، أو محاولة الرفع من كفاءة الأسلحة الموجودة وتحسينها. ومن المحتمل نتيجة محاولة إكتشاف ما يساعد على حل المعاضل التي تواجه المقاتل، أن يتوصل المقاتل لإمكانات جديدة متعددة في محيط حقله الخاص. (الحاجة أم الإختراع)، إن خيال الفرد المستعد لضغوط المطالب والتطلعات يسبق الزمن بشجاعة نادرة، ويبين الإحتياجات الرئيسية للمعدات الضرورية أو الناقصة. ولكن ينبغي له أن يبقى داخل حدود محددة لا يتعداها، وإلا أصبحت فعالية جهوده لا شيء.

ويدعى البعض أن خيال جون فيرن، كان دافعاً إلى الإسراع بولادة الغواصة وقد

يكون ذلك مقبولاً في حدود عشر سنوات فقط. كما أن ليوناردو دافنشي توقع ظهور الدبابة والطائرة، ولكننا في الواقع لا نستطيع تأكيد تأثيراته على ظهور هذه المعدات بعد أربعة قرون (علماً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم الدبابة في الطائف ولكن كانت ليس كالدبابة الحالية ولكنها حسب إعتقادي تعتبر بداية هذا السلاح). ولا يمكن مقارنة تقدم التكتيك الصناعي بنفس القفزات الواسعة للعلم المجرد. ولكنه يمر بفترات تلاءم دقيقة، ويتقدم بجهد بطيء وإصرار صبور، وهذا واقع لدرجة أنه إذا كان أمامنا معضلة تتصف بمعطيات نظرية معينة ومطروحة بشكل معين، فالنتائج التي يحصل عليها مهندسو جميع الأمم خلال عصر معين تكون متشابهة ومتجاورةأ وبناءاً على ذلك فمن الممكن تحديد حقل الإمكانيات الفنية في المستقبل القريب بدقة متناهية. ولكن يجب أن لا ننسى الأخطار الطارئة، كتدخل أحد الإختراعات العلمية الكبيرة (بارود المدافع ـ المحرك الإنفجاري ـ القدرة الذرية) لأن هذا التدخل الثوري يسبب ويكشف حقلاً جديداً للإمكانيات، وليس هناك من يملك الإستطاعة على تحديد إمكانية مثل هذه الثورات، وتستطيع الدول القوية فنياً إقلال قيمة الخطر عن طريق تنظيم أديب للبحث العلمي، ولكن الفكر والخيال يهبط أين وحيثما أراد لمقاومة الصدفة الغير محسوبة دون أن نقدر على إلغاء تدخلها نهائياً في القضايا البشرية. ومن جهة أخرى في حالة عدم وجود هذا الخطر، فإن توقعاتنا لا تستطيع التوغل بعيداً داخل المستقبل. والواقع أن العوامل الفنية والتكتيكية لها تأثير مستمر على بعضها. لأن تصرفات الصانع توجه رغبات المنفذ، بنفس الوقت يمكن للمنجزات التكتيكية أن تخلق خلال بعض اللحظات ثورة تكتيكية، تبين إمكانات غير متوقعة، وبعض الأشياء الجديدة. إن مخترعي الأسلحة النارية السابقة لم يضعوا في إعتبارهم إلى خرق الدروع أو تدمير المتاريس، ولكن نتيجة إلى التفكير السليم والخيال المنتج إلى جانب بداهاتهم أظهرت كثيراً من النتائج لم تكن متوقعة حتى من أكثر الناس تفاؤلاً، وفي التالي أدت إلى تغيير فن الحرب. وفي الحقيقة إذا

كان هنا رغبة لدي الذكاء أن يمتد شوطاً أطول في طريق المستقبل، لم يستطيع لأنه سيتعثر على منحنيات التكتيك والتكتيك مهما كان هذا الذكاء وقاداً وموهوباً. ورغم بحثنا عن نقاط التوجه إلى الإمام، ولكن لا يمنحنا البحث في مستوانا إلا نقاط تراصف. إن على المنفذ أو المستخدم أن يتجاوز التقدم الفني بأفكاره ليحقق متطلباته، والشيء الذي يجب أن نعرفه هو أن نضع في إعتبارنا أن تكون مسافة القفزة لا تتجاوز عدة سنوات، ولا تزيد عن عشر سنوات على أكثر تقدير. وفي حالة زيادتها عن ذلك زاد إحتمال إكتشاف علمي غير متوقع، وفي هذه الحالة، تتشابك التاثيرات المتبادلة للتكتيك والتكنيك، وتخرج من مجال المحتمل إلى حقل الممكن الواسع، وننطلق في لعبة التفكير، الذي قد يكون ممتعاً ولكن بدون فائدة ملموسة. علينا إختيار نقطة التوجه نحو خط الأفق الواضع، ونتناسى الخطوط البعيدة الغامضة المغطاة بالضباب أو المليئة بالسراب، على أن نترك التوقعات لقصص الخيال.

٢. **حوار التكتيكي والفني.**

تتواجد المتطلبات التكتيكية كما إتضح فيما سبق خلال قاعدة كل تقدم للتسليح ولكن محاولة توفير هذه المتطلبات، تبين عدد من العوامل المتمثلة بإمكانات الجهات الفنية. ويقول فيثاغورس: (يعيش الممكن إلى جوار الضروري). وذلك من المحتمل، ولكنهما من الصعب أن يتلاقيا عند نقطة تفاهم. لذلك نجد أن رجل التكتيك أو المنفذ يرى أن الأمر سهل جداً بإعتباره المستخدم ويعرف وحده ما يريد وما هي حاجته، لذلك فهو يرسل طلبه إلى الفني أو الصانع وعليه أن ينفذ الطلب. ولكن الواقع أن الحالة أكثر صعوبة مما يتخيله رجل التكتيك. فالرغبة في الشيء غير كافية لإمكانية تحقيقه، فهناك الكثير من المعاضل ليس حلها بالأمر السهل، فأحياناً أو غالباً يرد الفني بأن طلب التكتيكي لا يمكن تنفيذه غالباً أو لا يمكن تنفيذه إطلاقاً. وكل عتاد أو قطعة سلاح من أسلحة القتال يضم في تكوينه الكلي توازناً داخلياً بين صفات كثيرة تتصف جميعها بمتطلبات متناقضة.

ليس بالإمكان مثلاً صناعة دبابة تحقق جميع رغبات رجل التكتيك عند إصرار المنفذ على تجميع هذه الدبابة بمميزات عديدة لتحقيق رغبته فيما يتعلق بالوزن الذي يريده إلى جانب الصفات المعينة فيما يتعلق بالحركة والتدريع والتسليح. وأضاف الفني أن المنفذ يطلب أحياناً سلاحاً آلياً متيناً فعالاً يتميز بوزن صغير، وتوجه الفني إلى رجل التكتيك قائلاً: عليك أن لا تقطع طلبات وسط هذه التناقصات ولكن عليك أن تفهم بشكل دقيق نتائج الدراسات الجارية والتي تتعلق بنموذج تجريبي للسلاح المطلوب. إن أهم شيء هو دراسة النموذج التجريبي وصناعته. وعندما تتم هذه العملية ينجاح ننتقل إلى عملية التصنيع بشكل متسلسل، حتى تظهر العوائق التي تعيق تحقيق رغباتك وهي: (آلات المصانع ـ وشروط العمل ـ وتوفير المواد الأولية أو المنتجات نصف المصنعة). وأخيراً يوافق الفني على أن توفر له الفرصة الكافية لوضع كراسة الكتالوج على أن تختاروا بعد ذلك ما تريدون، وتعتبر هذه طريقة ناجحة في الصناعة المدنية، ولكن التكتيكي طلب من الفني التمهل، وأخبره أنه تجاهل لديه عميلاً واحداً بالنسبة للصناعة العسكرية وهو المستخدم العسكري أو القيادة أو القائد إن أردت تمثيل المستخدمين بشخص واحد. ولا شك انه في حالة وجود عميلاً واحداً فهو سيد. وعليك أن تعرف مكانتك الحقيقية، إنك مجرد مرؤوس، ولا تهتم لقولي فكلنا مرؤوسين بدرجات متفاوتة. فالمهندس مرؤوس في المصنع، وكراسة النماذج أو الكتالوج الذي تحلم به لم يرى النور إلا بعد إستخدمت الإدارة جميع وسالها: (أبحاث ـ إحصائيات ـ دراسات تجارية .. إلخ) لمعرفة رغبات الزبائن المحتملين وحاجاتهم والإدارة مضطرة لذلك لأنها تتجه نحو كتلة بشرية مبهمة، ذات طلبات متعددة ومتناقشة. أما بالنسبة لك فلديك زبون واحد، قادر على أن يقول بوضوح ما يريد. إن معاندته لا تفيد، ولكن إفهامه والتعاون معه يدفعانه حتماً إلى تقدير الإمكانيات بشكل أفضل. إن حل المعضلة كامن في التعاون.

وهذا هو الصحيح، إن على التكتيكي التنفيذ، الممثل بالقائد الذي سيشترك في

النقاش، ثم يقوم بعد ذلك بالمناقشة في جو من المساواة. عند ذلك سيجد الفني نفسه أمام طلبات لا يستطيع تحقيقها حرفياً، فيبدأ بالدراسة، وتكشف له الدراسات شيئاً فشيئاً عدداً من التناقضات والإستحالات. فهل هو قادر على تحديد ما يمكن إلغاؤه، وما يجب المحافظة عليه يأي ثمن؟ بالطبع أنه ليس قادر على ذلك. فإذا ما ترك وحيداً أنزلق بالتأكيد إلى حلول تقدم تسهيلات فنية، ولو كان فيها مساوي عسكرية خطيرة. ولكن معرفة المستخدم لسير الأعمال تمنحه القدرة على تحديد ما يمكن إلغاؤه وأصبحت متطلباته أمامه الصعوبات ظاهرة بإستمرار محدودة وموجهة. وينشأ بين المتعاونين حل وسط. قد يلحق بالفكرة الأولى عدةِ تعديلات، دون المساس بجوهر الفكرة. وبالتالي يأتي يوم يستطيع التكتيكي فيه ينظر إلى صورة نموذج ملائمة تقريباً. فيستخدم صلاحيته ويقرر البدء بصناعة العتاد.

٣. سياسة التصنيع.

إن وتيرة تطور التسليح وقت السلم بطيئة، بعكس وتيرتها خلال القتال، إلى جانب أنها كثيرة التوقف. ويظهر التطور خلال السلام كقنوات متباعدة، نتيجة للعمل البطئ إلاّ أنه مستمر داخل الأدمغة، ومكاتب البحوث والدراست وميادين التجارب. وبالرغم من توقف عمليات التصنيع تستمر الأبحاث بدون توقف. ولكن أية تعديل في السلاح مهما كان صغيراً خلال زمن الحرب ينفذ فوراً تحت ضغط الضروريات، ولكن الوضع يختلف إختلافاً كلياً خلال وقت السلم، وليس هناك ضروريات لتنفيذ جميع التعديلات. لأن ذلك يسبب تكدس الأسلحة في المستودعات لكل دولة. لهذا تطبق الدول مبدأ إعداد النماذج التجريبية، مع تطبيق أساليب جاهزة دائماً لتجديد التسليح حسب آخر نموذج تجريبي. ومعطيات هذه السياسة كثيرة التعقيد، لأنها تشمل حالة البلاد الداخلية والخارجية، والتوقع الخاص بالتطور الفني، والمدة التي تحدد عمر قطعة كل

سلاح، وهذه المدة تختلف من سلاح إلى آخر، فمثلاً تفقد الطائرة جدتها خلال بضع سنوات أو بضعة أشهر، بينما تجد أن الدبابة تحقق وقت أكثر في العمل تقارب الخمسة عشر، وهذا يتوقف على نوع الدبابة، وبعض المدافع قد تعيش وتعمل بكفاءة مدة تفوق الثلاثين سنة، وهذا يتوقف على كفاءة الصيانة والتخزين لجميع الأعتدة. وفي الواقع يمكننا تحديد كل هذه المعطيات حول موضوعين يتمثل أولهما بفترة إندلاع الحرب التي نتوقعها، وثانيهما هل يؤمن التطور الفعلي لمعداتنا هامش أمان يتلاءم مع هذه الفترة.

والواقع يبين أن الفني في حاجة إلى الوقت في حالة صنع السلاح، أكثر مما يحتاجه التكتيكي لصياغة الطلب الذي يريده. وتظهر بوضوح الحاجة إلى الوقت قبل صنع السلاح اللازم لإرضاء رغبة التكتيكي. وهناك حالة وهي أنه قد يتطور الموقف خلال فترة الدراسة والصنع، ويتبع ذلك تعديل في متطلبات القيادة. إلى جانب إحتمال تطور التكتيك وبالتالي يفتح الآفاق لإمكانات جديدة. والتكتيكي أو المستخدم يحب عمله ويريده كاملاً، وهو مستمر في إدخال التعديلات على عمله وإعادة تحسينه بقدر الإمكان، فعند الإنتقال إلى التنفيذ، كان علينا أن نأخذ من يديه الذي لا يتعب من مداعبته.

ولقد قال الجنرال (إيتيين): (كلمة نفذ تعني رضى عاماً بعمل غير متكامل) ونستطيع معرفة هدف هذه العبارة، إذا أدركنا أن هذا الجنرال كان منفذاً كبيراً ويعرف ماذا يقول، فهل يحدد لنا هنا هذا أن نتوقف عن متابعة التطور الفني؟ كلا. ويعطينا البحارة نموذجاً ممكناً لأنهم توصلوا لحل هذه المشكلة قديماً، وذلك أن مراكبهم غالية الثمن، وقليلة العدد بالمقارنة مع معداتنا، وأستخدموا لحل تلك المشكلة طريقة الشرائح المتعاقبة. ينبغي إعداد النموذج التجريبي المختار بناءاً على خصائص أساسية، ودراسته تقتصر على هذه الخصائص فقط، فإذا كان مرضياً طلبنا تصنيعه، وبدأت دراسة جديدة قد تدفع إلى طلبات جديدة عند الوصول إلى مرحلة النضج. ولكن ينبغي ألاّ تتغير خصائص نوع ما خلال الدراسة أو التنفيذ،

لأن ذلك يهدد التوازن المطلوب الذي قد يتم تحقيقه بكل صعوبة.. ويتم تقديم الطلبات حسب النموذج القديم، طالما النموذج الجديد تحت الدراسة لأن الخطيئة الكبرى التي تعيق الإنتاج الصناعي هي عدم الإستمرار في التصنيع وإنقطاع سلسلة التجميع، وعدم إحترام قانون العمل المتسلسل رغم أن التمسك بهذا القانون أمر صعب. فالفكر الذي يحب الدقة والإتقان لا يقبل بسهولة الخضوع لطريقة مبنية على تعاقب حلول جزئية ناقصة. ومع ذلك نرى بعض الأحيان الخضوع ضروري، وإلاّ تعذر علينا الإنتقال إلى التنفيذ.

ومهما تمتعت الحكومة بالحكمة والتعقل، وفي نفس الوقت مهما كانت القيادة تتصف بالقدرة على التوقع وبعد النظر، فإن التسارع المتزايد للتطور الفني، الذي يؤدي إلى تقادم سريع للمعدات، يجعل من الضرور العمل على إعادة التسليح بشكل واسع بمجرد ظهور خطر الصراع في الأفق. وعندما تصل الأمور إلى التوتر الحاد، وتبدأ أطراف الصراع بالتعبئة العسكرية، عند ذلك تصبح التعبيئة الصناعية من أهم الضروريات لتوفير متطلبات التسليح، ولا شك أن هذه التعبئة عملية معقدة جداً، تحتاج إلى الإعداد الدقيق وزيادة عالية لسلطة الدولة وخاصة في الدول الغربية. لأن تلك التعبئة تتعلق بإختيار المصانع والتي تخصص لصنع الأسلحة، وتزويدها بالمتطلبات الضرورية، إلى جانب تزويدها باليد العاملة الضرورية، عن طريق تعيين الأفراد اللازمين لزيادة العمل لشغل وظائف العمال الملتحقين بالقوات المتحاربة، وإعطائها جميع متطلباتها من المعدات والآلات الأضافية، والمواد الأولية الضرورية لبداية العمل الجديد. وعندما يبدأ الصراع يظهر بشكل واضح ضرورة مواجهة متطلبات تتزايد بإستمرار، ومتابعة التطور عن طريق صناعات جديدة لتوسيع قاعدة الإنتاج.

والخلاصة انه لا يمكن إعتبار سياسة التسليح مهمة خاصة بالقيادة العسكرية فقط، ولكن عليها التعاون في هذا المجال مع الفنيين والجهاز السياسي والإقتصادي والمالي للبلاد. ولكن القيادة مشتركة في هذه المهمة بشكل جيد.

وهي المهمة والمشرف المباشر عليها، والمحرك الضروري لها. وفي الواقع أنه لا يمكن أن نتصور في أيامنا الحاضرة قائداً عسكرياً يقف بعيداً عن هذه القضايا.

٤. قاعدة نظام التسليح.

ليس هناك إختلاف مهما إختلفت الآراء حول مجال الصراع، بأن الحرب ميدان الشك والموت معاً، لذلك لا بد من تزويد الوحدات المشتركة في الصراع لكي تقوم بمهام القتال القريب بأسلحة متماثلة بقدر المستطاع، ومن المحتمل أنه ليس من قبل الصدفة فقط ظهور بعض أصحاب الفن العسكري خلال وقت كانت المشاة فيه لديها القدرة على العمل بنوع واحد من الأسلحة. لقد كان (يوليوس قيصر) يستخدم ليجونات يتسلح مقاتلوها بسيوف قصيرة ورماح ثقيلة، بينما قاد (نابليون) جيوشه في نهاية القرن الثامن عشر المكونة من المشاة المزودة بالبنادق والحراب. ولكن المراحل السابقة كانت قصيرة، لقد كانت القوات بصفة عامة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مكونة من مشاة مزودة بأسلحة بسيطة وموحدة، ولكن مرت على البشرية كثير من القرون التي ظهر خلالها أسلحة القذف وأسلحة الطعن وحملة المقاليع والأقواس وقاذفات السهام والبنادق المرتكزة على حامل إلى جانب حملة الرماح القصيرة والمناجل والرماح المدببة القاطعة وكذلك الرماح الطويلة، لأن جهود المنظمين آن ذاك تهتم بفاعلية الأسلحة أكثر من توحيدها، ولقد مرت عصور إختفى خلالها تأثير التكتيك الفعال، إلاّ بإشتراك أسلحة مختلفة ومتخصصة. ولقد كان لهذا الإشتراك بعض المساوئ حيث كانت مشاة القرن التاسع عشر أكثر مرونة وأكثر تحملاً من المشاة المتنوعة. إن هناك ضرورة لهذا الضرر. وعلينا إلغائه عندما يكون ليس ضرورياً. وممكن تحديد في مكان آخر. أما المدفعية لقد مرت في تاريخها أحداثاً عديدة لقد بدأت بعيارات متعددة ثم أنخفض عدد عياراتهاحتى وصلت إلى وضعها الحالي.
إن إختلاف ميادين المعركة والإضطرابات التي تشوبها وتباين أشكالها وأخطارها إن

ذلك جعل قابلية تخصص حقل المعركة أقل من قابلية المصنع. ولا شك أن العتاد الملائم لكل إستخدام عتاد لا جدوى منه، ولكن صنع عتاد على درجة جيدة من التخصص لتنفيذ مهمة محددة يعتبر من الأعمال الخطرة، لأن ذلك العتاد قد يحرمنا مما نريده خلال الظروف الأخرى. وعلى تلك الحال يبدو ان إستعمال كلمة ملاءمة أفضل من كلمة تخصص. وفي الواقع ينبغي على كل عتاد عسكري أن يكون ملائماً لمهمة عادية، وبنفس الوقت وخلال الظروف المختلفة يكون لدينا الفرصة لإستعماله بشكل أكبر أو أصغر من هذه المهمة، أي يكون له القدرة على تغطية جزئية لميدان الأنشطة للأسلحة والعتاد المشابه الأخرى. علماً أن هناك عدة أسباب غير متطلبات الحرب الحديثة تدفعنا إلى تسليح المقاتلين بأنواع مختلفة من وسائل العمل (أسلحة رمي مباشر وكذلك ذات الرمي المقوسة والدبابات والأسلحة المضادة على إختلاف أنواعها كالدبابات والطائرات .. إلخ) ومن هذه الأسباب التناقض بين القدرة والحركة داخل مجموعة الأسلحة. إن قوة النيران هي الأهم ذات الفعالية في المعركة، ومن الصعب تحقيق نتيجة حاسمة بدون هجوم، والهجوم يمثل النيران القوية والكثيفة التي تتقدم.

والحقيقة من الصعب الجمع بين القوة النارية والمثالية وخفة الحركة المطلوبة في نموذج واحد، ضمن مجموعة معينة، من مجموعة الأسلحة والأعتدة. وهكذا نجد أن المشاة الحديثة مسلحة بجميع الأسلحة تقريباً. وفقد الدبابة التي كانت تمثل الإستخدام العام مكانتها تماماً منذ عام ١٩٣٩م، وخرج بدلاً عنها دبابات مختلفة منها الخفيفة والمتوسطة والثقيلة، وبنفس الوقت ظهرت أسلحة متعددة العيارات مضادة للدبابات. ولم يكن هناك إختلاف يذكر فيما يتعلق بتطور القوات الجوية عن تطور الأسلحة البرية سواء بالنسبة للطائرات أو الأسلحة المضادة لها.

يجب أن تكون الإدارة القتالية متينة، وسهلة الإستعمال. لأن مجال إستخدامها خلال وقت الخطر، إضافة إلى أغلب المستخدمين يفتقرون إلى الثقافة العالية غالباً. ومن المفروض أن تكون هذه الإدوات بسيطة الصنع لكي يمكن إنتاجها

بسهولة على نطاق واسع. وليس من الضرورة أن تكون بسيطة التكوين، لأن ذلك يشكل قيود تحد من التطور التقني الذي يعيق التحسين وزيادة المردود إضافة إلى زيادة التعقيد. وفي الحقيقة أن التعقيد لا يتناقض مع المتانة وسهولة الإستعمال وبساطة الصنع، وتقدم الصناعة الكبيرة لنا دائماً الدليل على ذلك، تشكل الصناعة العسكرية معاضل كما يحصل في الصناعة المدنية، إلى جانب المتطلبات والخصائص الواضحة الأخرى. ولا شك أن الصناعات وقت السلم تعمل لتحقيق التوفير، والمردود المتوسط والجيد، وطول وقت الإستعمال. أما ما يتعلق في الصناعة العسكرية، فتقل أهمية تلك المتطلبات، وتذهب ضرورة التوفير أمام الفاعلية ويضحى بالمردود المتوسط، ويتم البحث عن المردود الأقصى، وتحدد مدة إستخدامها بإحتمالات التدمير، والمدة المتوقعة لتقادم العتاد. ويكون نتيجة إن كل سلاح أو وسائل الصراع الأخرى أن يتصف بالقدرة الكافية وإمكانات العمل المختلفة، وهامش الإحتياط الكافي، بالإضافة إلى الإكتفاء أحياناً بفترة إستعمال قصيرة نسبياً.

إن الحرب مملكة الصراع والحظ والشك والإحتكاك بين القوى المتصارعة، لذلك فإنها لا تقبل إلا تخصصاً محدوداً، وتسعى رغم فوائد التوحيد إلى الفاعلية. ومع مضي الوقت زادت صعوبة السيطرة على التكتيك، بسبب تحسن التقنية المستمر وزيادة قوى وسائله بإضطراد. والحقيقة أن الصراع هو عبارة عن إنعكاس للحضارة، فمثلاً نجد أن الحضارة الغربية أخذت شكلاً تقنياً يزداد وضوحاً مع مرور الوقت. ولو بحثنا عن تطور البشرية لوجدنا أن تطورها المادي القديم كان بطيئاً جداً، ثم زادت بشكل طفيف، وزادت السرعة منذ منتصف القرن التاسع عشر، حتى أصبح في الحاضر جارفاً. وتحسنت وتعدلت شروط الحياة العامة بالنسبة بعمق وسرعة، وأصبح سير التاريخ حثيثاً، وتابع الفن العسكري وتيرة التاريخ وخطواته. ولقد لاحظنا تقسيمات الفن الغسكري محددة بإستعمال مواد أولية في صناعة سلاح غير معروف كالنحاس ثم البرونز بعد الحجارة،

وأخيراً الحديد. أو إكتشفا قدرة جديدة ترفع من قدرة الإنسان، كالحصان والبارود الأسود، والمتفجرات المعتمدة على النيترات، والمحرك الإنفجاري وأخيراً الدفع النفاث، والموجات الضوئية والصوتية والكهربائية والإنفجار النووي. واستمر التطور التقني بسرعة مذهلة، حتى جاءت المراحل الأخيرة خلال الحرب العالمية الثانية، لتعطي عصراً جديداً تساوت خلاله الدفع النفاث والميكانيكا التموجية والفيزياء النووية.

وفي حالة إستخدام تكتيك معقد ومتحرك بإستمرار، ينبغي للقيادة أن تكون على صلة مستمرة بإستمرار التطور، لأن ذلك يحقق لها القدرة الفنية في قيمتها المطلقة، على أن تمنع القدرة الفنية من السيطرة عليها، ولكن تعد لها بدفع ملائم من صفاتها الأخرى كالخيال والفكر الناقد وقوة الشخصية. فالقدرة الفنية بالنسبة للقائد سواءاً كان عسكرياً أو مدنياً ليست سوى ميزة ثانوية تقل أهميتها بتزايد المنصب؛ لأن معلومات العامل تسيطر على أغلب نشاطه أو كله، بينما يبذل المدير أكثره جهده في الأنشطة الإدارة والحسابية والمالية والتجارية إلى جانب مسؤوليات الأمن. فإذا طبقنا ذلك على الحياة العسكرية وجدنا التباين ذاته بين الجندي والقائد.

وهناك واقع جديد يتطلب ضرورة التعاون الوثيق بين المنفذ والفني، ونتيجة لتماذج التكتيك والتكنيك قد يكون هو إمكانية ظهور المفاجأة الفنية الحاسمة الناتجة عن إستعمال عتاد عسكري جديد، وتلك الإمكانية التي ظهرت في عصرنا من جديد. في الواقع أن هذه المفاجآت كانت محتملة في الماضي عند إشتباك شعبين من حضارتين مختلفتين كما حصل سابقاً بالحروب البدائية والحروب الإستعمارية ثم صارت أكثر صعوبة خلال حضارة بطيئة التطور وضعيفة الإنتاج. ومع أن بعض الدول تمكنت في هذه الفترة من المحافظة على سرية بعض التحسينات، إلا أن عملها إستمر محدود التأثير. ولم تكون الإكتشافات الكبيرة التي دفعت الدول إلى تأمين إمكانت جديدة تستطيع الإختفاء مدة طويلة، وبنفس

الوقت لم تستطع عمل إحتكارات وطنية تبقى مدة طويلة تجعلها مؤثرة، والسبب الرئيسي وراء كل ذلك لأنها إكتشافات يؤثر بعضها على الأخرى بطريقة متبادلة، وحيث أن الإبداع الفني وصناعة المعدات والعتاد الجديدة تحتاج وقت طويل. ولكن زيادة سرعة التطور المادي حد من ذلك.

في الواقع أن قانون الصراع يلعب في هذا المجال دوره: (إن لكل فعل رد فعل معاكس يحاول مساواته بالقوة ليلغيه، وكل عتاد عسكري جديد يدفع إلى حركات تليها ردود فعل، وفي أواخر الحرب الحرب العالمية الثانية نجح الكثير من المفاجآت الفنية من الطرفين، ولكن لم تكون النتائج حاسمة كما ينبغي، ولكنها كانت كبيرة وفتحت أمام المستقبل أفقاً واسعة وواضحة. وفي عام ١٩٤م وخلال شهر أيلول/ سبتمبر نجح الإنجليز في تحقيق مفاجأة فنية دفاعية محدودة النتائج، بفضل الرادار الذي منح طيرانهم رغم ضعف عدده النجاح بصد الهجمات الإلمانية الجوية على جزيرتهم. وخلال الفترة (١٩٤٤م ـ ١٩٤٥م) علق الألمان آمالهم في أسلحتهم السرية (المبنية على الدفع النفاث) ولكن الأحداث سبقتهم، ولم يكون بإستطاعة صناعتهم المنهارة تحت ضربات الطيران الأنجلو ـ أمريكي، إعطاء المافجأة الفنية الألمانية فرصة النجاح المتمثلة في: (الصواريخ ف ١، ف٢، والقنابل الصاروخية الماضدة للطيران والمطاردات النفاثة) والحل الحاسم. ثم استخدم الأمريكيون القنبلة الذرية، وحققوا مفاجأة فنية رائعة، ولكننا لا نجزم بأنها حاسمة، لأن اليابانيون استسلموا قبل هذه القنبلة. ومهما أصبح الواقع، فينبغي أن نؤمن بتسارع التطور الفني، وتطور القدرات الضناعية والذي لا يتوقف خلال المعارك، أصبح من الممكن تحقيق المفاجأة الفنية الواسعة والتي تهدف إلى تحقيق نتائج حاسمة. تلك المفاجآت التي تعتبر الآن مناورة الشعوب القوية. وتشكل مخططات البحوث المنهجية الآن جزءاً من الإستعدادات الدفاعية الوطنية، ويتم الإشراف عليها عن طريق أجهزة جماعية صناعية تشرف عليها الدولة وتراقبها، مزودة بوسائل قوية، وتعمل بالإرتباط المباشر بالقيادة العسكرية محاطة

بسرية تامة ودقيقة. وقد لا تشترك هذه المخططات بطريقة واسعة في فتح آفاق جديدة للعلم المجرد.

فالفرضية المثمرة تضيء العقل الواعي عندما تريد، ولكنها ستحد من زيادة المدد الضرورية للإستفادة من أية إكتشاف فني يصلح للقتال، وتطبيقه عملياً، في زمان تبسط فيه التعبئة الصناعية الجيدة عملية الإنتاج الواسعة وتزيد من السرعة، إن إعداد المفاجأة الفنية دائماً ومستمر دون توقف، وسيكون خطر وقوعها في الحرب المقبلة ممكناً على الدوام فهل سيحقق الإنسان يوماً ما مفاجأة قوية عامة كافية لهزم العدو قبل أن يلعب قانون رد الفعل دوره، ذلك القانون الذي عرقل بسرعة حتى الآن تأثير كل سلاح جديد؟. إن هذا لا شك أنه قليل الإحتمال في مجالات الأبحاث يتنافس فيها المتخاصمون اليوم، ولكن علينا أن نتوقع مفاجأة تؤدي إلى فقدان التوازن، وتعطي الفرصة بالوصول إلى نتائج هامة، وعن طريق تعاونها مع الوسائل الأخرى نتيجة حاسمة. والحقيقة أن صنع الأسلحة وتخزينها عمل عسكري منسق، وهو يأخذ أغلب صفات الصراع، لأنه متصل بالساسة، وعمله الدؤوب لتأمين السرية التامة وتحقيق المفاجأة، وإدارته للوسائل وأخطار، واضطراره لإتخاذ القرارات خلال جو من الشك. ولا يمكن للقائد العسكري أن يقوم بدوره في عملية الإعداد والإنشاء، إلا إذا اعتمد عمله على صفات وقوانين يتطلبها العمل الحربي. فهل يمكن بعد ذلك أن نستغرب؟ إذا رأينا أن العمل الحربي يخضع لنفس قواعد وأشكال الأعمال الأخرى التي لا يختلف عنها إلا بكونه ذروةً وموجزاً عنيفاً.

❁❁❁

الفصل الثاني

التنظيم

التنظيم: إنشاء أجهزة تهب بعملها الحياة

التنظيم

لقد قيل سابقاً أن التنظيم عبارة إن إنشاء أجهزة تهب بعملها الحياة، وفي الصفحات التالية سوف نستعرض التنظيم الذي يعتبر من أكبر إهتمامات القائد، ونتعرف على دوره الفعال في مساعدة التشكيلات المقاتلة على أداء واجباتها وتعويض خسائرها لإعطائها الفرصة للإستمرار في المعركة.

١. الأسلحة والتشكيلات الكبرى:

عندما نناقش التنظيم، يبرز أمامنا عنصران أساسيان هما: السلاح بمفهومه المعروف، ويتوقف نوعيته على الوحدات المستخدمة لذلك السلاح، أما العنصر الآخر فيتمثل بالوحدات العسكرية، حسب انواعها وأحجامها المختلفة. وتتوقف جميع الدراسات والمناقشات التي تتعلق بالقوات البرية على مبدأ أساسي هو المعركة. لذلك يعتمد هدف التنظيم العسكري على المعركة أيضاً. على اساس أن تعمل كل الأعتدة والمعدات في المعركة، بأعمال وواجبات مختلفة، وذلك يتوقف على صفاتها ومميزاتها، وأساليبها المختلفة والمتعددة من أجل تحقيق هدف مشترك يحقق إنجاز المهمة، وبناءاً على ذلك تركز جميع الوسائل العسكرية المختلفة، على أساس خط محدد تحت قيادة الوحدة.

وتضم الفرقة إلى جانب التشكيلات الأعلى، مجموعة متنوعة من الأسلحة والوسائط والتي تعمل تحت قيادة واحدة لتوحيد جهودها لتحقق هدف مشترك، وهناك بعض الدول التي تدخل ضمن تشكيلاتها البرية، جميع أنواع أسلحة بمختلف صنوفها في تشكيلات أصغر من الفرقة. وكمثال على ذلك مجموعة اللواء التي يدخل ضمن تنظيمها المشاة والمدفعية والدروع إضافة إلى جميع أسلحة الإسناد القتالية والإدارة، بحيث تصبح هذه المجموعة قادرة على العمل بمفردها كوحدة قتالية متكاملة. وتقوم بالمناورات اللازمة لوحدها أو من خلال مجموعة ألوية تتبادل المساعدة والمساندة. ويعتمد الإختيار بين تنظيم الفرقة وما

يترتب عليه من إستخدامات للمجموعات التكتيكية. وتشكيل الألوية التي تقاتل منفردة بأسلحتها العضوية تحكمها عوامل مختلفة من بلد إلى آخر، تتعلق بالقضايا الإدارية والإقتصادية، وتدريبية وبشرية إلى جانب العوامل الجغرافية كالأرض وتضاريسها ومدى سماحها بفتح التشكيلات الكبرى ودفعها إلى المعركة.

ولا شك أن أشكال وحركات الوسائط المختلفة، كالمدافع والطائرات والدبابات والعربات المدرعة وكذلك الأسلحة الخفيفة، جميعها تعمل على تكتيكات قتالية متباينة حسب مهام كل منها. ولكن الحقيقة أن القتال ليس مستمراً بدون توقف. وتشغل القوات المتصارعة فترة التوقف مهما كان طولها أو قصرها، للتدريب على الوسائط والإستحمام والأعمال الإدارية الأخرى، كالإعاشة وإعادة التموين. وينبغي التوحيد النسبي إعتباراً من خط معين. علماً أن التشكيلات الصغيرة والتي أدنى من الفرقة واللواء تتميز بتجانس أكثر من التشكيلات الأكبر، وهي عبارة عن وحدات متجانسة، كالمشاة أو المدفعية أو المدرعات.. إلخ. فهي تستخدم أعتدة ووسائل قتالية واحدة وتتميز في متطلبات وسلاح وتدريب متشابهة، وكوادر لها القدرة على الأنتقال والتبادل من داخلها. وتجتمع هذه الوحدات تحت مسمى واحد لإدارتها وليس قيادتها. لأن إدارة المجموعات المتجانسة أسهل من المختلفة. والسلاح وليس شيء آخر، بغض الطرف عما يخالف هذا الرأي ويرى أن وحدة المهمة تحدد السلاح وهذا لا صحة له. لأن الواقع يظهر أنه لا يوجد لوحدة المهمة صفة معينة أو أساسية تحدد السلاح، ولكن الحقيقة أن كل مهمة قتالية بحجم معين تحتاج إلى مساعدة وتعاون العديد من الأسلحة المختلفة. وفي الواقع أن وحدة المهمة تعتبر عكس ما ذكر، صفة من صفات التشكيل الأكبر، وهي تتكون من عدد من صنوف الأسلحة المختلفة، تبنى داخل الوحدة توازناً معيناً ومقبولاً، يمنحها المجال الكافي لكي تأخذ على عاتقها إنجاز المهام خلال جزء من مسرح العمليات أو ميدان المعركة.

٢. تخصص الوحدات ووسائل الدعم.

لقد إستفدنا من التاريخ العسكري حيث علمنا أن الأساس من معاضل التنظيم بشكل عام وخاص هو السلاح، لدى شعوب العالم أجمع دون إستثناء. أما تأثير العوامل الأخرى المتمثلة في العرق وطبيعة مسرح العمليات والحالة الإجتماعية.. إلخ. فإن آثارها ثانوية. حيث بان لنا خلال الحرب العالمية الثانية أن سرية المشاة الألمانية رغم آريتها لا تختلف عن السرية السوفياتية أو السرايا البريطانية المختلطة من جميع الأجناس والأعراق، حيث كانت جميع هذه النماذج الثلاث تستخدم سلاحاً واحداً. لقد اصبح تسليح التشكيلات الحديثة مكلف جداً. والتسليح الذي نعنيه هنا حسب مفهومه المحدد جداً، والخاص بالأسلحة فقط، ولكن المشكلة لا تتوقف عن إرتفاع تكاليف الأسلحة، لأن هناك أشياء غير الأسلحة باهظة الثمن، والتي لا فائدة من الأسلحة بدونها، وهي المتمثلة بالتجهيزات والأعتدة والذخائر والتي تضاعفت بالتالي نتيجة لزيادة وتيرة الرمي وغزارته. وإذا أردنا تعيين المصروفات بشكل أدق أضفنا في حسابنا وحدات الأحتياط التي لم يكن لها وجود في الحروب الماضية. وإذا وجدت فإنها صغيرة جداً لا تحقق المطلوب منها (ولكن إستخدامات قوات الإحتياط خلال الفتوحات الإسلامية بشكل رائع كإستخدامها من قبل خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة اليرموك ضد الروم).

وبناءاً على ذلك ليس بإستطاعة أي دولة مهما بلغت طاقتها البشرية ومهما بلغت قوتها الإقتصادية، ومهما ملكت من الثروة والقوة الصناعية، تخزين وقت السلم عتاداً يكفي لجميع شعوبها وتعبئة الملايين. وليس من المناسب المحافظة على هذه الأسلحة المكدسة من خلال التقدم المستمر والمتميز للتطور التكنولوجي المستمر للأسلحة في العالم. ولقد توصل بعض الخبراء قبل الحرب العالمية الثانية بوقت قصير إلى فكرة بناء القوات البرية المختلفة من جديد. ووضعوا شكلاً للوحدات المحترفة القادرة على جني المردود الفعال من المعدات التي تتصف

بالتطور الكبير، وتوفير العدد، ولكن كانت تلك الفكرة التي تعبر عن وجهة نظرهم متسرعة وناقصة. ولو إستمرينا بالتحليل أقصى من ذلك لإتضح أن تحسن وتطور الأسلحة سيقود إلى إرتفاع أسعاره، إضافة إلى تعقيد إستخداماته إلى جانب تخصصه.

إن إعتماد عملية الهجوم الرئيسية على المدافع بإختلاف أنواعها، وبعد أن إنضم إليها الهاونات ذات الرمي المقوس بإختلاف أعيرتها، والدبابات والطائرات المهاجمة والقاذفات. بينما يعتمد الدفاع بشكل رئيسي على الرشاشات ومضادات الدبابات والطائرات والطائرات المطاردة الإعتراضية. إلى جانب أسلحة حديثة دخلت العمليات الهجومية والدفاعية بآن واحد كالصواريخ والراجمات.. إلخ. ومع الأيام زادت التناقضات بالنسبة للمتطلبات الخاصة بالعمليات الهجومية أو الدفاعية، ورغم ذلك هناك تشابه بالمتطلبات لكلا العمليتين. فإذا فرضت علينا بعض الظروف حشد أسلحة كافية وضرورية من الضروريات الدفاع والهجوم، تكون عندنا قوات كبيرة من الصعب قيادتها ولمعالجة مثل هذا الموقف الصعب يبدو لنا حلان هما:

أ. تنظيم قوات تستطيع العمل سواء بالهجوم أو الدفاع.

ب. زيادة تنظيم الوحدات الرئيسي بواسطة وسائط عضوية قادرة على العمل بجميع الظروف، وإسنادها بوسائط إضافية أيضاً، بشكل يخدم مهمتها الآنية أو الحالية، وهذا ما يسمى نظام وسائط الدعم والإسناد، وهي عبارة عن قوات يدفعها الإحتياط العام بشكل مؤقت إلى التشكيلات الكبيرة، أو تقدمها الوحدات الكبيرة للوحدات الأصغر التابعة لها.

ولا شك أن كل الحلين صعب الإختيار بينهما، لأن العمل الواقعي والصحيح لا يتوافق مع الأعمال الجدية وحيدة الإتجاه، ولكن كل حل من الحلين له.إيجابياته وسلبياته، وتتوقف مهام المنظم الأساسية على مقارنة المحاسن والمساوئ

والإيجابيات والسلبيات لكل حل وتحليلها ودراستها بشكل جيد ودقيق، وبالتالي تعديلها حسب الأسلحة ومختلف طبقات البناء العسكري لتخدم المهمة بشكل أفضل.

٣. الكم والكيف.

ليس هناك تعارضاً بارزاً كما يرى البعض بين الكم والكيف. ولقد أثبتت التجارب الألمانية أنه من السهل تحقيق الحل الحاسم بواسطة قوات كفاءة عالية مع عدد كافي لإنجاز المهام الثانوية التي تحتاج إلى وقت أطول. بينما يرى المعارضون لذلك لهدف تبسيط الأمور، تشكيل قوات صدمة جيدة التدريب وحديثة العتاد، إلى جانب جيشاً من المليشيات.. ولكن الحال أصعب من ذلك، لأن القوات الهجومية المختصة، والإحتفاظ أفضل الأسلحة وكثرها دقة، ليس لديها متسع كافي لعدد كبير من الإختصاصيين الأكفاء، بينما يتوفر فيها متسع للمجندين والإحتياطيين بشكل أكبر المكلفين بأعمال إضافية، ويشكلون العناصر الجاهزة لسد الفراغ الناجم عن خسائر المعركة. علماً أن الكثير من العسكريين يعرفون بشكل جيد الصفات والمزايا للوسائط المادية العسكرية الحديثة، وتعدد أنواعها وتقديرها وكفاءتها العالية وكمياتها، ولكن يجب أن نعرف أن القليل والقليل جداً من العسكريين يعرفون بشكل جيد السلسلة المزودجة للنتائج المتعاكسة نتيجة لتطوير تكنولوجيا الأسلحة، وفي الواقع أن الإبداع والتنفيذ وإستعمال أسلحة فنية حديثة، لغرض إنجاز هدف محدد، أمر شديد التعقيد بل يزيد مع إستمرار الوقت تعقيداً وصعوبة، والحقيقة أن العمل على هذه المعدات توزع أخيراً، وأصبح هناك أطقم للعمل على هذا العتاد، وبالتالي أصبح العمل عليها أكثر بساطة من الإنقضاضات المتبعة في الماضي، والفكرة المعتمدة على تشكيل الوحدات من الموهوبين والفنيين، تبذيراً وإسرافاً لا مبرر له. إن أبسط كتيبة من كتائب المهندسين العاملة في تحكم وحفر الأرض، ينبغي أن تزود بالحد الأدنى من

الصلابة والتماسك والمزايا القادرة على مساعدتها لإنجاز مهامها. وفي هذه الحالة أو الموقف ليس أمامنا سوى حلين رئيسين يجب علينا أن نختار أحدهما، فالأمر لا يتطلب أن يكون لدينا قوات مجهزة بالمحترفين خلال وقت السلم، وفي نفس الوقت ليس هنا حاجة لتزويد هذه القوات بقوات كبيرة من الإحتياط.

إن الحل الواقعي والأفضل هو تحقيق التوازن بشكل معقول، والقائد خلال ممارسته العمل التنظيمي يستطيع معرفة الكثير من المعلومات المهمة التي تمنحه فوائد كثيرة عندما يكون مستخدماً لأنه يعمل مع الوحدات التي يعرفها جيداً ويعرف سير حركتها بالعمق بشكل افضل، لأنه سبق له فكها وتركيبها وأعاد ذلك قراراً مما يجعله ملماً بها، ويستطيع أن لا يعتمد في تقديراته على الموازين الحسابية البحتة، التي تجمع الأشياء المختلفة بطبيعتها عن بعضها، ودفعه إلى مقارنة أشياء لا تقبل المقارنة. وهو يتوصل في التالي إلى أن مثل هذه التقديرات الكمية العامة من الصعب أن تأخذ معناها الصحيح وقيمتها الأكيدة، إذا لم يدخل فيها بكل مهارة ومن القيم الكيفية.

٤. هرم القيادة ونسبه.

عند بناء هرم القيادة ينبغي معرفة العلاقة الكمية والتي تكون متناقضة خلال المستويات المتتالية. لقد سبق أن قال نابليون يوماً: (إنني لا أستطيع قيادة أكثر من خمسة مرؤوسين مباشرين بآن واحد) ومنذ ذلك اتخذ العسكريين هذا المبدأ وساروا عليه، ولكن بعد وقت تعارف الناس على أساس أن عدد الوحدات الأصغر في كل خطوط القيادة لا يتعدى الأربعة، وفي مخالفة هذا الأساس في بعض الحالات كانت غالباً النتائج غير سارة أو مشجعة.. أما بعض القادة الذين يخاطرون بإستعمال وحدتين بوقت واحد، فإنهم يخسرون السلاح، لأنه جعل نفسه بدون احتياط. لا سيما إذا عرفنا أن الوحدات المقاتلة والمشتبكة في القتال مستنفذة غالباً، وفي مثل هذه الحالة ليس هناك وسيلة للتعويض سوى القوات الإحتياطية، والذي يصعب توفرها في هذه الحالة. ولكن إذا أستخدم القائد

الوحدتين بشكل متعاقب، لهدف دفعها إلى المعركة بشكل متعاقب. وفي هذا الموقف سيعود القائد ولكن خلال أقسى أوقات المعركة وأكبرها، على أن تصبح أحد الجهات خاضعة لسلطة أحد المرؤوسين، علماً أن مثل هذه الحالة غير مقبولة وليس محببة لأنها تقود إلى تضارب السلطات وغالباً ما تعطي نتائج عكسية. والواقع أن النظام الثنائي أبرز أن باستطاعة القائد أن يدفع أحياناً إلى اتخاذ تنظيم مجموعات تكتيكية وقتية لهدف توفير قوات احتياط للاستفادة منها خلال المواقف الطارئة، أو حالات زيادة ضغط العدو عليه. ولكن تشكيل هذه المجموعات التكتيكية بالرغم من أهميتها وضروريتها لها عيوب كثيرة، وكمثال على ذلك توتر الروابط العضوية الداخلية في الوحدة وتماسكها، لأن الحقيقة تؤكد أن هذه الروابط تشكل أهم عوامل الصلابة والتلاحم والتماسك خلال المعركة. ويجب على التكتيكي ألاّ يهمل أسلوب تشكيل هذه المجموعات، وينبغي للمنظم أن يعادل الوحدات بطريقة تجعل تطبيق التكتيكي لهذه الطريقة نادرة. والعدد ثلاثة يعتبر أول عدد يحقق المناورة، ويعطي القائد ميدان العمل الكافي لممارسة وتطبيق سلطاته، بدون تعارض أو تطابق مع أو على سلطة مرؤوسيه. ويصبح أمامنا خيارين لتحديد الأفضل التشكيل الثلاثي أم الرباعي والاختيار الحاسم بينهما صعب. عند ذلك يصبح دور المنظم المقارنة بين المميزات والمساوئ لكلا التشكيلين لكل حالة خاصة. فالتشكيل الرباعي يوفر بشكل جيد القدرة والتحمل والصمود تحت النيران العدائية، إلى جانب ذلك توفير العمق الدفاعي، كما تزيد قدرتها ومدة وقوة صدمتها الهجومية. ولكن التشكيل الثلاثي بتميز بخفة الحركة وتستطيع القيام بعملية سريعة بمفردها. ويتوقف الاختيار بين التشكيلين في النهاية على المعرفة الواسعة بحقائق الحرب ومفاجآتها. والحقيقة أن التوازن المهم بين السلاح والوحدات الكبيرة، وبين سياستي التخصص والدعم، وبين الكم والكيف. وبناء هرم القيادة على أساس نسب معقولة. إن ذلك بشكل عام يشكل مشاكل لا حدود لها أمام المنظم العسكري. وحقيقة ليس من الضروري

إدخال تبديل أو تغيير في المصطلحات المذكورة سابقاً، حتى يجد كل منظم عسكري مكان أو مدني مجال عمله وإختصاصه. في الواقع أن دور التنظيم العظيم في الأنشطة الخلاقة أهمية عظيمة لا تقل عن أهمية المجالات الأخرى خلال الصراع. فكلمة التنظيم يعني التجهيز والترتيب حسب نظام معين، لفرض عمل معين في المستقبل. فإذا أعتبرنا أن العمل المطلوب خلال المستقبل هو الحرب الممثل لطبيعته للمآسي والفوضى الدموية. إتضح لنا الأهمية الكبيرة للتنظيم. والعمل في التنظيم من أجل تشكيلات المعركة، يتطلب التخيل ومعرفة المعركة توقع أشكالها وأجوائها، والإلمام بشجاعة النفس البشرية في مواجهة الموت. وهذا الذي يعطي الإنطباع ويفسر أن المنظم يستخدم كل مستويات المعلومات العسكرية إلى جانب أنه يقوم بدور القائد، والواقع أن هذا الإجراء أفضل درجات إعداد القائد العسكري من أجل المعركة. ويتضح سيطرة ضروريات المعركة خلال ذلك على مسائل التنظيم بشكل واضح، إنها تطرحها وتحدد حلولها، أما ما يتعلق بالأمور والإعتبارات الأخرى المتمثلة بالمشاكل والمتاعب الإدارية فليس لها تأثير مباشر على الضروريات المعركة بنفس المستوى، ولكنها تقوم مع ذلك بتعديل التدابير التي تفرضها تلك الإعتبارات الأخرى. وعند ذلك ينبغي الإعتراف بأهمية دور القائد التنظيمي في العمليات في الخطوط العليا.

❋❋❋

الفصل الثالث

تطوير الذكاء للعمليات القتالية

عليك بالتعليم أولاً، ثم توقع أختيارك للعمل

تطوير الذكاء للعمليات القتالية

ليس من الممكن إتقان أية عمل بشكل عام، والعمل العسكري بشكل خاص، إلا بالتجربة، والتجربة الشخصية لا يمكن أن تكتسب إلا بالدقة الواضحة بحيث تكون موجهة ومدققة وتكتمل بالذكاء المنفتح الذي يرتكز على شخصية قوية ولا شك أن الذكاء من الفطرة عند بعض البشر، ولكن من الممكن إعداد الذكاء وتطويره بالتعليم، والتدريب، والتربية. ويعتبر التعليم من الضروريات للعسكري، لأن خوض المعارك بطريقة صحيحة يحتاج إلى المعلومات الوافية والخاصة المتعلقة بالعلم العسكري، إضافة إلى التفكير السليم. وإعتياد معالجة الأفكار ودراستها، ولا تقل أهمية التدريب عن التعليم، لأن التدريب هو القلب الذي يحرك الدم في جسم التعليم. لأن الحرب فن بسيط ولكن المشكلة في التنفيذ الذي يمثل كل شيء في القتال. وبما أن الحرب فن، فمن أولوياتها التدريب. من أجل ذلك من الصعب الحصول على المهارة الفنية إلاّ بالتدريب، فالتمارين العملية أُم جميع الفنون. أما التربية فهي العمل على تهذيب العادات الشائعة في وسط معين، والعمل على أساس وضمن إطار معين، وهي تمثل العادة على الأحاسيس الإجتماعية، وغرس حب العمل الجماعي عند الأفراد، وبالتالي تمنح الفرد القدرة على تحقيق توازن الحريات، وبكلمة أخرى تعادل الحرية الشخصية مع متطلبات الحياة بشكل عام. إلى جانب ذلك فإن التربية تتمثل في العمل الجماعي، ومن أهم واجباتها الإهتمام قبل كل شيء بإعداد أفراد قادرين على إخضاع أهوائهم وإنفعالاتهم الفكرية أمام العقل والمصلحة العامة. لهذا لا يمكن وجود تربية أهم من التربية العسكرية، طالما كل عمل عسكري يعتبر عمل جماعياً بالضرورة. ويجب توازن التفكير مع الشخصية وتلازم الإنضباط مع الفكر الناقد في الفن العسكري مما جعل التربية العسكرية من الضروريات.

١. التعليم.

في الواقع لو نظرنا إلى التعليم بشكل عام لوجدناه يتشكل من نوعين من المواضيع أو المواد، فالنوع الأول يحقق المعلومات الضرورية للمتعلم لتنفيذ النشاط الذي يسعى لتحقيقه وممارسته. بينما يحقق النوع الثاني معلومات بناءة توفر فوائد غير مباشرة، لا تكون قيمتها بما تقدمه ولكن تأخذ قيمتها مما تدفع التفكير فيه.. والنوع الأول مهم في التعليم الإبتدائي أو الإختصاصي أو العالي. لك أن تسميه ما تشاء، بينما يعلب النوع الآخر دوراً كبيراً في التعليم الإعدادي، أو الإجهازي أو التطويري، لك أن تسميه ما تشاء كذلك. وهذان النوعان من التعليم متعارضان بشكل كبير بالنسبة للتعليم العسكري. لأن المعلومات المفيدة في التعليم العسكري متغيرة ومتحولة في أغلب الأحيان، وقد قال نابليون: (يتبدل التكتيك كل عشر سنوات) وبعد ذلك زادت التطورات الفنية السريعة والمتتالية منذ ١٥٠ عاماً أبعاد هذه الفكرة، وأصبحت مقولة المرشال بيتان المشهورة: (فن الحرب هو أكثر الفنون حركة) أكيدة أكثر من الماضي، إلى جانب ذلك ينبغي أن لا يغيب عن أذهاننا بأن القوات لأية أمة من الأمم لا تجهز وتعد للحرب بشكل عام، ولكن تعد لحرب محدودة، أو لصراع عدد من الصراعات ذات أشكال وطبيعة تحددها عدد من العوامل، كالتاريخ، والجغرافيا والإقتصاد، لأن مهمة القوات المسلحة قفل أو ترقيع ثقوب السياسة، وتتحمل مشاكلها. ومن هذا المنطق ومن الضرورة أن يقوم العسكري المحترف بإعداد نفسه للحرب مهما كانت رتبته صغيرة أو كبيرة، خلال إستعداد جيشه، وبناءاً على ذلك تظهر ضرورة تمرين وتدريب وإعداد ذكائه بأية تدابير يراها تجعله قادراً على تحقيق أي تلاؤم ضروري. ولقد مرت حربين عالميتين، غيرت الكثير من المفاهيم التكتيكية، والآن نجد الضباط بعد عشرين سنة من تخرجهم يحملون رتب القيادة، ويواجهون مفاهيم جديدة تختلف كلياً عما تعلموه، ولم يكن للدراسة التي قاموا بها أي فائدة ترجى، سوى العمل البنائي لذاتهم. لقد كانت جهداً ضائعاً، كلعبة لا ترتكز على الذكاء، أو تمثل

حديث إستراتيجي أجوف على مقاعد الدراسة. والأمر الأدهى من ذلك بعد ثلاثين سنة أصبحوا على عتبة قيادة التشكيلات الكبرى. وكان كل هذا ناتجاً عن الأخطاء في أساليب تعليمهم العسكري، الذي يستمر في التوسع بلا مبرر في بعض فروع العلوم العسكرية. وفي الحقيقة أن أحسن وسيلة للتعليم تتمثل بالرجوع إلى الأنظمة السابقة التي تقول على القائد أن يكون جاهزاً وأهلاً لقيادة وحدة تعادل رتبته، وبإستطاعته قيادة وحدة أعلى من رتبته في الميدان. وحبذا لو وصلنا إلى درجة تعطينا فيها الكليات العسكرية قادة فصائل بإستطاعتهم خوض المعارك على رأس سرايا، وحبذا لو أهلت دورات الضباط قادة يتقنون قيادة الكتائب، ويستطيعون عند الضرورة قيادة ألوية تتكون من ثلاث كتائب، أو قيادة مجموعة قتال تكتيكية تشمل بعض المدرعات والمدفعية. وياليت لو ركزنا إهتمامنا بعد ذلك بتأهيل وصقل قادة فرق المستقبل بعناية. وينبغي اللجوء إلى العقل، وأهلنا ضباطاً في بداية كل فترة جديدة من فترات حياتهم العسكرية تأهيلاً يناسب تلك الفترة فقط، علماً بأن توجيه دراسة هذه الكفاءات توجيهاً يوسع آفاق مداركهم والتفكير لديهم، ويجعل الدراسة تمنح رغم بساطتها تاثيراً بناءاً هائلاً. والواقع الذي يجب أن لا يختلف عليه أن مناورة الوحدات الصغيرة لا تختلف عن مناورة التشكيلات الكبيرة، ولا خلاف في طبيعتها. والحقيقة التي يجب أن يعرفها الجميع، أنه يمكن أن تظهر أكبر المبادئ في قيادة سرية أو كتيبة، كظهورها في قيادة فرقة أو جيش، ولكن تطبيقها على تشكيلات يقودها ضباط يرونا كل يوم يميزها بشكل أكثر وضوحاً. وأما ما يتعلق بالجزء السامي من الفن، والذي يشترط معرفة القلب البشري، وهو مستمر الحركات السريعة الغير واضحة المعالم، فهو جزء ليس من الممكن تعلمه ولكن من الممكن إستيحاؤه، وتتضح مكانته عند دراسة الوحدات الكبرى وإن كانت دراسة الوحدات الصغرى أفضل في هذا المجال. وبالرغم من أن برنامج المعلومات العسكرية متواضعاً، فيجب تنمية قائد المستقبل بالقدر الذي يحقق له القدرة على التعبير كتابة وكلاماً. فالقيادة لا تتطلب

تحليل الأوضاع وإستنتاج القرارات فقط، ولكن تتطلب إعلام المرؤوسين عن التدابير الناتجة عن هذه القرارات، وينبغي لمن يملك السلطة أن تكون لديه القدرة على الكتابة بسرعة ووضوح: (لقد إعتبر برانتم أن القلم يساعد كثيراً على إعداد القادة)، إضافة إلى التحدث بجراءة وطلاقة أمام الآخرين، لأن ذلك من متطلبات عمله. وينبغي له أنه يتصرف كمعلم ومدرب وقائد. وبدون شك لا يستطيع القائد أن يعرف التعبير بدقة وإيجاز كقائد، إلا إذا عرف بشكل جيد بعض التعابير المحددة بدقة وتعوَّد على شرح وضع أو قرار حسب المخطط المنهجي الملائم.

ومن الأسس المهمة لإعداد قادة المستقبل، إستغلال جميع المناسبات لتعليمهم طرق صياغة إجابات واضحة ودقيقة، وتقديم دراسة منهجية لأية موقف أو موضوع معين وكتابة الأوامر حسب مخطط موحد يعرفه الجميع، لأن وحدة الشكل والأسلوبِ سبيل تقوية وحدة العقيدة العسكرية، اللازمة لجميع الأعمال المتماسكة نقوم بها جماعة، خصوصاً أن ملكة عبارة عن مقياس من أفضل وأدق المقاييس لتحديد ملكة التركيب، وبالتالي إستعمال المعلومات للعمل والإبداع.

إن عملية التلقين للعلوم العسكرية تمنح تعليماً خاصاً، يؤدي إلى إتقان تطبيق فن معين، لهذا ينبغي أن لا تكون بدايته محاضرات تعطى للمستمعين فيكون فهمها سطحياً ولكنها تدفع إلى الكسل الفكري عند أكثْرهم. ولكن الأفضل والأحسن وضع الطلبة وجهاً لوجه منذ البداية مع حالات واقعية. لأنه سيتعامل معها ويحاول بأفكاره الخاصة، وينظر إليها من جميع جوانبها ليكتشف صعوبتها، ويبذل قصارى جهده لوضع حلولاً ذات قيمة محدودة، ولكن فائدتها كبيرة، لأنها مدفوعة إلى توقع قاعدة سليمة. لأن الواقع يعلمنا أن أول قادة من قواعد التدريب، عدم تبسيط التمارين، لكي تحقق الهدف منها المتمثل في معالجة الصعوبات والتغلب عليها. وهذه قاعدة ينساها كثير من المعلمين وينبغي للضباط المهيئين لقيادة التشكيلات أن يكونوا على إستعداد تام لمعالجة حالات متزايدة بإستمرار،

أمام أفق يزداد إتساعاً. والإتجاه إلى الدراسة لتطوير قدراتهم على التحليل والتركيب، وذلك يعني قدرته على الإستنتاج بشكل موضعي بالضبط أمام الحالات الملموسة، وهذا بالتالي يمكنهم من إتخاذ القرارات السليمة والصحيحة، ويمنهحم إلى جانب ذلك القناعة الكافية لنقل القرار إلى مجال العمل. وعندما يصل الطلبة إلى الدرجة التي يصبحون عندها قادرين على الإستدلال والإستنباط للحالات الخاصة، ينتهي المعلم، ويقوم بالتصحيح والترتيب أمامهم إستنتاجاتهم الجزئية، ليمنحها بعد ذلك شكل عقيدة، على أن لا ينسى إعطاء التبريرات اللازمة، مع التأكيد على مناسبة هذه التبريرات للموقف، وشروط اللحظة وعدم ثباتها، حيث أن الموقف نفسه متبدل. وبالتالي يقوم المعلم بتوضيح وتعليم الحقيقة الحاضرة، إلى جانب إعداد أذهان قادرة على تلائم مع حقايق المستقبل.

والحقيقة أن التعليم العسكري لا يقتصر على المواضيع العسكرية البحتة فقط، ولكن هناك مواضيع أخرى لها أهميتها وفائدتها العملية، لأن فائدتها وقيمتها الثقافية العسكرية تشكل أهمية بالغة وكبيرة، لأنها تنمي مجال الإدراك، وتخلق المحاكمة وتزيد صفة كشف العلاقات بين الأمور. وإنني بصفتي الشخصية أعتقد أن هذه المواضيع لم تحظى بالإهتمام الكافي، رغم أهميتها. فكانت تدرس بشكل مبسط وبدائياً، وفي الواقع أن التعليم العام المتزن وعالي المستوى ضروري وعالي الأهمية لمنح القوات العسكرية عقول نيره ومؤهلة، وتتلذذ عادة بالعمل الفكري، ولها قاعدة عريضة من المعلومات كافية لإنجاز أعمال المستقبل. إلى جانب مرونة تمنح التلائم مع فرضيات الزمن والإحداث. والحقيقة التي غابت عن الأغلبية، أنه كان في الماضي ليس هناك ينكر إعتبار دراسة التاريخ من أهم المواضيع البناءة ولكن ومع الأسف أصبح ينظر إليها في الوقت الحاضر أنها لا تُمنح الأهمية التي تستحقها في التعليم العسكري. والوقاع الذي لا يقبل الشك أو الجدل أن إنكار التاريخ من الأعمال التي جانبها الصواب، لأن إنكار التاريخ لا يختلف إطلاقاً عن إنكار التقدم والتطور الذي

حصل خلال العصور المتتالية حتى عصرنا الحاضر. لذلك أصبح من الصعب فهم اسباب إعاقة معرفة الماضي لدى أصحاب الذكاء العادي فيما يتعلق بتوقع المستقبل، بالرغم من أن هذا المستقبل ناجم عن الماضي ودراسة الماضي وحدها التي تستطيع منحنا الشعور بما يمكن تنفيذه، وقراءة التاريخ والتفكير فيه ولو بشكل قليل هو الفلسفة الوحيدة لمعرفة الحرب، ولا سيما قراءة حروب القادة الكبار والتفكير فيها.
وللتاريخ فضيلة لا يمكن مقارنتها بشيء آخر، وهي قدرته على تنمية حس ومعرفة الممكن، وكذلك التسلسل الزمني التي وقعت فيه الأحداث الكبرى. والتاريخ حقل واسع لا يمكن إكتشافه أو إستعماله كاملاً، ولكن ينبغي أن نختار الأجزاء التي تعطينا أكبر فائدة، على أن لا ننظر إلى التاريخ على أنه لا يشكل سوى مجموعة معلومات، ولكنه قاعدة وإسلوب. ومن المستحسن أن يستخدم قادم المستقبل الأسلوب التاريخي كأداة عمل لدراستهم الشخصية المقبلة، لأن قيام المرء بدراسات تاريخية مدة طويلة تصل أحياناً ٣٠ سنة أو ٤٠ بدون الإلمام مسبقاً بطرق العمل التاريخي، لا يحقق سوى طلب المرء من الوثائق إظهار آراء في أحد الأمور المتشعبة مبنية على معطيات أخرى.
إن حالة القائد حينما يحلل قبل الإستنتاج مجموعة معطيات ناقصة وغير مؤكدة، كوضع المورخ الذي يكرس جهوده للقيام بنقد داخلي وخارجي للمصادر، محاولاً إستخدام علامات جزئية ليعيد تشكيل حالة إختفت وأسباب عفى عليها الزمن. والواقع والحقيقة أنه ليس هناك طريقة أخرى سوى التاريخ للدراسة، بإستطاعتها تحقيق دروس صحيحة، تتصف بالنقاوة الفكرية لعقول إنحرفت عن الطريق بتأكيدات لا تزال مغرضة ومجة، في عصر الدعايات والتعصب، خلال زمن تسيطر الأفكار العنيفة على الأفكار الحقيقية والنقية. إن معرفة علماً ما تتطلب معرفة أصوله، ولا شيء يمكن أن يجهز المرء لتخيل المستقبل سوى نظرة واسعة إلى الماضي، لأن تخيل المستقبل يخضع للضوابط، وينبغي للعسكريين إن أرادوا تخيل المستقبل أن يحتفظوا بكثير من الماضي في ذاكرتهم. ودراسة بعض

المعارك المنتقاة من مختلف العصور، تدخل في الزمن وترتبط فيه، وعن طريق نظرة عامة إلى التاريخ العسكري، تكون صورة واضحة عن التطور والطرق التكتيكية المتعاقبة. ومن الأهمية بمكان دراسة بعض الحروب والمعارك بدقة، والبحث في أدق التفاصيل، فهذه الدراسة مهمة وضرورية لخلق قادة بناء العقيدة العسكرية أو الحربية، وبيان الأسرار والوسائل المادية والمعنوية والفكرية التي كانت السبب في النصر أو الهزيمة. ومن المستحسن الإجتهاد في دراسة نفسية قادة الماضي الكبار الذين كانت لهم بصمة في التاريخ العسكري، وتحديد مخططاتهم وأفعالهم. ولا شك أن فهم التاريخ العسكري وإدراك ما يحتويه من الأمثلة، يهدف إلى إعطاء قائد المستقبل إنضباطاً فكرياً سليماً، ومنحه قاعدة ضرورة يستند عليها لأعماله النظرية المقبلة، إضافة إلى إكمال خبرته الشخصية كما يرشده إلى كيف يبحث في الماضي عن دروس وليس عن نماذج. أما ما يتعلق بدراسة الحالة الملموسة فإننا نعطي الأرض قيمة عالية لأن الأرض تعتبر الوحيدة التي لا تكذب. وهذا يدفعنا إلى الإهتمام بالجغرافيا ولا نعني الجغرافيا العسكرية المملة والممتلئة بالتسميات التي لا نهاية لها للأنهار والجبال والهضاب.. إلخ.. ولا شك أن تطور علم الأرض والجغرافيا الإنسانية تمثل دراسة الظواهر الجغرافية من ناحية مختلف الأنشطة الإنسانية. والحرب في حقيقتها رغم غرابتها وقسوتها ودمويتها وصفاتها الإستثنائية نشاط من الأنشطة الإنسانية. ومن الأفضل دمج الجغرافيا العسكرية المطورة بطبغرافيا معدلة، لبث الحياة في عملياتها الحسابية والهندسية بواسطة دراسات جغرافية وجلوجية للخرائط، مشابهة للدراسة الجامعية بشكل يحقق معه شكل الأرض وبناؤها معناهما الحقيقي، المليء بعدد ثمين لا نهاية له من الإستنتاجات العسكرية. وبذلك يتحقق لنا سبيل دراسة تكتيكية لميدان المعركة، إضافة إلى ذلك دراسة إستراتيجية لمسارح وميادين العمليات، وتستخدم كل أقسام معرفة الأرض كالجغرافيا الفيزيائية والطبيعية والسياسية والإقتصادية. وهذا يبين الحقيقة التي لا يجهلها أحد، وهي أن

الأسلحة والوسائط المادية للقتال تلعب في الحروب المعاصرة دوراً كبيراً، وهذا يعني أن الفكر العسكري سيضيع في تعاميم غامضة ولا قيمة لها، ما لم يحقق تماساً وثيقاً مع هذه الحقائق الفنية ولم يحافظ عليها.

وينبغي لقائد المستقبل أن يتسلح بثقافة علمية قوية إلى جانب ثقافته المهنية. وأصبح من الأفضل للجيوش أن تتخلى وتخلي مدارسها من الدروس البدائية والغير مجدية، والتي يطلق عليها العلوم المطبقة على الحرب، وأن تستبدلها بدروس تحافظ على الثقافة العلمية المستقاة سابقاً، وتجددها وتكملها وترفعها إلى المستوى اللازم في مجال الرياضيات والفيزياء والكيمياء، مع البقاء في المستوى العلمي البحت، على أن لا يتعرض البحث للفائد العلمية من هذه العلوم إلاَّ في تعيين حدود البرنامج وتقديم الأمثلة. على أن نفهم أنه ليس هناك علوم تطبيقية ولكن هناك تطبيقات للعلوم. ومن الممكن إضافة برنامج للدراسات الإجتماعية والسياسية إلى برامج التعليم العسكري مع التأكيد على أن يقوم بعض العسكريين المؤهلين بدراسة هذه المواضيع من جديد، وبشكل موضوعي يتعلق بمهنة حمل السلاح. والأمر في هذه الحالة في حاجة إلى تنقيح وتجديد كلي، على أن لا تنحرف هذه البرامج في بدايتها إلى آيديولوجية مقنعة بكلام منمق يدعي العلمية، في الوقت الذي لا يكون في جوهره أية فوائد علمية أو قيمة بناءة. وينبغي أن لا يكون القادة وسط جهل مطلق ببناء المجتمع وضوابط وشروط العمل السياسي الذي عليهم إطاعته دون فهم. ويجب أن نعلم أن ما قدمناه في هذا البحث عن التعليم ليس كاملاً، ولكن هناك نقاط كثيرة تحتاج إلى إكمالها، مع تحديد مقادير ودرجات كل علم من العلوم داخل المناهج. وتنحصر قيمة التعليم العسكري الأساسية من ثلاث مرتكزات هامة وتتمثل أولها بمعلومات مفيدة عملية، تكون مختصرة إلى أقصى حد ضروري للدور الذي سيلعبه الطالب في المستقبل فور تخرجه، والثانية عبارة عن معلومات عامة وواسعة الأفق. وثالثهما أن يكون تعليم يسعى إلى تنمية المحاكمة وقدرة الفكر على التركيز، وليس على حشر العقول بالمعلومات.

والحقيقة التي يجب علينا معرفتها أن القوات المسلحة بحاجة إلى رجال يتحلون بالعبقرية التي تتمثل في فن تركيز التفكير بحيث يرون في بصيرتهم وليس بصرهم، أطول مدة ممكنة على موضوع معين. ولكي يحقق العسكري هذا الفن فلا بد أن يتعليم التفكير طويلاً وبعمق في عدد صغير من المواضيع، ليتمكن من إستنباط ما يريد، حيث أن ذلك أفضل له من أن يلامس بسطحية عدداً كبيراً منها. ويجب أن نبقي في أذهاننا أن الأساليب التكتيكية متحركة مع مرور الزمن ومتطورة بإستمرار، إضافة إلى أن عدد الأوضاع الحربية غير محدودة، من أجل ذلك لا بد من تعويد الطلبة على التفكير بدلاً من تعليمهم عقيدة جامدة أو وصفات مسبقة. كما ينبغي للقائد أن يعتاد العمل الفكري، وأن يكتسب منذ البداية حب هذا العمل الضروري. فالحياة العسكرية تدعو إلى الكسل الفكري نظراً لأنها تكرر بإستمرار نفس الأعمال والحركات مدة طويلة.

وينبغي لنا عند إختيار الضباط العاملين أن نضع نصب أعيننا هدفين، هما: إعداد الملازمين عاجلاً ـ وخلق الجنرالات آجلاً.

٢. التدريب.

في الواقع أن العمل الحربي يتسم بالخطورة للدرجة التي تجعل فهمه عن طريق الإندفاع فيه كالمهن الأخرى. ولكن لا بد من تهيأة مقاتلين يحترفون فنون الصراع قبل أن يشتركوا فيه إطلاقاً، ولكننا نتعلمه عن طريق تجزئته إلى أقسام ليسهل على الفرد إتقان الممكن، وتطور المعلومات والتدريب عن طريق تشبيه الحقيقة، كما يفعل جندي المظلات الذي يقفز من برج التدريب. وكما يتم التدريب على تلقيم الأسلحة ومن ثم التسديد بها، وبالتالي إطلاق النار في ميدان الرماية، ورغم إستخدام الذخيرة الفشنق عديمة التأثير على أرض المناورات، تاركين للخيال تصور تأثير الرمي على سير المعركة عند إستخدام الذخيرة الحية. وينبغي خلال تمارين القتال أن نترك للخيال تجميع الإجزاء المتفرقة، ومن ثم نقوم بعملية شرح للمتدريبين أسرار تصرفاتهم وبيان الفرق الكبير بين ما يتعلمونه ويتدربون عليه

والقتال الفعلي. ويجرى التدريب على القتال بتمارين في أغلب الأحيان تحضرية أو مزيفة، وهي غالباً ما تكون ناقصة، لذلك يكون الإهتمام بالتفصيلات والعمل على إحراز الإتقان ضرورية حيوية هامة. الشيء الذي لا يخفى على عسكري، أن السرعة في الحرب عامل أساسي لتحقيق المفاجأة. لذلك غالباً ما يكون هم المقاتل البحث عن السرعة بأية طريقة. ولكن السرعة غالباً ما تكون مناقضة للإتقان، وغالباً ما تتعارض معه. وعلى كل حال مهما كان شكل أو نوع العمل الذي نمارسه، فلا بد من تأمين الإتقان وتصحيح الأخطاء قبل التفكير بأي عمل آخر. وبعد التأكد من تأمين إتقان العمل وتصحيح الأخطاء، يأتي دور السرعة بشكل متدرج، ومن الممكن أن نتحكم بالسرعة حسب الحاجة والظروف. والواقع الذي نعيشه وقبل ذلك حجم القوة ونوعها وخفة حركتها. ولكن هناك متطلبات لتحقيق السرعة تتمثل بالتكرار المستمر، علماً أن للتكرار في هذه الحالة ضرورة حيوية وحقيقية لأن المقاتل خلال القتال يكون تحت تأثير عنيف نتيجة إلى الإنفعالات التي يتعرض لها. لذلك على المقاتل مقاومة الخوف والإنفعالات الفكرية الناتجة عن الخوف، ومن أحسن الوسائل وأفضلها هو تحديد عمله الفكري إلى أقصى الحدود الممكنة، عن طريق قلب جميع الأمور التي تقابله إلى ردود فعل، وتطبيق الحركات الذاتية والآلية بشكل كبير. والبعض يعتقد أن مجال العمل للحركات الآلية يكون في الخطوط الدنيا فقط، وعلى أكثر الأمثال مادية في العمل. ولا شك أن آلية الحركات كانت تعلب دورها، لأن ضابط الأركان الذي يتقن عمله، لم يبذل نشاطاً فكرياً كبيراً، إلاَّ عند بذل الجهد، أما الأعمال الأخرى المتمثلة بالأعمال اليدوية: لتسلسل فقرات الأوامر ـ وشكل الجداول والمخططات ـ وصياغة الجمل، فكانت تتسابق إلى ذهنه بصورة تلقائية. وذلك نتيجة ردود فعل فكرية حقيقية إكتسبها خلال خدمته الطويلة. والواقع أن التدريب يعتبر المتمم الضروري للتعليم النظري، إنه يضع بجانب الهيكل النظري جسماً حياً، ويمده بمادة يعمل بها وعليها. إنه ينقل المعرفة إلى إتقان العمل.

٣. التربية العسكرية.

أول عناصر التربية العسكرية يتمثل بالإنضباط الحازم بشكل عادل ومستمر، وبإستمرار ذلك التطبيق وبعد فترة يصبح هذا الأمر مجرد عادة لدى المرؤوسين والأفراد، ومن ثم يتحول إلى تذوق وحباً للإنضباط. ولكن هناك شيئاً لا بد من وضعه في الإعتبار وهو أن هذا الإنضباط يفقد قيمته المعنوية ويتحول إلى عائقاً وهابط للمعنويات ومذلاً، في حالة تحول نتيجته كسر وتحطيم إرادة المرؤوسين وإذابة شخصياتهم، لأن الحرب لا تقبل نفوس محطمة ضعيفة أو عبيد أو آلات نحركها كما نشاء رغم إرادتها. ولكن الحرب تريد رجال مقاتلين بكل ما في هذه الكلمة من المعاني السامية. وتتزايد أضرار وخطر الإنضباط الهادف إلى طمس وقتل كل فكرة مستقلة، ودفن كل مبادهة المرؤوسين كلما صعدنا في سلم التسلسل القيادي. والحقيقة أنه ليس من الممكن أن تجتمع القيم السامية والمتناقضة ظاهرياً، إلاّ من خلال حالة الإحترام المعنوي المتبادل. وهناك إحتمال أن ينجح القائد إذا كان يملك قلباً قاسياً، أو كان محدود الذكاء، ولكن من الصعب وليس بإمكانه أن يقود بنفس دنيئة.

والواقع لا يتسلم القائد سلطة القيادة منحة لمصلحته الشخصية، أو لتحقيق متطلباته ورغباته، ولكن يتسلم القائد زمام السلطة لخدمة الدولة ولتحقيق مهام معينة، كذلك عليه أن يتصرف بتواضع الذي يؤهله للقيادة، وفي بعض الأحيان يحدث مخالفات إنضباطية عسكرية، فعند إستخدام القائد للإنضباط بشكل سيئاً، يعتبر ذلك مخالفة للنظام، أفظع من عصيان المرؤوسين وأكثر خطراً. وينبغي لكل قائد أن يدرس أوامره ويعرف شكلها ومضمونها قبل إصدارها، لكي يحفظ كرمة من ينقلها ومن يتلقاها، وكل قائد ينقل أو يصدر أمراً يعرف مسبقاً تعذر تنفيذه، يعتبر إنسان بائس والقائد يهبط بقدر نفسه عندما يطلب الكثير ليحصل على ما يكفي، لأن ذلك بدون شك دليل على عدم ثقته بسلطته، أو رغبة في تغطية عيوبه الشخصية، وهو بهذه الإجراءات يهين مرؤوسيه الذين غالباً ما يعتزون بقائدهم،

لأنهم إذا كانوا ليس أهلاً لسماع الحقيقة تعذر عليهم أن يكونوا أهلاً للقيادة. والحقيقة أن القائد يحتقر مرؤوسيه إذا تجاوز سلطاته، أو تجاهل القواعد المنظمة لسلطات القائد. إن أهم ركائز إحترام الإنضباط العسكري عمومته وخضوعه للقوانين والأنظمة.

وبصفة عامة إن الإنسان في السلك العسكري لا ينفذ أوامر أو يطيع رجلاً ولكن ينفذ أوامر الواجب ويطيعه، إلى جانب نداء الخدمة، وجميع من لا يطبق هذه القاعدة، أو بأخذ من السلطة أكثر من حقه، يعتبر رجل غير شريف وقائد سيء من الصعب أن يطاع بشكل جيد. ولكن إذا إرتفع المستوى المادي البحت عندما تسود الطاعة المباشرة أو العمياء السلبية، يحق للمرؤوسين تقديم الإعتراضات المعقولة لرئيسه بحدود العرف والإحترام، وقد يتعدى حدود الحق إلى الواجب أيضاً. وينبغي للقائد أن يستمع إلى تلك الإعتراضات محاولاً فهمهما وتقييمها. ولكن بعد إستلام القرار من قبل المرؤوسين، يتصرف القائد آخذاً على مسؤوليته جميع المسؤوليات، عند ذلك يصبح من أهم واجبات المرؤوس في هذه الحالة أن ينفذ بكل إندفاع وإخلاص فكري الأوامر كافة، سواءً كان موافقاً عليها أو معارضاً لها. ولا شك أن ذلك تضحية كبيرة من العقل، الذي يعتقد أنه يرى الحقيقة ولكنه يخضع للأمر الخطأ، عند ذلك يلعب الواجب دوراً رئيسياً. وليس هناك إساءة من الإنضباط المطبق بهذه الطريقة للسلطة، كما أنه لا يخونها أو يعمل عكسها. وفي الواقع أن متطلبات العمل الجماعي، وضرورياته تتطلب من المنفذ كل التضحيات. ومهما إختلفت الآراء، فإن الإنضباط المنفذ بهذه الطريقة إنضباط مشرف ولا يعيب المرؤوس، بل يزداد نبلاً في حالة التنفيذ بكرامة، ويصبح في نظر الكل عامل تحسين معنوي. وليس في الإمكان أن يكون شكل هذا الإنضباط قاعدة، إلاَّ في حالة واحدة هو توفر جو تحكمة ثقة كاملة، مع توفر الإخلاص المعنوي والفكري المتبادل بين الرؤساء والمرؤوسين، في وسط نشأة فيه زمالة السلاح، في وسط تسيطر عليه فكرة الواجب، وشعور الجميع بتشكيل مجموعة

متماسكة تعمل لخدمة هدف سامي وحيد.

والواقع أن مثل هذه الأمور ليس من الممكن تعلمها عن طريق المحاضرات النظرية، ولكنها أمور طبيعية تتحقق ذاتياً للحصول على ضرورة حيوية جداً، وهي تتنامى وتتناسب مع الظروف الطبيعية لحياة الفرد العسكري، وفي الواقع أنها تكبر وتتطور في البيئة العسكرية الصحيحة. إن وضع القوانين والأنظمة التي توقف السيطرة الفردية التي تعتبر خطيئة كبيرة، وبالتالي يسهل بناء وتطوير جيش بواسطة الإنضباط الحاضر المرن الذي يحفظ كرامة العسكري بما يناسب طبيعة كل بلد.

ولا شك أن توسيع قاعدة هذه التربية العسكرية التي تبني النفوس القوية بشكل خفي، وبالتالي تقديم التضحيات الكبرى خلال الصراع.

❁❁❁

الباب الرابـــع

القيـــم المعنويـــة

إن المعنويات والأهواء تمثل أكثر من نصف الحقيقة

القيم المعنوية

في الحقيقة أن أي شخص بدون أي شك سيصبح عرضة للإتهام أو قصر النظر إذا حاول تناسي أو إغفال القيمة الحقيقية للعوامل المعنوية في الحروب، إذا كانت مدعومة بوسائل مادية كافية. أو حاول إهمال الجنون والأهواء والمشاعر، وتجاهل طاقة العدو المادية والأسلحة. لهذا عندما نحاول الكتابة عن الصراع والقتال والحرب، هذه المآسي المخيفة والملتهبة التي قال عنها نابليون: (إن المعنويات والأهواء تمثل فيها أكثر من نصف الحقيقة). إليس مغامرة إقناع البعض بالتفكير أن هذا الصراع الدموي يتوقف فقط على العمليات العقلية وبتوازن القوى المادية.

إذاً فلتكون بدايتنا بالتفكير السليم، لأنه يمثل مبدأ الأخلاق. ولقد قال باسكال: (ففي العمل الحربي كما في كل مشروع آخر، تملك الفكرة العامة أفضلية لا يمكن إنكارها، ولكن يتعذر منحها الأولية) وفي الحقيقة أن عدد كبير من الكتابات التي تناقش القوى المعنوي في القتال، وجميعها تستهدف تطوير القوى المعنوية، مع ذكر الأمثلة الرائعة حول ذلك، كما تدافع بكل إستطاعتها عن جمال وفضيلة التضحية العسكرية، لأنها تسمو بالنفوس فوق الماديات، وسوف نستعرض خلال السطور التالية المعنوية ليس لإثارة الحماسة ولكن لنشير إلى التوضيح والكشف وبيان جميع العوامل المعنوية للقتال. ومن أسمى هذه العوامل إلى أقلها نبلاً، وكشف عملياتها المتشابكة، ولا شك أن عمل مثل هذا يتصف بالصعوبة، لأن العسكريين بمن فيهم أكثرهم قيمة ومكانة. لا يحبذون إطلاقاً بيان النقاط المخجلة والمتخفية في الظل. وغالباً ما يتصفون عند حديثهم عن الخوف بحياء شديد ويميلون إلى الأمور المتعارف عليها، والتي تكون ضمن المخططات المعتادة، ويحبون الأشياء التقريبية السهلة، ثم يعقب ذلك التبجح بالبطولات كعامل مساعد لهم ضد تشويش صورة الحقيقة الواضحة. ولا شك أن سير

البطولات فعالة في أغلب الأحيان. وأن التعبير العنيف للواقع له القدرة في مجال الظواهر الخاضعة للإختبار الحر، إحداث إنعكاسات غير مرغوبة إلى جانب ذلك فإن من المحتمل توليد اليأس يفضح بعض نقاط الضعف والعجز وإشهارها. والحقيقة أن التحريف للوقائع والأحداث لا يعطي فائدة للقادة الذين يحتاجون بإستمرار إلى روية واضحة. ولكن الحقيقة التي لا يستطيع أحد إنكارها أن الخوفِ يهيمن على ميادين القتال، وليس بإستطاعتنا مهما كانت الأحوال أن نوجد شيئاً مرتباً ومنظماً بشكل كامل.

في أي جيش من جيوش العالم، إذ لم يكن بإستطاعتنا القدرة على تخيل سلوك الرجال في المعركة، وتصور سلوك الإنسان الحقيقي، في حقيقته وليس كما يجب أن يكون. وإذا أصبحنا غير قادرين على ذلك، فقدنا الشعور الحقيقي بتحديد المطلوب من الوحدة، وبالتالي من الأمة.

إن الحقيقة دائماً وطنية الشعوب والأفراد بشكل متساوي، ومن الواقع أن الأنظمة والبحوث والدراسات العسكرية لا تتوقف بحدود بحث القوى المعنوية، والواقع المر ان هذه الأنظمة أن توضح للقوى المعنوية بعض المقاطع البليغة، وتعتبر الموضوع منتهياً عند هذا الحد. ولكن المطلوب معرفتها حق المعرفة، بشرط أن لا يمثل ما نحيط بها من أساليب أدبية بناءة خطر على من مارسوا الصراع وخاضوا الحروب، لأن أولئك يعرفون الحقيقة المرة المخيبة للآمال. أما ما يتعلق بالأجيال الصاعدة والتي من المقلق جداً تأثرها بصورة لامعة لا تعطيهم الحقيقة المرة الصحيحة، والعمل على تدريبهم ومساعدتهم على الرؤية الواضحة، وليس في هذا ما يعيب. فالعوامل المساعدة على إظهار التضحية، ليس في الإمكان أن تكون وضيعة لأن الضحية تسمو بشأنها، كما أن النار تطهر وتنقي رغم أضرارها. ولكن المدنس هو ذلك الشخص الذي يتقي بستارة مستعارة لإخفاء حقيقة معنوية جميلة في حد ذاتها، وليس لذلك التجميل سوى تشويهها ومسخ جمالها.

إن القيادة العسكرية غالباً ما ترى في جميع المسائل التي تعاجلها، القيم المعنوية

المقدمة أمامها كمعطيات تكسب أهمية عالية. ويكون دور القيادة خلال المعركة، أن تعطيها جل إهتمامها ورعايتها وإدارتها وتطويرها وإحيائها.

في الواقع أن القيم المعنوية لا تختلف عن القوى الأخرى، تذوب مع الوقت إذا لم تمدها القيادة بالجهد الكافي لأن القيادة لا تساهم إلاّ بصورة قليلة جداً في خلقها على طول الفترة الزمنية القصيرة التي يبقى أغلب المواطنين تحت خدمتها. وفي الواقع أن الفضائل القتالية التي يظهرها الرجال في المعركة، هي نتيجة ما اكتسبه أولئك الرجال خلال حياتهم، وإنطلاقاً من ذلك أصبح على الأسرة والمدرسة أن تشجع هذه الفضائل وتطورها. فالمشكلة في حقيقتها تتجاوز إطارها العسكري الظاهر. إنها في الواقع مشكلة السياسة القومية العليا. التي ينبغي أن لا يتجاهلها كل من يهتم ببناء وتطوير المجتمع. ولا سيما أن الفضائل العسكرية تعبر عن فضيلة الشهامة. إلى جانب الرجولة التي لا يستطيع أية شعب أن يتخلى عنها حتى في وقت السلم.

وقال رنان: (ينبغي أن نعترف بأن الشعوب التي تملك الفضائل العسكرية القوية هي الشعوب التي تخلق الأمم الكبيرة).

❁❁❁

الفصل الأول

الحاجة العسكرية للمعنويات

إن المعنويات هي المجال القتالي الحي

الحاجة العسكرية للمعنويات

قال الجنرال فوش: (الحرب هي مجال القوى المعنوية). والحقيقة أن المتابع للعمليات العسكرية ومسيرة الصراع القتالي خلال التاريخ العسكري، نادراً أو مطلقاً أن يجد قائداً من القادة مهما إختلفت مستوياتها أو أفكارهم. وكذلك أصحاب النظريات المتعلقة بالحرب، لقد أجمع الجميع وأكدوا أن كل شيء في الصراع معنوي، ولقد أكد نابليون ذلك حرفياً.

ولم يكن فريد ريك شارك أمير بروسيا: (١٨٢٨ ـ ١٨٨٥م) يعني شيئاً آخر غير المعنوية عندما قال: (ليست الطرق التكتيكية هي التي تقرر، وإنما الروح الحربية). بنفس الوقت نجد أن المرشال دو ساكس قد أراد نفس الشيء عندما قال: (القلب الإنساني هو نقطة إنطلاق كل شيء في الحرب).

وفي الواقع أننا نجد أن من المدهش حقاً ومن المقنع بنفس الوقت وبصورة قوية أن نلاحظ أهمية المعنويات عن طريق ماكيافيلي المستشار الفلورنسي والذي ينظر إليه من قبل الأغلبية بأنه من أكبر دعاة الكذب والمراوغة، ورغم ذلك كان صاحب أكبر النظريات العسكرية خلال زمانه. لقد قال ماكيافيلي: (إن عامة الناس يخدعون أنفسهم، عندما يؤكدون أن الذهب هو عصب الحرب، فهل تغلب داريوس على الإسكندر؟ وهل أخضع اليونانيون الرومان؟ وهل قهر الدوق شارل السويسريين؟ كلا، لقد برهن كل هؤلاء على أن الذهب ليس عصب الحرب، وما عصب الحرب إلى قيمة الجندي). ونحن بدورنا نقول: (وهل قهر الفرس والرومان بإمكانياتهم وعتادهم وأعدادهم الهائلة قوات الفتوحات الإسلامية التي كان سلاحها المعنويات العالية وحب الشهادة).

وبعد الشهادات السابقة يظهر أن السبب معروف، حقاً، إن الذكاء ينير المأساة التي تحوم خلال المعارك، ولكن الحقيقة أن الغرائز والأهواء والمشاعر والمصالح هي التي تجمعها وتحركها. ويجب أن نعرف الحقيقة وهي أن فن الحرب

كالسياسة هو نتيجة لعلم النفس والفلسفة بشكل خاص. إنه في حاجة ملحة وضرورية إلى المعرفة العميقة، والإستخدام الخبير بالنفس البشرية. وفي الواقع أنه لا يمكن لأحد أن ينكر دور القوى المعنوية في الحرب، وإن كان بعض الأجيال دوراً أولياً. وليس هناك من ينكر الحاجة إليها. وليس من الضروري هذا التأكيد، لولا أن الكثير من الرجال في الوقت الحاضر مصابون بإنحراف عقلي، ولولا أفكارهم التي شنتها وشوهها العادات الدعائية والمعارك والسياسة، وأسكرتها الشعارات الكاذبة، وأصبح المستقبل متجهاً غالباً إلى إختصار الأشياء ومن خلال تأكيدات خالية من التنوع وخلال إختيارات محسومة. ولو لم تكن حالة هذا الفكر المتصلب والمطلق وذو الإتجاه الوحيد، يؤمن بأن من مسؤوليته أن ينكر نقطة من النقاط بسبب كونة يؤكد غيرها، وأن يجعل أولوية المعنويات سيادة المعنويات سيادة مطلقة. مع إستبعاد قيمة العوامل الفكرية والمادية، إلى جانب الضياع من خلال رومانطيقية عسكرية تعتقد بأن الديناميكية قوى فعالة إلى أقصى حد.

والحقيقة التي ينبغي أن يعرفها الجميع أن الناس لا تحاكم الأشياء بقلوبهم أو بأعصابهم، ولكنهم يحكمونها في عقولهم. وفي حالة خروج العقل عن عنانه تصبح أنبل الفضائل أقرب للضرر والجنون، لذلك فالقوى المعنوية تمثل المحرك وليس مقود التوجيه، لذلك ينبغي للعقل أن يستعملها ولا يتنازل أمامها ومن المحتمل أن تصبح هذه القوى في أغلب الأحيان المحركة الفعالة الوحيدة للوحدة والمرؤوسين. وبكلمة أخرى يجب أن يكون الفكر دائماً مساعداً للقلب وليس عبداً له.

ولا شك أننا نبتعد عن الحكمة في حالة إهمالنا لأهمية القيم المادية بتصميم متهور عن أهمية القيم المعنوية. فليس هناك شيء يمكن أن يحتكم إليه عند المقارنة بين العتاد والمعنويات. لأن ذلك يفسر إغفال حاجة القوى إلى قاعدة مادية حتى تظهر على الواقع، كما يفسر أيضاً إغفال التأثير المتبادل والمستمر بين العتاد والمعنويات. إن الوحدة الجيدة تستخلص أفضل الفوائد من أسلحتها، وفي نفس الوقت تجد أن

الوحدة المجهزة تجهيزاً متكاملاً ترتفع معنوياتها نتيجة لذلك. وبالتالي ليس هناك تعارض بين المعنويات والعتاد، وليس بينهما تناقض ولكن على العكس من ذلك فبينهما تماذج، لأننا في الواقع لا نقاتل بالرجال ضد العتاد، ولكن يتقاتل الخصوم ويتصارعون بعتاد يستعمله الرجال. ومع ذلك فإن للمعنويات دور عظيم لا يمكن إهماله. وسبق أن قال المرشال فوش: (إن المسافة كبيرة بين معرفة حقيقة من الحقائق، وبين إستخدام هذه الحقيقة). وبالرغم من كوننا نملك الوسائل الضرورة لتطبيقها، ولكن القوى المعنوية، هي القوى التي تنفرد بالسماح بتخطي هذه المسافة، وهذا على ما أعتقد كافي لإعطائها الأولوية في الحرب. بالرغم من أن هذه الأولوية ليست مطلقة وغير مشروطة، حيث أن لها حدودها وأشكالها. وبناءً على ما سبق ذكره، سنحاول جاهدين إثبات تلك الحدود وبيان تلك الأشكال. فبالنسبة للحدود الأولية للقوى المعنوية، فإنها تأتي نتيجة أمرين لا خلاف عليهما، أولاً: أنها ليس بمقدروها تعويض التخلف الفكري أو المادي الكبير. كما أنها إلى جانب ذلك لا يمكن قياسها، وغير قابلة لذلك. إنها تحرك وتعمل لدفع معطيات لا تمد لها بصلة وتنتمي إلى طبيعة مغايرة لها. ولكنها لا يمكن أن تقوم مقامها. لأنها ليست قيماً يمكن جمعها، ولكنها عبارة عن أعداد مضروبة، ففي حالة كون الأعداد المضروبة بها معدومة، أصبحنا قادرين على زيادة الأرقام المضروبة إلى ما لا نهاية وفي الأخير نحصل على نتيجة صفر. أما إذا كانت الأعداد المضروبة بها صغيرة جداً، تبقى النتيجة ضعيفة. فالقوى المعنوية عبارة عن رافعات لا يمكنها عمل شيء، إذا لم تعطي لها الوسائل المادية التي تمثل نقطة إسناد في الزمان . وإذا لم يكن هناك دور للفكر يقترح عليها رفع الحمولة ولم يمنحها الدفع الملائم. والشيء الثابت أن القائد لا يعرف قياسها، رغم معرفته الجيدة لها، وفي نفس الوقت ليس بالإمكان تقديرها بواسطة العقل، لذلك لا يعطيها فرصة التدخل في قراره إلا خلال اللحظة الأخيرة، بعد إستنفاد جميع الحجج المادية لديه. والفكرية التي تتصف بأنها تكون أقل شأناً من المعنويات، ولكن لها حسنة جيدة وهي إمكانية قياسها أو إكتشافها بشكل واضح.

ويمكن ضربها بعدد محسوباً بصورة عقلانية، يمكن أن يطبق عليه الحس الفني والعبقرية العسكرية للقائد عدداً مضروباً معنوياً. لذلك نجد أن أغلب القادة الكبار وممكن أن نقول كلهم، نصحوا بترك العمليات التي هدفها كسب الآثار المعنوية فقط. فمثلاً لو قمنا بعملية يتمثل هدفها بإنجاز نتيجة معنوية صرفة فإننا نقيد أنفسنا بشروط تنفيدية مادية، من المحتمل أن تكون ملائمة جداً، وقد نحكم على أنفسنا لا سيما في إتخاذ قرار معتمدين على معطيات ليس من الممكن حسابها، وهذا يجعلنا نطلب من الإلهام المستحيل، أو أكثر مما يطيق، ولو كان الإلهام عبقرياً. وبالتالي فإن المعنويات في الحرب لا يمكن إعتبارها أهدافاً ولكنها نتيجة لآثار مادية.

ورغم ما سبق من تحديد للمعنويات، تبقى أولويات المعنويات لا يمكن إنكارها حتى أن هذه الأولوية تبدو ظاهرة للعيان وبارزة، وعندما نحاول توضيح وتحديد أشكالها وطرائقها. إن المعرفة الفنية بخصائص الأسلحة الفنية، والتطبيق الواعي لإنضباط الفكر العسكري غير كافيان لتحقيق قواعد عقيدة إستراتيجية وتكتيكية، وبنفس الوقت جميع هذه الأمور غير كافية لإصدار أوامر العمليات. ففي جميع الأوقات لا بد إضافة إلى ذلك، إن نضيف في الحساب نفسه المقاتلين، وأن نضع في الإعتبار عدم الطلب من أعصابهم أكثر من طاقة تحملها.

ولقد قال أردان دوبيك بشكل جميل وواضح لما سبق بيانه: (إن القتال هو الهدف النهائي للجيوش، والإنسان هو الأداة الأولى للقتال، فلا يمكن أن يكون هناك شيء منظم بصورة عاقلة في جيش من الجيوش.. دون معرفة من الرجل بوضعه المعنوي، في هذه اللحظة النهائية من القتال. ويحدث غالباً أن من يعالجون شئون الحرب، يتخذون من السلاح نقطة إنطلاق، فيفترضون دون تردد أن الرجل المدعو لإستخدام هذا السلاح سيستخدمه دوماً كما كان متوقعاً، وطبقاً لما تأمر به قواعده وتعليماته. ولكن المقاتل الذي نعتبره إنساناً عاملاً، يتخلى بهذا الشكل عن طبيعته المتحركة المتغيرة ليتحول إلى حجر من أحجار الشطرنج لا يتألم، ويقوم بوظيفة وحدة مجردة ضمن إطار تركيبات ساحة المعركة، إن هذا المقاتل

وليد تخيلات مكتبية، ولا يمكن إعتباره أبداً رجل الحقيقة. إن رجل الحقيقة من لحم ودم وعظم، إنه جسم وروح، ومهما كانت روحه قوية فهي عاجزة عن إخضاع الجسم إلى الحد الذي لا يثور فيه اللحم، ولا يضطرب فيه الفكر في مواجهة التدمير).

إن الإنسان بطبعه الحيواني يستطيع مواجهة شيء من الخوف، وهو حساس بشكل خاص، لبعض أنواع الأخطار، بإنعكاسات موروثة عن الأجداد، أو إنعكاسات حيوانية. علماً أن مقاومة الإنسان العصبية تتأثر بعدة أسباب مختلفة ومتبدلة، أليس هذه الحقيقة كافية رغم بساطتها لتبين جميع إتساع المعضلة النفسية التي يظهرها القتال؟ أليست العوامل التي مرت بنا خلال السطور السابقة كافية لإبراز وجود عوامل مؤثرة داخل الفرد؟.

إضافة إلى ذلك إذا علمنا أن الجماعات هي التي تتصادم في القتال، وليس الأفراد، فإن المشكلة تكبر وتتوسع وتزداد تعقيداً بجميع النتائج التي تجلبها معها اليكولوجيا الجماعية. إن قيمة القيادة، وإعداد المقاتلين ومدى تدريبهم، ومضاعفة الأسلحة وقوتها وتوفرها، لا تعني جميع هذه الأشياء في الصراع، وجميع هذه الأشياء لا تشكل شيئاً إذا لم تبث فيها القيم المعنوية الروح القتالية، فالقتال حقيقته صراع معنوي في الأساس، والأسلحة تفقد قيمتها وروحها إذا لم يستعملها رجال من لحم ودم، بقوتهم وضعفهم. ومهما كانت القوى المادية متوفرة بشكل كبير لأحد الأطراف، فإنها في الواقع لا يمكن إطلاقاً أن تحقق التدمير المطلوب للعدو. بينما الباقين على قيد الحياة لدى الطرف الثاني تقرر بهم القوى المعنوية النجاح. والحقيقة إنه ليس المغلوب الطرف الذي تكبد خسائر أكبر، ولكن المهزوم أو المغلوب من تحطمت معنوياته قبل الآخر، وبالتالي تربح الإنتصارات بالباقين، وبصورة أخرى تربح الإنتصارات بما بقى من الرجال الشجعان. وفي القتال كما في جميع الحروب، لا تشغل القوى المعنوية جميع الأشياء، والشيء الأهم أن يكون الأفراد راغبين في القتال. ولقد قال الجنرال إيتيين: (ليس هناك من

تكتيك في جيش لا ضغط فيه، وضغط جيش من الجيوش، هو رغبته في القتال).
والحقيقة أنه ليس هناك عدم الحاجة إلى المعنويات في المجال العسكري، لأنها هي العامل المكمل لجميع الوسائل والإمكانيات المادية.

❁❁❁

الفصل الثاني

الخـــوف والشجاعـــة

القلب الإنساني هو نقطة إطلاق كل شيء في الحرب

الخـــوف والشجاعـــــة

لقد قال المارشال دوساكس: (القلب الإنساني هو نقطة إنطلاق كل شيء في الحرب). هناك حقيقة من المفروض أن لا تغيب عن بال أحد، وعلى الجميع أن يدركونها ولا سيما العسكريين بشكل خاص. إن الخوف يعتبر من أسوأ المشاعر الإنسانية، لأن الخوف قادر على تدمير أجمل وأدق التدابير العسكرية خلال لحظة واحدة. إن الخوف هو الشعور المخيف الذي يسيطر محلقاً فوق سماء المعركة. ويضاعف الشعور بالخوف أمام المقاتل فظاعة الآثار المادية وتخفي جميع مزايا المقاتل والإمكانات المتوفرة له والتي يتمتع بها. وللخوف قدرة خارقة لتبديل ميزان القوى خلال لحظات قصيرة. وبإستطاعة الخوف تدمير أكثر المحاكمات العقلية والفكرية صحة ورصانة ودقة. إن الخوف هو الشعور النفسي الأساسي خلال الصراع، والخوف يشكل مكانة لا يستهان فيها، لذلك ليس بإستطاعتنا التحدث عن الشجاعة بدون التعرض للخوف ومعرفته حق المعرفة ومعرفة آثاره القاسية، لذلك لا نستطيع تحديد الشجاعة أيضاً إلاَّ عندما نواجه الخوف، أمَّا الشجاعة فهي عبارة عن الخوف المقهور، بينما الجبن هو الخوف الذي لا غبار عليه، والحقيقة أن الرجل الشجاع ليس هو الرجل الجسور الذي لا يخاف، ولكنه الرجل الذي يقوم بجميع أعماله بدون خوف. والخوف شعور عام جداً عند كل البشر، بدليل إن الأبطال الذين لا يتطرق الشك إلى أحد في بطولتهم لم يخافوا من الإعتراف بأنهم أحسو به.

وفي الواقع أنه ليس من المستحيل أن يعرف البعض الحالة الطبيعية للشجاعة الغريزية الموهوبة، إضافة إلى الإقدام الطبيعي، والواقع أن هذا النوع من الرجال نادرين جداً. بسبب العوامل الوراثية التي ورثوها من أجدادهم وآبائهم أعطتهم هذه المزايا الإستثنائية والشخصية. وبناءً على ذلك فإن الشحاعة الطبيعية قليلة الأهمية، وخاصة إذا كانت هذه الشجاعة يتصف بها رجال لم يطوروا تطويراً كافياً

بالإضافة إلى ضعف خيالهم. فهم يحسون بالألم أو الخوف. ولكنهم لا يتمتعون بصفات القادة ومميزاتهم. لأن شجاعة القادة الحقيقيين تكون من طبيعة أخرى، لأن الشجاعة فيهم تعني السيطرة على الخوف والتحكم به، وإنطلاقاً من ذلك تنبع شجاعتهم. ولا أعتقد أن رجلاً من الناس قد تميز بالشجاعة في حالتها الطبيعية. وفي الحقيقة أن الولع باللعب والمخاطرة، إلى جانب الغريزة القتالية، وهي الغريزة القوية المنطلقة من الأولاد والمراهقين. أما الشجاعة والحكمة المتزنة والمكتسبة فلها صفة التمتع في قيم ثابتة، وليس ذلك لأنها تكتسب إحتراماً أكبر ولكن لأنها تتعلق بالإرادة. إضافة إلى ذلك من الممكن تنشئتها وتطويرها وتوجيهها، كما أنها قابلة للكمال والإنتقال للعدو. ومن الممكن إجمال كل ذلك في كلمة واحدة، لأنها في الإستطاع التأثير فيها، وفي الواقع أن القليل من الناس يولدون شجعاناً، وأغلب الناس يصحبوا شجعاناً نتيجة التوجيه السليم. وفي الحقيقة أن هناك شجاعة نافعة ليس من الممكن نقلها إلى الآخرين، وهي عبارة عن الشجاعة المتمثلة في إزدراء الموت.

والخوف لا يمثل مرضاً ولا غباءً ولا ضياعاً، ولكنه يمثل الإحساس الطبيعي لغريزة المحافظة على الحياة، وهذه الغريزة الطبيعية موجودة عند جميع الكائنات الحية. والخوف عقلي أساساً، ويفرض إحساساً بالخطر الذي يهدد الفرد. ولا يمكن لفكرة الخطر زيادة الخوف فقط، ولكنها تستطيع جعله بعيداً عن أي إحساس مادي. ويؤثر الخطر الغير معروف، أو الخطر الذي يظهر خلال حالات غير متوقعة تأثيراً أكثر شراسة من الخطر المعروف أو المنتظر أو المتوقع. ولهذا السبب تجد أن ظهور سلاح أو تكتيك غير معروفين، وتم إستحداثهما جديداً تحديثاً أثراً معنوياً كبيراً، وتتأثر المؤخرات والأجنحة بنفس نسبة التهديد والتاثير نفسه. إن مجال الشك الذي يعيش فيه الخيال نتيجة لأسباب الخوف، والفراغ، والظلام والإنعزال، جميع هذه الأشياء تضاعف من الشك والخيال، وهي جميعها ظروف ملائمة لنمو الخوف.

والحقيقة أن العقل غالباً ما يتدخل لتصحيح إنحرافات الخيال. لأن الفرد يخاف على أعصابه وخياله، ولكنه يثق بنفسه بفضل ذكائه. وفي الواقع أن ذلك يعتبر دواء مخفف غير كافي لإبطال الشعور الطبيعي والتعبير الحقيقي لغريزة حب البقاء، لذلك لكي نعرف كيف يتحول الخوف المقهور إلى شجاعة، من الضروري أن نستعين بشكل من خلال دراسة تكون الجنين، والتفتيش عن كيفية نمو الشجاعة العسكرية تاريخياً. والإنسان إجتماعي بطبعه، لذلك لا يتمكن من العيش وأن يستطيع ترتيب بشكل خاص شروط حياته، إلاَّ بالإختلاط مع جماعة. وإنطلاقاً من ذلك لا بد أن يضحي الفرد بنفسه من أجل الجماعة، عند تعرضها للخطر، وتحتل عند ذلك غريزة حفظ البقاء للجماعة ولو جزئياً مكان غريزة البقاء الفردية، ويتطور ذلك حسب تطور المجتمع. ولكن في الواقع أن الرجل يملك روحاً دقيقة، وحاجته إلى الحياة الإجتماعية تتقدم طلباته المادة. إنه يتوق إلى الود، ومن الصعب تحقيقه إلا بالتضحية. وتتبين دوافع التطور تدريجياً وترتفع، وعند ذلك يظهر الإخلاص الحقيقي للقائد والزملاء، علماً أن الإنضباط المقبول بإرادة حرة، إلى جانب الإخلاص للجماعة، إضافة إلى الإلتزام بنفس الفضائل المشتركة من المثل والمفاهيم المعنوية الدينية والإجتماعية. والحقيقة أنه عندما تحس مجموعة من البشر بالتشابه فيما بينها أو تعي مصيرها المشترك، فتجدها تحاول التمسك بتبادل التقدير والعمل على تحقيق الشحض المعني والمجد الذي تشكله. وبناءاً على ذلك ينشأ بين هذه الجماعة من الناس قواعد، ليس بإمكان أحد منهم الإبتعاد عنها أو إغفالها دون أن يتعرض لأسواء أنواع أحتقار الآخرين، وإزدرائهم. وعند ذلك يولد الإحساس بالشرف، كما تتوصل هذه المجموعة البشرية إلى تحقيق تطور فكري موازي للتقدم الإجتماعي، عند ذلك يبدأ المخ النفسي بدوره المتوازن بفاعلية أكبر، وبالتالي يتدخل التفكير بمنابعه القوية. ومن ثم تظهر غريزة حفظ البقاء الجماعية، وقد كبرت وامتدت جذورها القوية. فتظهر بالتزامن مع الإحساس بالشرف، وهو أصل الشجاعة العسكرية الحقيقية. عندما

تحتفظ الحضارة برونقها ونقاوتها، ولم تتعرض للفساد أو التعفن، فإنها لا تثير الإنسان ولا تسبب الضعف له، أو تنزل من مكانته، وبالعكس ترفع من شأنه وتؤكد وجوده، وبالتالي تجعله أكثر إصالة وشرفاً وتزيد من قدرته على العطاء والتضحية بشكل لا يصدق. وحيث أن الشرف يعطي الأمر بالقتل ويأمر به خلال الصراع، فهذا لا يعني عدم إحترام العدو، أو الإغتيال دون مخاطرة، أو قتل الجرحى، وتعذيب الأسرى، أو نقض العهد والإلتزامات، كما أن الشرف يحول دون الإنسان وبيعه نفسه لمن يدفع أكثر. والشرف غالباً يوجه بمساعدة الخصم في مصائبه وجراحاته، وبالتالي يعطي الشرف المعركة طابعاً إنسانياً: (كما كانت الحروب خلال الفتوحات الإسلامية) وفي الواقع أن الشجاعة العسكرية، ليس كما يظن الناس راجعة إلى غريزة قتالية بدائية ورثها الإنسان من القرون الماضية، ولكنها بعكس ذلك تكتسب إجتماعياً، وفي الحقيقة أنها تطور فكري وليست أخلاقي. إنها فضيلة إجتماعية في ذاتها، لأنها تمثل القدرة على التضحية بالنفس مع أجل الجماعة. إنها قدرة ضمن آلية مكتسبة عن طريق التناسب مع واجب محدد وواضح طويل الأمد، وهي عبارة عن قدرة إكتسبها الوجدان في الأول عن طريق ضغوط مادية، وعقوبات معتدلة إلى جانب إقتناع يتمثل بالشكل العقلي والعاطفي، قبل أن تندمج في اللاشعور، لتخلق فيه بالإحساسبالشرف.

وبعد أن تبين لنا الأهمية الرئيسية للخيال، أمام الخطر والذي إتضح لنا في السطور السابقة، واتضح الأصل الإجتماعي للشجاعة العسكرية، فالآن صار من الممكن بيان عدد من العوامل التابعة، والتي تعمل داخل الجندي كعلاج مهدي ومسكن للخوف، وهذه العوامل هي التي تسمح بنقل الفعل الغريزي للمحافظة على بقاء الجماعة. رغم أن بعض هذه العوامل شخصية، ولكن تبرز العوامل الإجتماعية أكثر أهمية وفاعلية.

ولا شك أنه بداية أية معركة يندفع بعض الأفراد بالحماسة الطيبة ومدفوعين بالطاقة الداخلية، وبتقدم مفعم بالقوة والحياة، وهذا ناتج عن حب المخاطرة

والإندفاع إلى المغامرة، التي يشعلها ويحركها الخيال. وتمنح هذه الحالة الفكرية، بتحالفها مع نسيان الخطر وإنكاره، وحدات شديدة وعنيفة تحافظ إلى درجة معقولة على زخمها إستمراراً لنتائج إشتباكاتها الأولى. ولكن عدم الإحساس واللامبالاة لا يشيران إلى الشجاعةِ الحقيقية. وبالرغم أن الحماسة تدفع إلى مواجهة الخوف وقهره، إلاَّ أنها لا تقتله. وبالتالي ومع مرور الوقت يتشبع الأفراد بالتعود المادي على الخطر في البداية، عند ذلك لا يهتز الإنسان عندما يسمع الإنفجارات، ويتعود على عدم الرد على نيران العدو إلاّ بفاعلية. بعد ذلك يتطور إلى التعود الإنفعالي، وبالتالي تقل قدرة وخطورة الخيال على التضخيم والمبالغة، لأن حدة الإنفعال تضعف بالإستخدام، وفي نهاية الأمر يبدأ التعود الفكري، وفي هذه الحالة تسمح التجربة للعقل بتقدير الخطر بشكل دقيق، ورسم أساليب المجابهة المناسبة، ولكنها غالباً هذه الطرق غير متكاملة، ولا شك أن التجارب تسمح للعقل بأن يواجه ويتحدى الأخطار التي لا يمكن تجاوزها أو تجنبها. وليس الفرد صاحب التجربة من يحتقر الموت، ولكنه شخص إكتسب التعقل وعدم الإكتراث بنفس الوقت، وأصبح لديه القدرة الإيجابية، وليس بالإمكان إنكار قوة التعود على الخطر. وفي حالة عدم توصل التعود إلى الشجاعة، فإنه يحقق ميزة تهذيب الخوف الذي لا يمكن إعتباره يتصف بالحمق دائماً. وفي حالة مقابلة خطر جديد وغير متوقع، فمن المحتمل أن يتحول الخوف كرعب، ويسبب إنعكاسات قد تدفع إلى عمل بعض ردود الأعمال التي لا جدوى منها، ومن المحتمل أن تكون خطرة، ولكن بالنسبة للمقاتل يصبح مع العادة وكثرة التجارب أكثر ذكاء وفطنة.

وإلى جانب العوامل الفردية، في كسر الخوف، مدى قساوة الضغط الإجتماعي الذي يمارس دوره على كل المجالات المادية والمعنوية والفكرية. فهناك أولاً الإنضباط الحاسم، بما يتبعه من الجزاءات الإيجابية أو السلبية سواءاً كانت مكافآت أو عقوبات وعلى رأسها الحكم بالموت الذي يوقظ غريزة حب الحياة،

حيث يقدم الموت المؤكد ضد الموت المحتمل وغير المؤكد. وبالتالي يأتي في نهاية الأمر الإخلاص للقادة وحب الرفاق والتعلق بهم ثم الغريزية الوطنية. ويأتي في نهاية الأمر العامل الفكري والوطنية الواعية والإخلاص للمثل العليا الفلسفية والمعنوية والإيمان الديني أولاً، ثم الإيمان بالقضية الذي يقاتل من أجلها، وكل هذه العوامل لها تأثيرات متفاوتة، لأن ساحة المعركة والقتال وشدة العوامل الإنفعالية قد تتغلب عليها. ونادراً أن تجد رجل يوافق على المخاطرة بحياته عن طريق الإكراه أو من أجل مصلحة، فقواعد الإنضباط، وطعم المكافأة، ليست إلى عنصر تقوية فقط.

أما الذين يكون إندفاعهم إلى التضحية نتيجة لتفكيرهم السليم، فهذا الجنس من البشر نادرون، ويعتبرون في أعلى مرتبة في سلم القيم الإنسانية. إنهم ينتمون إلى صفوة من القادة، وهم جديرون بهذه المكانة.

إن التفكير السليم يتمتع بقوة دافعة إلى العمل، وفي أحسن الحالات فإن التفكير يخلق عندهم الشعور بالإلتزام، وينبغي أن تعلو الحرارة عند إختلاف الآراء. وكل ذلك لا يمكن أن يكون محركاً إلا خلال الإحساس بالشرف، لإن الإحساس بالشرف هو الدافع الوحيد الذي له من القوة ما يجعل الطاقة النفسية الضرورة تتوهج عند أغلب الرجال، خلال المرور من مرحلة إستلام الواجب حتى إنجازه.

وفي الواقع أن الشرف عامل مهم ومثير وقوي جداً، فالعامل القوي الذي يدفع معظم المقاتلين خلال الصراع هو الشرف. إن الشرف هو الذي يحول المقاتلين إلى حماة للقيم المعنوية والمادية والفكرية والمتنوعة كثيراً حسب الظروف، وهي في النهاية الحشوة المتفجرة الذي يشكل الشرف طعمها. فكلها أسباب وسيطة، والشرف هو المشعل والمحرض المباشر.

وفي الواقع لا يمكن حقيقة إختصار شرح التعقيد اللامتناهي لرد الفعل البشري خلال سطور قليلة. ولكن من الممكن أن العوامل الفاعية المباشرة في تحويل الخوف إلى شجاعة عسكرية، تتمثل بالحماسة والتعود على الأخطار والشرف. أما الإنضباط

الحازم فدوره ثانوياً، أما فيما يتعلق بالعوامل المحركة والعاطفية أو الفكرية، مهما كانت أهميتها عالية، فعملها غالباً بشكل غير مباشر، وتتوقف فاعليتها في حدود المدى الذي تثير الحماسة والإحساس بالشرف.

إن أصل الشعور الذي يحس به البدائي هو الخوف، أما الشجاعة فهي مكتسبة، وتطور إنساني وفضيلة إجتماعية. وحينما ننكر الشجاعة يصبح من المستحيل فهم عملية القوى المعنوية في الحرب. لا شك أننا بذلك نهمل أحد المفاتيح التي تسمح لنا بمعرفة سر عظمة الأمم وإنحطاطها.

الفصل الثالث

نشأة السلطة وطرق استخدامها

هذا الفن، فن معرفة الرجال، يتعلمه المرء بنفسه دون أن يدرس له

نشأة السلطة وطرق إستخدامها

لقد قال لويس الرابع عشر: (هذا الفن، فن معرفة الرجال .. يتعلمه المرء بنفسه دون أن يدرس له) وهذا الإنطباع يوحي لنا بأن صفة معرفة الرجال وأساليب التعامل معهم هي هبة من الله للإنسان، وليس هناك وسيلة أكاديمية لدراستها أو تحديد مبادئ معينة يمكنِ أن تكون نبراساً لقيادة الرجال وتوجيههم، ومن يظن أن علم الإجتماع الإجتماعي قد يقودإلى دراسة ذلك فهو واهم، لأن من أصعب الأعمال معرفة الرجال ووسائل الإستفادة منهم.

فعندما تقرر جماعة من الجماعات أن يقوموا بعمل ما بغض النظر عن نوعية ذلك العمل، فلا بد أن يكون هناك فرد منهم سبق وقرر إتجاه العمال وإسلوبه، وبالتالي يفرض هذا القرار على الجماعة. وكل تعاون يتضمن سلطة ضمناً. فالعمال مثلاً لا يتعاونون بشكل تلقائي، ولكنهم يتعاونون خلال عمل مشترك تحت سلطة معلم لتوجيه الجميع. وليست السلطة ضرورة وحتمية خلال أي عمل ما عدا الحرب.

ولا يبتعد شعور المقاتل عن ذلك، وهناك إحتمال أن يكون شعور المقاتل مرتبكاً أو مشوشاً، ولكن إحساسه بضرورة السلطة قوي بدون شك. ولقد عبر دوفيني عن الحاجة إلى السلطة التي تفرضه المعركة بقوله: (إن أفضل مساعد يستطيع أن يجده الإنضباط هو الخطر. فعندما يتعرض الجميع للخطر، يسكت كل فرد ويتعلق الكل بأول رجل يعطي أمراً، أو يقدم مثلاً مفيداً).

وفي الواقع أن المخاطر التي تواجه الوحدة العسكرية في القتال، وقساوة الواجبات المطلوبة منها والتي قد تصل بعض الأوقات إلى التجرد الكامل، وكثرة وقساوة الأسباب التي تؤدي إلى التفتت المعنوي الذي يجب عليها مواجهته، كل ذلك يتطلب وجود سلطة قوية جداً، لكي تقوم بفرض قواعد ومبادئ معينة قاسية وثابتة.

إن الزعيم المختار من قبل أتباعه، ليس بمقدوره تنفيذ تلك الأعمال، لأنها في

الواقع سلطة هشة، لأنها مشروطة ومؤقتة، وكل ما يستطيع عمله هو دفع الجماعة إلى الإتجاه الذي ينبغي أن تتجه إليه، وهذا الإتجاه في الحرب هو طريق الموت، الذي تكرهه غريزة المحافظة على البقاء، وتقاومه بكل قواها الممكنة، ولكن الوحدة العسكرية في أمس الحاجة لقائد يقودها إلى الموت، بشرط أن يكون قائد حقيقي ويتمتع بسلطات أصلها مستقل.

وعندما يكون تعيين القائد عن طريق سلطة عليا، فهناك وسائل يحصل عليها ليمارس عمله القيادي، وهي تتمثل فقط في أنظمة الإنضباط العسكري، وهو الذي يمثل بالتالي فن إسناد الشجاعة بالإكراه، إن الأعداد الكبيرة من الأفراد بالرغم من أنهم يملكون القدرة لمعارضة أي قرار يدفعهم إلى الموت، ولكن الإنضباط العسكري يجعلهم منفذين لجميع الأوامر الصادرة من القادة على مختلف الرتب.

وحصول القادة على مثل هذه النتيجة كان بسبب أنهم شاركوا ضمنياً الوحدة بشكل ماء، وتظهر تلك المشاركة في الحقيقة بفضل العوامل المعنوية والفكرية التي تعطي المرؤوسين إحساساً خفياً بالإلتزام.

وفي الواقع أن السلطة الحقيقية هي تلك السلطة التي تظهر آثارها على روح الوحدة، وتخلق فيها طاعة فعالة، علماً أن السلطة لا تفرض من قبل الرؤساء، والقائد الحقيقي لا يفرض من الأعلى فرضاً، ولكن يفرض نفسه بنفسه. إن تعيين القائد لا يشكل شيئاً سوى أن يضعه في وضع أفضل، لكي يخلق السلطة الحقيقية، وبالتالي وحدته فقط تعيد إليه السلطة، عندما تعطيه ثقتها الكاملة، راضية بحقه في الرؤية والتفكير والتقرير بإعتباره ينوب عن الجميع. والوحدة ليس لها قدرة تعيين القائد ولكنها تكرس قيادته وتظهر أحقيته بالقيادة.

ويجب على القائد أن لا يكرس سلطته عن طريق المساعدات والوعود الكاذبة أو اللجوء إلى الكثير من الخدع الكاذبة التي يتقنها بعض المهرجين. لأن كل تلك الحيل لا تنطلي على الجنود، لأنهم يشعرون بإحساس غامضاً، بأن الموقف أخطر بكثيير من مجرد تعيين ممثل أو مفوض بالسلطة. لأن الواقع أن الموضوع يتعلق

بأرواحهم، وبالتالي يحكمون عليه على هذا الأساس. وقد يكون هذا الحكم مخفياً ولكنه قاسي ورصين.

ولقد قال براك: (لا ينبغي أن يترك القائد الجندي يتحدث عنه بأنه ولد طيب لأن مثل هذا الكلمة تضمر الضعف، ولكن ينبغي أن يجعله يقول عنه: إنه عادل، إنه إنساني، إنه أب الجندي، ولكن يجب أن لا نقصر بحقه، لأنه لا يقصر بحق أحد). والسلطة الحقيقية بعيدة كل البعد عن الخداع والحيل والكذب والوعود الواهية، وهي بنفس الوقت بعيدة كل البعد عن التحيز. ولا يستطيع القائد كسب قلب وحدته بشكل كامل، إلاّ عندما يكون شعور الوحدة أن هذا القائد يعمل لصالحها، ولصالح مهمة تجتازهما معاً، والأغلبية من رجال الوحدة لا يعرفون بشكل واضح جداً لما يعمل، وهم بنفس الوقت لا يعرفون المثل الأعلى الذي يحرك القادة، ولا يميزونهم بوضوح إلى مجسماً فيهم.

لقد قال نابليون: (إن أساس السلطة كامن في مصلحة الفرد الذي يطيع) ولا شك أن الوحدة تدرك تلك المصلحة بشكل جيد، فإذا كان القائد ماهراً في فنونه وقراراته دائماً صائبة، يصبح إدراك الوحدة أقوى وأسرع، وعندما يحب القائد مرؤوسيه مع الإخلاص بالعمل، وبنفس الوقت يتقن أسلوب الحنو على جنوده، ويكون قريباً منهم، مع الإهتمام بمطالبهم الخاصة بما في ذلك أبسط المطالب المادية، والعمل على توفير الراحة المادية لهم، لكي يكسب مساندتهم لغاية سامية جداً. وكان نابليون يؤنب جنرالاته بقسوة الذي لا يدركون أو ينسون ما ذكر سابقاً بقوله: (إن الرجل الذي لا يقيم إعتباراً لحاجات الجندي، لا ينبغي أبداً أن يقود.. إن إهمال الإدارة واحتقارها هما في الغالب إحتقار الرجال وإزدراؤهم).. ولا شك أن قسوة الإنضباط تدفع الجندي لأن يكون أكثر حساسية تجاه المعاملة الحسنة، ولكي يكون القائد ناجحاً ومحبوباً قد يكفيه أن يكون عادلاً مع جميع رجال بدون تمييز. والحقيقة أن السلطة الحقيقية سلطة حازمة تعطي بكرم وتعاقب بشدة، علماً أن السلطة التي ترتكز على النفاق بالمديح والتأنيب سلطة فاشلة. وتبقى

الصلاحيات والعدل والحب المتطلبات الضرورية للممارسة الفعالة والرصينة للسلطة القوية.

ويجب أن تكون سلطة القائد العسكري واسعة، ولا تقارن بسلطة أي قائد آخر لأنها أكثر شمولاً وعمقاً، لأن القائد العسكري مطلوب منه أن يقود رجاله إلى الموت، رغم مقاومة غريزة حب البقاء. وفي الواقع أن السلطة لا تكون في هذه القوة والإتساع، إلا في حالة ظهورها بشكل واضح، إن القائد يمارسها ليس لبناء مجد شخصي أو فوائد شخصية، ولكن يمارسها إخلاصاً لقضية تتعداه شخصياً.

ولا شك أن هناك خطر إنحراف وشعور قد يتعرض لها القائد الذي لا يتمتع بروح قوية ومستقيمة ومخلصاً لما عُهد إليه، قد تغريه السلطة بتحويلها إلى خدمة طموحه الشخصي، ولجني فوائد شخصية لا تخدم المصلحة العامة، ولكن تحكمها حبه في النجاح وإكتساب سمعة شخصية. ومع ذلك فإن مثل هذه الأخطار أقل فظاعة مما يمكن أن تتخيل فهناك نوعان من الطموح: النوع الأول متوسط التأثير ولا يصل إلى الأعلى إلا في الحالات النادرة، ويتصف في هذا الطموح أغلب الناس، الذين يبحثون عن المكتسبات من خلال السلطة، سواءاً كانت مميزات أو أمجاد. أما النوع الثاني من الطموح فيعتبر نادراً تقريباً، وهو أكثر قوة وأشد نبلاً، وينتمي إلى هذا النوع الرجال الذي يبحثون في السلطة التأثيرات على الأحداث، ومحاولة عمل شيء عظيم يجعلهم يضعون به بصماتهم على المستقبل. وهذا النوع مطلوب إذا ما وُفرت لهم الظروف لملك روح القائد الحقيقي، أوصلت إلى تمتع مستقل عن المكاسب التي كانت نتيجة للعمل والإبتكار.

فالنجاح الذي يطمح إليه الفرد المتصف بالطموح العادي، نجاح فردي أناني لا يتعلق بالمصلحة العامة. وعكس ذلك إن العمل العظيم عبارة عن عمل جماعي بالضرورة، لذلك فإن الطموح المتفوق الذي يطمح إلى تحقيق هذا العمل، يحيط نفسه بعدد من الأفراد. ومن الصعب إستمراره بدون المحافظة بشكل دائم على

العدد من الإرادات والذكاء، ووضع هدفاً يتجاوز الأفراد. ولذلك يتجه الطموح المتفوق بعض الشيء إرادياً وشعورياً، نحو المصلحة العامة، وينتهي العمل العظيم بحيث يتبعه صانعه.

ولا شك أن السلطة قد يجانبها الصواب أحياناً، كما لا بد من إتباع أوامر القائد، رغم الثقة المطلقة بصحة رأينا، ولا شك أن ذلك امر بالغ الصعوبة. ولكن الواجب يتطلب طاعة القائد لأن ذلك واجب وحكمة. في حالة رفض الخضوع لأوامر القائد الخاطئة يعتبر بدون شك إعاقة للعمل الجماعي وكسره. وحيث أن طاعة الأوامر خلال الحرب والصراعات فرض وحتمي وغير قابل للتقاعس بأية حالة من الحالات، فمن الأحسن للفرد قبول الخطأ ضمن الآخرين، أفضل من الرفض منفرداً، إن ضرورة العمل الجماعي هي السبب الأساسي والتبرير المناسب للإنضباط. ولكن هناك ملاحظة لا بد من الإشارة إليها وهي عندما لا يخدم الإنضباط شرف المهنة، يصبح مجرد زهوٍ زائف. قادراً دائماً لرفع رؤوس متمردة. وفي حالة كون السلطة دائماً كثيرة الإنحرافات إلى جانب إرتكاب الأخطاء المتكررة، فهي بذلك أصبحت عرضة للتقادم والشيخوخة، لذلك على جميع القادة أن يكونوا حذرين لتلك العلامات كلما تقدم بهم السن. ومن المحتمل أن تتكلس السلطة نتيجة لطول الممارسة، مع محاولة صاحبها المستميتة للمحافظة عليها بأقل التكاليف والجهد، بالرغم أن نفس الشخص الذي حصل عليها في الماضي بالجد والإجتهاد والمثابرة. ولا شك أن جهده الماضي الذي بذله للوصول إلى السلطة يبدو له أنه حصل إحتراماً وواجباً لشخصه، وأصبح يشعر أن مركزه أصبح يشكل له ضمانة كافية لحصانته وبراءته من كل خطأ. وفي الحقيقة أن التبجح والكسل، وهذه الصفتين تلازم أغلب الرجال، وتقنعانه بذلك، إلا أن المحافظة على السلطة تتم بواسطة الوسائل التي بها حصل عليها. وينبغي للقائد أن يلتصق مع وحدته سواء رغب ذلك أم لا. فهو لا يستطيع الإنعزال في برج عاجي بعيداً عن الأخطار. كما أن الزهد وصفاء الذهن وهدوء الأعصاب لا يمكن أن تعطيك

علامة القائد الحقيقي. ولكن من القيادة الجيدة يجب أن تتحلى بروح فتية وشابة. وليس بالإمكان لفرد من الأفراد أن يتصف بالقائد الحقيقي، ما لم يكن عميق الجذور في شعبه ووحدته، وتعيش أحداثها المصيرية دائماً في خياله، في جميع الأوقات بما في ذلك أحلك الأوقات القاسية خلال المعركة. وفي الواقع ليس بالإمكان إعتباره قائداً حقيقياً ما لم يكن قلبه يحس بجميع نبضات وحدته، التي لا ينفصل عنها، ولا يختصر بذاته إلى لحظات قصيرة، وهي اللحظة التي يتخذ فيها قراره. إن التلاحم بين القائد ووحدته يعتبر من الضروريات التي لا يمكن الإستغناء عنها، لأنه ينبغي للقائد أن يستمر بالشفاعة لوحدته. إن الوحدة ما زالت تحتفظ في بعض صفات الجماعة، هي عبارة عن وحدة قليلة الحساسية للغة العقل، فهي قليلة السمع إلا فيما يتعلق في لغة الأهواء والحساسيات، أما لغة المصلحة فتبقى ثانوية، ورغم أن الواجب يدعو قيادتها إلى أهداف معينة، وهذا ما يتطلب منا أن نجعل الذكاء يتكون مع قوى غريبة عنه. والصعوبة الأساسية التي تواجهها القيادة هي قيادة جماعة لا تسمع جيداً غير الأصوات العاطفية، إستجابة لأساليب رسمتها عقلية هذه القيادة، فإذن غالباً تواجه مشكلة أمامها تتمثل بترجمة مشاعرها، علماً أنها تواجه الإغراء أيضاً، لأن تصميم القيادة وإضطرارها للحديث بلغة الهوى والتحيز، والبساطة، والمبالغة في مطالبها، لهذا من الأولويات الضرورية أن لا يسمح لها بأن تفكر بهذا المستوى المتدني، فمثلاً يعتبر الهجوم أفضل الطرق لرفع معنويات الوحدة، وحالما يقرر القائد الهجوم ينبغي له الإستمرار فيه بإصرار وحزم حتى النهاية وهذا يعتبر من الضروريات مهما كانت حدته، بالرغم من أهدافه سواءاً كانت محدودة أو واسعة وحاسمة. ولكن من الحماقة للقائد أن يقرر الهجوم في كل مكان دائماً وبدون حدود.

وفي حالة رغبتنا دفع جماعة من الجنود إلى العمل، المحاكمة والرؤية الواضحة غير كافيتين للأمور وحسب، بل ينبغي هز المشاعر والأهواء، من أجل تأكيد فكرة، أو لحماية حقيقية من الحقائق. وفي الواقع ليس من الممكن التأثير في جماعات من

الجماعات إلا عن طريق المبالغة والتبسيط. ويجب أن لا نعمل أن الوضع غير ثابت، فقد يفرض العودة إلى الوراء، أو بعض التعديلات في الإتجاه، أو حلولاً وسطاً وهذا يتوقف على الوضع والموقف بشكل عام. وإنطلاقاً من ذلك يصبح على القائد أن يرسم بعدد قليل من الألوان، أشكالاً وصوراً متنوعة ومتباينة. ولا شك أنه لا يستطيع التوصل إلى ذلك إلى بالإحساس الصادق والعميق لردود الفعل لدى الجندي والوحدة، ومهما بلغت مبالغة القائد أن يتصف بهذا القسط السامي من الفن، الذي يتطلب معرفة القلب الإنساني المتسم بحركات سريعة وعجيبة.

فعندما يمتلي الفكر بالأفكار تشبع الوحدة لا شعورياً بصور متعددة، وهذه الصور هي التي تحرك نحو العمل. وينبغي أن يتخذ القائد قراره بدوافع عقلانية وينبغي له أن يحرك أفكاره للإبتكار وإختيار الأساطير التي سيوحي لها إلى وحدته، ومن المتعذر أن يحقق ذلك إلاَّ في حالة كونه زعيماً إلى حد ما، وبكلمة أخرى يملك القدرة كيف يُقنن ويقوي ليقود، ولديه المقدرة الكافية للتوفيق بين المخاطر والآمال، وقادر على إقناع الوحدة أنها تريد الواجب، وأن يقوم بتنظيم عند الضرورة توافق بين الواجب ورغبات الوحدة.

وهذا ما عبر عنه ليوتي بقوله: (إني لا أفهم القيادة إلا تحت الشكل الشخصي والمباشر للوجود في مكان العمل، والبدء بالتنفيذ بالخطب وبالسحر الشخصي، وبالإتصال البصري والسمعي، وبالإيمان وبالحماسة). ولقد بين نابليون معنى ذلك بشكل موجز قائلاً: (ينبغي على القائد أن يكون رجلاً، وعلى الزعيم أن يكون بائع أماني). والدعاية التي تعتبر حالياً إسم لتجارة الأموال والأماني، إلاَّ عدداً مضروباً فيه، علماً أنه لهذا العدد حدود. فعندما تكون الحقيقة معدومة أو دنيئة فإن حاصل الضرب لا يكن كبيراً، ولكن يصبح من الجرم ودناءة الشرف محاولة إقناع الوحدة بها. علماً مهما كان السلطة مضطرة إلى بيع الوهم للآخرين، فإن ذلك يعرضها إلى أقسى الأخطار المعنوية، لأنه عندما يجف فكر القائد عن الوضوح والحزم، يجعل إغراء السهولة يدفعه في تياره، وبالتالي يسهل الإلتباس بين وسائل

التأثير على الوحدة والهدف الذي يفرضه الواجب والعقل. وإنطلاقاً من ذلك يظهر في الضوء شعاع ضرورة وجود بنية صلبة للقائد. كما يظهر بشكل واضح ضرورة تحليه بشرف وأمانة مطلقتين. ومن المفروض أن تتعايش هذه الصفات الفكرية مع ذكاء واسع ومستقيم وواضح. وسبق أن قال مولتكه: (إن صفات الشخصية تؤثر بثقلها في الحرب أكثر من ثقل الذكاء أن كلمة (تؤثر بثقلها أكثر) غير مقنعة بشكل مرضي، لأنها موجزة ووحيدة الجانب، ولكن الأفضل وجود قادة يملكون من قوة الشخصية بقدر ما لهم من فكر سليم وواضح. ولا يفوتنا في هذا المجال الصيغة الثمينة التي تنسب للشيخ الحكيم لانو: (إن كوني جندياً أمر عظيم، ولكن أكثر عظمة، إذا ما ضممت إلى هذه الصفة صفة الحكمة). فإذا كان المقصود بهذه الكلمة توازناً فكرياً ومزاجياً صحيحاً. ففي الواقع أن حتمية هذا التوازن إلزامية، بحيث أن الرجل عندما يستلم منصباً أعلى من مستواه، لا بد أن ينحني سريعاً وتنهار بنيته المعنوية. وكمثال على ذلك تجده يقود لواء بشكل جيد ومشرف، ولكنه في حالة قيادته فرقة أو جيش تجده يتصرف بشكل عشوائي، وبالتالي يضعف عندما يكون تحت ثقل أكبر من طاقته. وفي الأخير يبدأ في إعطاء أوامر غير قابلة للتنفيذ، وهو يعلم أنه يرتكب أجبن عمل يمكن أن يقوم به قائد، لأنه يغطي نفسه بأجساد مرؤوسيه، ويفرض عليهم الكذب. وسبق أن قال نابليون: (إن أسوأ عمل لا أخلاقي يرتكبه فرد من الأفراد هو القيام بمهنة لا يتقنها).

إضافة إلى ما سبق هناك أعمال كثيرة لا أخلاقية أخرى، تقع مسؤوليتها بدون نقاش على الأشخاص الغير قادرين وغير الأكفاء، لأن من غير المقبول ومن غير الممكن الوصول إلى المناصب العالية بدون السعي إلى ذلك ولو جزئياً. ومن أفضل الصفات الضرورية التي يجب أن يتمتع بها القائد، يأتي على رأس القائمة الشجاعة طبعاً والشجاعة البدنية في أول الأمر، لأنها وحدها التي تستحق القيادة، وتعرف كيف تضرب الأمثال. وبالطبع هناك طريقين لتعليم الآخرين كيف يموتون جيداً، إنه طريق وحيد وهو التعرض للموت معهم.

وأنه ليس من الضروري زيادة الأمثلة عن قوة العدوى في الوحدة خلال الصراع في ميدان القتال. ولا بأس أن تعرف ما هي هذه القوة، لاسيما في وقت الأزمات والمواقف الصعبة، لأن العيون خلال ذلك تتركز على القائد. كما يمكننا إدراك التأثير الذي تمارسه هيئة القائد، نتيجة هدوئه ومظهره الذي يظهر سيطرته على نفسه.

علماً أن الشجاعة البدنية غير كافية، حيث أن هناك شجاعة أخرى أقسى وتتزايد أهميتها طردياً مع إرتفاع الرتبة، حتى تصبح رئيسية لا بد من وجودها. إنها الشجاعة المعنوية، شجاعة إتخاذ القرارت الحاسمة والشجاعة، وتحمل المسؤوليات. وتتطلب هذه الشجاعة إتساع الصلاحيات وقوته وسداده، مع التحلي بقوة النفس والصبر. ولا شك أن وجود مثل هذه الشجاعة أصعب وأقل من وجود الشجاعة البدنية. ولقد قال ستاندال ضمن ملاحظاته: (إن الجنرالات الذين يفتقرون إلى الطاقة في مهنهم والذين يرتعدون خوفاً من المخاطرة بسمعتهم عن طريق دفع كتيبة إلى الأمام، يعتقدون أن بإمكانهم التعويض عما يفتقدون إليه بإندفاع شخصي متهور).

وتتطلب الشجاعة المعنوية إستقامة فكرية سليمة وكاملة، لأن القائد قد يظهر لدفع نفسه لإتخاذ قرارات قادرة على توفير بعض النتائج العاجلة الناجحة ظاهرياً، وبالتالي تحقيق نجاحه الشخصي وسمعته بالرغم أنه يعلم أن ذلك سيء التأثير على مجموع النتائج لاحقاً. فلا شك أنه من العسير تحديد القوة النفسية التي هو في حاجتها خلال تلك اللحظات. وعلى كل الوجوه على القائد أن يخط لنفسه مبدأ أخلاقي يكون معروفاً عنه منذ وقت طويل بأنه يفضل المستقبل على الحاضر، وعليه إختيار خلال ضباب الشك أصعب الواجبات وأكثرها خطراً، وينبغي أن تكون شجاعة القائد المعنوية مستمرة خلال جميع الأوقات وإختلاف المواقف، فلا بد من التحلي بشجاعة اللحظات المفاجئة، والتي توفر للقائد حرية الحكم والقرار الحاسمين، رغم جميع الأحداث غير المتوقعة.

إن بيان جميع الصفات المهمة للقائد ليست من الضرورة، لأنها تظهر بشكل عام

بواسطة متضادتين إلى جانب بعض الأمور المتممة.. إنها فضائل التوازن. وينبغي للقائد أن يكون كالنابض مرناً وقوياً بنفس الوقت. كما ينبغي له أن يتصف بالجراءة مع تحليه بالعقل معاً، لأن الهدو والتعقل والفكر السليم هو السلاح والضمان أمام الأوضاع المريبة، ولمواجهة حالات التعب واللامبالاة والكسل التي تعاني منها قواته. وينبغي أن يكون لديه القدرة الكافية لإصدار أوامره التي تقود جنوده إلى الموت، وأن لا تؤثر به أفظع وأشنع المناظر، لأن الذي لا ينظر إلى المعركة بقلب قاسي، يقتل جنوده بدون جدوى، ومع ذلك ينبغي له أن يتجنب تعريض جنوده للموت، في حالة عدم وجود ضروريات عسكرية تتطلب ذلك ضرورياً، ولكن يمكن تعريض الجندي للخطر ودون تحفظ عندما يتطلب الموقف ذلك. وعلى القائد أن يدفع جنوده إلى بذل حياتهم دون تردد، ولكن بتعقل وبدون تهور، وأن يمنحهم حبه وعطفه بقلب كريم، ويبني علاقته بهم ويأمرهم ككائنات تتألم وتفكر، وألا يعاملهم كالآلات أو كائنات بدون شخصية، إشترى جهودها ومخاطرها. وعليه أن يسيطر ولكن بدون توجيه الإهانة أو المذلة، وعليه أن يخاطب مرؤوسيه كالرجال الآخرين، وأن يشاركهم آلامهم ويساعدهم على حل مشاكلهم، وأن يدفعهم إلى المشاركة في الأعمال التي شرع فيها. وأن يراعي أحاسيسهم والمحافظة عليها من التقوقع والإنكماش، وبشكلٍ مختصر على القائد أن يهتم بجنوده بشكل عام كأولاده والحرص على حقوقهم وترقياتهم وجميع ما يخصهم. وعليه أن يكون عادلاً في المكافآت والعقوبات.

إن القائد في أمس الحاجة إلى الثقة الصادقة بنفسه، والحكم عليه بنفس الوقت، لأن الثقة بالنفس تخلق المعجزات، وعلى القائد أن يكون فعالاً ويتصف بالقدرية، كما ينبغي له الثقة بغيره، لأنه ليس بإستطاعته أن يقود بدون ثقة بغيره مسبقاً، وأن يكون متحدياً لأن الواقع يبقي الإنسان إنساناً، ولكن الأبطال نادرين، وعليه أن يبقى مستمراً بتفاؤله بنتائج العمل، وبنفس الوقت متشائماً بظروف هذا العمل. وعليه الحكم على أدائه بوضوح وكرم، وأن لا يغيب عن باله أن العجينة التي بيده عجينة خائفة وشجاعة

في نفس الوقت، وأنها تفتقر إلى الإستقرار في إرادتها الحسنة والقلقة كذلك، وشجاعتها المتعاقبة.

وفي الواقع يوجد أساليب تدفع الوحدة لإقتحام الخطر، ومن الصعب معرفة هذه الأساليب إلا إذا ملكنا حس دقيق عنيف بحالة الوحدة النفسية، وأستطعنا أن نكون كرماء وأبويين، وعرفنا كيف نتمتع بنفس الوقت بقسوة وبعد نظر. وعندما يصبح لدينا معرفة بمجموع كل تلك الصفات المتناقضة، والتي ينبغي للقائد الحقيقي أن يؤمن تركيبها ويوازنها داخله فنستطيع أن نفهم لماذا ترون كلمة (الحكمة) كثيراً في مؤلفات القدماء الذين كتبوا عن القيادة.

تعريف القائد:

إنه الرجل العاقل الذي يعرف كيف يقود، إنه الرجل الذي يملك الأخلاق الكريمة والشريفة والقلب المستقيم، إنه القوي في مشروعاته والحازم خلال الخطر والماهر في فنه، إنه ذلك الرجل صافي السريرة، والمحب لمسؤولياته، ويملك الرؤية الواضحة للصعوبات مع الإرادة والتجرد اللذين لا بد منهما للتغلب عليها. إنه سيد وعبد حصرته مسؤولية مزدوجة بين القيادة والطاعة. إن حالة هذا الرجل العاقل كحالة رجل باسكال، فهو عظيم جداً وغارق في البؤس في البؤس بنفس الوقت. إن لديه سلطة مطلقة لا حدود لها على أفراده، ولكن هناك آخرين يملكون نفس السلطة عليه. ويخضع القائد عبر رؤسائه لضرورة تتعدى جميع أفراده، ولكنه يتساوى أمام الخطر مع أصغر رجاله وهذا الذي يجعل من قسوته أخوية طيبة.

ولا شك أن القائد الحقيقي إنسان إستثنائي ونادر، ولا شك أنه يعتبر نادر إذا حقق مستوى الكمال. وعادة لا يوجد قائد واحد في الوحدة، فالوحدة تحتوي على شبكة قيادة كاملة. وهذه القيادات مرتبة بطريقة تسلسلية، ويعتمد هؤلاء القادة بعضهم على بعض. ولا شك أن هذا التوازن في البناء يعوض إلى حد ما السلبية الناتجة عن عدم إكتمال بعض أفراده. وأخيراً تبقى إعانة الله تعالى له.. فنفس القائد مليئة بالمسؤولية، لا تعطيه فرصة التفكير بأية شيء من الأشياء ما عدا مهمته، وتعيد له

الشجاعة بشكل أسهل من الجندي. وبين مشاغل القيادة وإهتماماتها، يستطيع القائد قهر الخوف، ويصبح بشكل يملك وضوح الفكر وصفاء النفس، وهاتين الصفتين يحققهما الإنتصار الداخلي.
وينبغي على القائد إختيار مرؤوسيه من القادة وهذا من أهم واجباته. وهو يجتهد في هذا الواجب بحيث يبذل كل وجدانه وشرفه الفكري، لأن بهذا العمل يختار أحجار صلبة لأركان البناء الذي هو مهندسه وصاحبه.
ويقول نابليون: (كن الأعلى لمرؤوسيك، ولا تكن منافساً لهم) وهو يهدف بذلك إلى بيان أن التكبر والحسد قد يؤديان في أغلب الأوقات إلى إنحراف الموازين.
ومن العلامات التي تؤكد عظمة القائد إنتقاء معاونين كباراً. ولا شك إن إختيار المعاونين أمر كثير الصعوبة وشاق جداً لأن إكتشاف الشخصيات أو النفوس الضعيفة يعتبر من أصعب الأمور إطلاقاً، وفي الوقاع أن بعض الرجال المتوسطين التي لا تتعدى مهارتهم ومواهبهم المتواضعة، تتجه أهدافهم الصغيرة إلى الأنانية لهم قدرة على البحث عن المناصب، ويسبقون من هم أكفاء وأفضل منهم بكثير.
إن التفوق لا يطرح نفسه، وعلى القائد أن يكتشفه بجهده. وهناك مبدأ أساسي من مبادئ القيادة ويتمثل في إعداد القادة إعداداً جدياً قبل إختيارهم، فالحقيقة أن الفرد لا يولد قائداً، ولكن يولد مع إستعداد للقيادة، وفي الواقع أن فن معرفة الرجال، هذا الفن الذي يعتبر من أهم الضروريات للقيادة، وهذا الفن يتعلمه المرء بنفسه، دون أن يعلمه أحد ذلك. فبممارسة النجارة يصبح المرء نجاراً وبالطرق يصبح المرء حداداً وهكذا، وعند ممارسة القيادة يصبح المرء قائداً ولكن ليس دائماً، وينبغي للقدماء بالمهنة أن يرشدوا الشباب ويوجهونهم، ويستكملوا تعليمهم وتدريبهم على فن القيادة، والذي سبق أن تعلموا أولوياته في المدارس. ولقد نرى في جميع الأمكنة مدارس للضباط، كانت تصرح بطموح عالي أنها تبني وتعد القادة، ولكن قادة ماذا؟ قادة جماعات أم ألوية وفيالق وفرق وجيوش؟ قادة محطات أم عيادات طبية؟ إن القائد حقيقة عاجز عن عمل جميع

الأشياء، ولا شك أن السلطة لا تولد وتنمو وتتطور إلا في المجال الواقعي المتخصص. وينبغي أولاً أن يكون الفرد ماهراً في فنه، لكي يطمح بأن يكون قائداً. ولقد قال مونتي كوكولي: (إن ما يوحي للجندي بالثقة، هو الكفاءة أكثر من الفضيلة). ومن المستحيل أن ترى صورة القائد ترسم في الحالة الصرفة، ولا تبين الصفات الحقيقية المجردة التي تعطي السلطة، إلا عندما نقترب من أعلى مستويات التسلسل، عندما تتناقص الأهمية النسبية للتقنية.

والحقيقة أن السلطة بما لها من إمكانيات هي التي تحول الكتل الجماعية التي لا تشكل لها إلاَّ وحدة نظامية، مع وجود قائد حقيقي يتمتع بتلك السلطة، وبالتالي تجعل من الإنسان البدائي، كائناً أعلى وتبني الأدمغة وتزوده بالأجهزة العصبية لكي يمده بالعقل، ويقود خياله ويوجهه، ومنحه الإحساس، ويمنحه القوة التي تقلل من إحتمالات تراجعه أمام الخوف، ويزيد ويضخم قفزاته الشجاعة. في الواقع أن الوحدة جماعة متجانسة وثابتة ومنظمة ومدربة ومسلحة، ولكنها بالأساس وقبل كل شيء مجموعة منقادة وتذوب أهمية إذا أختفت مساعدته وحدته ولكن ليس هناك وحدات بدون قائد.

والسلطة هي الذكاء والإرادة والثبات، وبدون ذلك لا تكون الوحدة سوى مجموعة. وبناءاً على ذلك أصبح من الضروري أن تقف أمامها طويلاً، وأن تتمعن بدقة أصولها وحركتها، قبل أن تتجه إلى مشاهدة الوحدة في مواجهة الخطر والإجهاد.

❁❁❁

الفصل الرابع

الوحدة في مواجهة الخطر والتعب

إن المنتصر، هو من يستطيع القتال ويديره
عندما لا يريد خصمه القتال

الوحدة في مواجهة الخطر والتعب

لو تصورنا معنوية المقاتل خلال مقاومتهَ الأخطار والجهد والتعب، لاتضح لنا عدم ثبات أو إستقرار المقاتل على مستوى ثابت فيما يتعلق بالروح المعنوية والحيوية القتالية، وهناك عوامل كثيرة ينعكس تأثيرها على المقاتل الفرد بشكل خاص. ولكن إذا نظرنا من زاوية أخرى إلى العمل الجماعي للسيكولوجية الجماعية إلى جانب سلطة القائد ودورها في تنمية وخلق التلاحم بين الإنعكاسات الفردية وتحرك نشاطاتها العاطفية والإنفعالية وتحركها إلى أهداف عقلانية. ولا شك أن الوحدة تشكل أداة أقوى من الفرد، لذلك يكون التعامل معها أكثر سهولة. وتمتاز الوحدة بتماسكها الذي يعطيها القدرة لتسجيل الظواهر الخاصة بها على شكل قوانين قد تأخذ أحياناً شكلاً عددياً، لأن مناقشة عدد كبير من الحالات يمنحنا الفرصة للتخلص من الأحكام الخاطئة للحالات الفردية. إن مصير الحالات الفردية فيما يتعلق بذكائنا غالباً ما تترك للصدفة، بينما يظهر مصير الجماعات في إحصائيات تعطي الفرصة للتنبؤ شيئاً ما لأن الواقع لا يمنح الإحصاء القدرة على تحديد من سينتحر أو من يصاب بأحد الأمراض من خلال جماعة تتكون من عدد ضخم من الأفراد. ولكن من المحتمل التنبؤ بالعدد التقريبي لمثل تلك الحالات خلال فترة من الوقت. ومن الصعب كذلك تحديد عدد من سيقتل خلال أحد الهجمات، ولكن هناك إمكانية الحساب المسبق للنسبة المئوية للخسائر التقريبية الناتجة عن الهجوم، وبنفس الوقت ليس من السهولة أو الإمكانية تحديد عدد الجنود الذين سيصابون بالخوف، ولكن بالإمكان الشعور بشكل صحيح تقريباً للمصابين بالهلع ومن شل معنوياتهم الخوف أو قتلهم أيضاً. ففي خلال هذه الظروف كيف سيكون أسلوب عمل وحدة ما. والحقيقة أن جميع هيئات الأركان تتقبل إنطلاقاً من الإحصائيات والخبرات، أن وحدة مقاتلة جيدة التدريب والخبرة تستطيع مواصلة القتال، حتى ولو وصلت نسبة خسائرها ٢٥٪

وتعتبر هذه الوحدة ممتازة، وفي حالة مواصلتها القتال بعد إصابتها بنسبة خسائر تفوق ٢٥٪ فتعتبر وحدة بطولية. ويطلق على الوحدة صفة الضعف في حالة إنهيارها عندما تبلغ نسبة خسائرها من ٥ ــ ١٠٪ من قواتها. وإذا كانت الشجاعة العسكرية هي التي تمنح القدرة على كبح شبح الخوف من الموت، فإن حسابها هو الإحتمال الحسابي للموت الذي يستطيع الجندي مقابلته بدون التفكير في السعي للتخلص من القتال، بالهروب أو التحصن في الأرض.

إن القتال يقرره مصير الجندي لحكم موجز، يبالغ فيه الإنفعال بشكل عام. ولكن النسبة المئوية الحقيقية للخسائر لا تشكل أساس قراره. إن النسبة المئوية للخسائر في المعارك مازالت باقية كما هي كالماضي، حتى أصبحت نتيجة الإحصائيات قانوناً، بالرغم من أن الخسائر زادت من ناحية قيمتها المطلقة خلال المواجهات الحديثة، وذلك للزيادة الكبيرة في عدد القوات المشتبكة في الصراع والتي إفترضتها زيادة كثافة النيران، وهذا يعتبر أحد الأسباب، ولكن يجب أن لا يغيب عن أذهاننا التقدم الهائل في تكنولوجيا السلاح، إلى جانب دخول الدبابات المعركة والتي كان تأثيرها واضحاً. ومن الصعب بيان التغير الظاهر عن القياس، والذي يظهر في هبوط النسب المئوية للخسائر، إلا عن طريق العوامل المعنوية.

وهناك فرضيتين لأحد القادة: تتمثل الأولى بأن الإنسان قادر على إتمصاص جزء معين من الهلع، فإذا زاد هذا الجزء عن تحمله فر من القتال. أما الفرضية الأخرى فتنص على أن العمل المعنوي للتميز يزداد تبعاً لقوة الرمي وسرعته.

وفي الحقيقة أن نسبة الخسائر التي تتحملها وحدة ما ليست وحدها التي تؤثر على القدرة القتالية للقوة، ولكن هناك عامل آخر يؤثر كذلك وهو الوقت الذي يمتد خلاله وقوع الخسائر. وبما أن الأسلحة الحديثة تمثل قوة تدمير هائلة فهي تستطيع إحداث آثار سريعة جداً، وهذا بالتالي يسرع في تحطيم معنويات العدو، قبل إعطائه الفرصة الكافية لكست الوقت لتحمل إرتفاع معدل الخسائر. فمثلاً سقوط عشرة أفراد معاً في ميدان المعركة يجبرون كتيبة على التراجع بشكل أكيد،

ولكن سقوط أكثر من خمسين فرداً تدريجياً خلال أوقات متفاوتة وأماكن مختلفة قد يكون تأثيرها أخف. وهذا ما يعرف بمفهوم توزيع الخسائر في المكان. والواقع حقيقة أن مجموع الخسائر والوقت الذي يستغرقونه غير كافي لبيان جميع الآثار المعنوية التي تشعر بها الوحدة أو التشكيل. فهناك مثلاً الشروط التي تحدث في نطاقها وضمنها هذه الخسائر. فحصرها في مكان صغير، وحدوثها بشكل مفاجئ بالزمان والمكان أو الكيفية لهم تأثير معنوي أقوى. والخسائر نفسها ليس لها تأثير كبير، عندما تحدث في وحدة جيدة التدريب ومتماسكة وتتمتع بخبرة قتالية كافية سابقة، بعكس التأثير الذي يصيب وحدة تفتقر إلى الخبرة وجودة التدريب وغير متجانسة، وتعمل تحت نيران العدو لأول مرة. والكل يعرف أهمية وصعوبة أول قتال للوحدة العسكرية. وفي الحقيقة أن الوضع القتالي سواءاً كان هجوماً أو دفاعاً، له تأثير رئيسي على نسبة الخسائر التي تستطيع الوحدة أو التشكيل تحملها، وتستمر لإنجاز مهمتها، ولا شك أن ذلك يعتمد بشكل أساسي على الوضع القتالي. فمن المستبعد ونادراً جداً إحتفاظ وحدة ما أو تشكيل معين بمقدورها وفعاليتها الهجومية بعد أن تتكبد ٢٥٪ من الخسائر، ولكنها عندما تكون محتمية بالأرض ومتعلقة فيها خلال الوضع الدفاعي، وخاصة إذا كانت الوحدة تدافع عن نفسها في موقع منظم، فإنها تستطيع أن تتحمل نسبة مئوية أعلى من الخسائر. ولا شك أن القيادة التي تطلب من وحداتها إستمرار البقاء في خطوط القتال حتى الإنهاك الكامل، تفتقر إلى العقل والحكمة والحس القيادي السليم، لأن العوامل الإنفعالية والمبالغة في التضخيم تتدخل في هذه الحالة. ومن الأخطاء الفادحة المحاكمات الرياضية. لأن تجاوز الخسائر نسبة مئوية معينة عندها تهبط القيمة المعنوية للوحدة المقاتلة بسرعة هائلة. وتهبط الطاقة النفسية والروح المعنوية للوحدة المقاتلة حسب الشروط التي حدثها خلالها الخسائر. ومن الممكن أن تنزل الطاقة النفسية والروح المعنوية بإحدى طريقتين: الطريقة الأولى. طريقة بطيئة بسبب الإنهاك المعنوي، الناتج عن التعب والجهد المتراكم والحرمان،

إضافة إلى الخسائر القليلة المتكررة. أما الطريقة الثانية فهي شبه فورية ومؤقتة، وتكون نتيجة الخرق المعنوي بعدالتعرض لضربة مفاجئة وعنيفة في مكان أو وقت حرج.

وحيث أن هناك عوامل معنوية عديدة، تدفع الوحدة العسكرية لتنمي فيها التماسك والإلتحام، وتمنحها إستقراراً غير مرئي من قبل جميع الأفراد، إضافة إلى ذلك يوجد عنصر آخر يساعد على تحقيق النتيجة نفسها وهو السلاح، لأن الأسلحة تمد الوحدة بالقوة وينمي فيها الروح ويزودها بالبنية، فالفرد يشعر بأنه مرتبط بسلاح وبالإداة التي أوكلت إليه بعلاقة قوية، والذي يبقى دائماً ضرورة إستخدامها. وقد قيل أن التحصين يسجل المهمة على الأرض، في الوقت الذي يجسد السلاح الواجب أو المهمة. ولا شك أن تأثير السلاح يزداد في الجماعة، تعتني فيه جماعة من الجنود أفضل من كونه فردياً، لأن العمل الموحد يجمع جهود الأفراد في كتلة واحدة تعطي صورة قوية. لأننا نجد أن أطقم الطائرة أو الدبابة أو أطقم المدفعية أو الرشاش أو الهاون أو أطقم الأسلحة الماضدة بإختلاف أنواعها، يلتحمون إلى حد بعيد بما تتطلبه الإدارة التي يستخدمونها. ويتفوق التسليح الجماعي على هذا الشكل على أرض المعركة، وعند تشكيلها أطقم وزمر صغيرة من الصعب قهرها أو تحطيمها، وفي وحدات المشاة خاصة حلت قوة الجذب هذه بدلاً عن تأثير الإنضباط في الصف، الذي اختفى عند تطبيق التشكيلات المفتوحة وخلال الحربين، إستخدمت الأسلحة الجماعية بشكل واسع أكثر من الأسلحة الفردية. لأن القتال قريب يتطلب التخلي بغريزة القتال أكثر من اشكال القتال الأخرى.

وهناك حقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها وهي أن روح الوحدة ومعنوياتها ثابتة أكثر من الروح المعنوية الفردية. علماً أن الوحدة تتعرض كذلك للتغلب والتذبذب وكذلك تتعرض الوحدة كالفرد لمراحل الحماسة ومراحل الإنهيار. والقائد الحقيقي سليم التفكير، هو الذي عنده القدرة الكافية لمعرفة كيف يميز بين روح

الوحدة أو التشكيل الذي هو يقوده وحالته النفسية الراهنة. ويعرف بشكل دقيق كيف يؤثر على حالته النفسية أيضاً، ويعرف أيضاً كيف يعتني بوحدته بدنياً، ويستطيع أن يعيد إليها ثقتها وأملها. وذلك لا يتحقق عن طريق البلاغة أو الخطب الرنانة، لأن الوحدة تتمتع برصانة وحياء لا تعرفها الجماعة إطلاقاً لأن الجماعة تنتشي بسهولة بجهاز الفصاحة المهيب والبيان الساحر، بينما تجد أن البسطاء من الناس الذين يؤلفون هذه الجماعة، قِد استولى عليها الخوف والإضطراب والضيق نتيجة الإثارة الخطابية للعواطف، ولكن الوحدة تتمتع برصانة وحياء الناس البسطاء ولكن الخطب لا توثر فيها، ولكن بالعكس تزعجها. وينبغي للقائد أول شيء أن يسهر على الحالة النفسية لوحدته في داخله، لأن الخوف الجماعي ليس نتيجة لخوف الأفراد، ولكنه إنعكاس لخوف القائد. والحقيقة أن القائد بحكم وضعه المتميز كقائد أقل تعرضاً من المرؤوسين للخوف، وخاصة الخوف الطبيعي. ولكن الرأي والخيال لها قوة جبارة في القتال على الخوف الفكري أو المعنوي، ويظهر خوف القائد عن طريق التعبير عن نفسه بعصبية قيادته، وبالأوامر المتناقضة والمتعاكسة، وتتحول أنفعالاته إلى إنفعالات عاطفية متزايدة، في الوقت الذي تتناقض إنفعالاته العقلانية. ويتوقف تدريجياً عن مهامه لمفكر نفسي لوحدته. وهذا الوضع خطير جداً لأن ربح المعارك وكسب الحرب يكون في أن نعيش ربع الساعة الأخيرة بقوات أحتياطية محترفة تحت قيادة ماهرة. والواقع أن الفشل المحلي والتراجع لتحسين الأوضاع يعتبر جرح سطحي لا يؤدي إلى الموت. والموت يأتي من الجروح العميقة الجروح التي تسبب الإضطرابات في الوظائف الكبرى. في الوظائف العقلية بشكل خاص. فعندما يفقد القائد عقله، تفقد الوحدة قلبها.

وبأن إدارة الوحدة في مواجهة الخطر تكون سهلة إلى أقصى الحدود، لأنه يمكن في هذه الحالة عمل بعض القواعد الإيجابية والعددية لذلك، وهذا الشيء أكثر موضوعية كذلك فيما يتعلق بسلوك الوحدة أمام الجهد والمعانات، وإذا أظهرت

الأرقام القياسية التي يتمبز بها الفرد، أرقاماً مختلفة وإذا أصبح من الصعب التنبؤ بالضعف المبدئي أو اللياقة، فلا شك أننا نستطيع .تحديد الجهد المملكن إنتظاره من الوحدة. حينما نجد أنفسنا في حاجة لمعرفة النتائج الإستثنائية من المجموعة البشرية، فليس من المناسب زيادة جهدها ولكن الأفضل إطالة وقت هذا الجهد. إلى جانب ذلك ليست المسيرات الإجبارية تطبق بسرعة أكبر ولكنها مسيرات تغطي مسافات أطول. ومن الممكن معرفة إمكانيات الوحدة البدنية واللياقية، وتعطينا بعض المعطيات الواقعية الكثير عن إمكاناتها المعنوية وحالتها النفسية، ولا شك أنها أكثر ثباتاً من الحالة النفسية والمعنوية للجندي المنعزل. وفي إستطاعتنا الآن أن ندرك ونستوعب بشكل واضح معنى ما ذكر سابقاً بأن التعامل مع الوحدة ككل أسهل من التعامل مع الفرد. ولكن ينبغي لنا أن نستنتج من ذلك أن قيادة الوحدة ليست بحاجة إلى معطيات عقلانية. فلو ظهر من الدراسات أن الوحدة تتعرض لحالات وذبذبات نفسية، كما أن حالتها الروحية تمر بمراحل من الإنهيار، وغالباً ما تكون معنوياتها إنعكاس لمعنويات القائد إلى أقصى الحدود، القائد الذي لا يعدو كونه إنسان رغم الإلهام الإلهي.

لذلك ينبغي للقائد أن يتصف بمواهب فكرية متينة وسليمة، وبنية ومعنوية قوية، إلى جانب ذلك ينبغي أن يتحلى بنوع من الحس الفني الذي يعطيه مقدرة الإحساس بكل ما قد تعطيه وتقدمه وحدته، وما يمكن أن تتعرض له. إن الإمكانات الكبيرة لوحدة من الوحدات لا ترتبط بالظروف المحيطة والخاصة والمؤقتة التي ذكرناها، ولكن ترتبط أيضاً بدمها. إن الفضل العسكرية بنات الأمة. ومن الممكن إستخدام الإنضباط وروح الوحدة، والهيبة، والمثل الذي يستخدمه القادة، ليجعلوا من الرجال يتحلون بالإرادة القوية، ويجعلون منهم محاربين أشداء، على أن تعطي الأمة للقائد مثل هؤلاء المحاربين.

❋❋❋

الفصل الخامس

الإنسان في مواجهة الخطر والمشاق

قال المارشال دوساكس: إن الأمل يجعل الرجال يشرعون بكل شيء، فإذا أنتزعتم منهم هذا الأمل أو جعلتوه بعيد المنال، فإنكم تنزعون منهم نفوسهم

الإنسان في مواجهة الخطر والمشاق

عندما نحاول بحث حالة الإنسان عند مواجهة الخطر والمشاق والجهد المضني، علينا أن نضع في إعتبارنا ومفهومنا أننا نناقش الرجل الكامل بغرائزه وكل أحاسيسه، وجميع الأفكار التي اكتسبها من الحالة الإجتماعية التي إعتاد التواصل معها.

ومن غير الممكن أن تكونَ الحالة خارج هذا النطاق، لأن الواقع يؤكد إستحالة إستغناء الفرد عن المجتمع ليحقق الفردية في شكلها الخالص. وفي نفس الوقت لا يمكن وجود مجتمع بدون أفراد. وليس بالإمكان فصل الكائن الحي بين الضرورة والحالة الإجتماعية، فالإنسان كائن فردي وإجتماعي بنفس الوقت.

ولا شك أننا سنتجنب ميادين التدريب وحقول الرمي والمناورة ، ذلك مكان التجارب علي الجندي الهادي والرزين والذي يمكن أن يطلق عليه الإداة الذكية الوديعة. فنحن ومن خلال هذه السطور، لا نناقش وضع مثل هذا الفرد، ولكن نهتم ونركز فيما يتعلق في ذلك الكائن العصبي، وكثير التاثير والانفعال والقلق المضطرب الساخط والمذهول الذي غالباً ما يهرب من نفسه، هذا هو المقاتل من القائد إلى الجندي ويستثنى منهم الأقوياء وهم قلة.

وفي الواقع أن هناك سؤال يطرح نفسه: هل نستطيع مناقشة فعل الإنسان، الكائن الفرد؟. وهل يوجد بين الأفراد صفة مشتركة كاملة؟ بالفعل هناك فروق كثيرة لها آثارها بدِون شك، كالعرق، والعمر، والوسط الإجتماعي، وكل ذلك شيء طبيعي. ومن تهيأت له الفرصة من القادة لقيادة وحدة يخوض بها الحرب يتكون أفرادها من أجناس مختلفة الأعراق، تأكد لهم بدون أدنى شك أن يجمعهم رغم إختلافاتهم قاسماً مشترك، له من التأثير أكثر من تأثيرات العوامل الخاصة. ومن يتوفر لديه الوقت الكافي لدراسة الحربين العالميتين بطريقة نقدية يجد بشكل واضح الإختلافات نتيجة لإختلاف الأعمار، ويمكن تلخيصها بما أشار إليه

أرسو بقوله: (إن الشباب الفتيان أكثر شجاعة من أصحاب أي سن آخر لأنهم لم يتعرضوا لتثبيط الهمم في الحياة العملية، ولم يتعرضوا لإختبار الحاجة. فهم يتصرفون تبعاً لطبعهم المعنوي لا تبعاً للحساب). وهذا الكلام مقبول وصحيح بشرط أخذ كلمة الشجاع بمعناها الضيق، أي تعني الرجل الذي يتمتع بالجسارة والاقدام الطبيعي. فالشاب غالباً ومن الطبيعي أن يكون مندفعاً وملي بالنشاط البدني وحماسته السريعة، ومن الممكن أن يكون مثالياً بكل سهولة، لذلك نجده قريب إلى الإلتزام الطبيعي، وفي أكثر الأوقات يتمتع بالشجاعة الإندفاعية، ولكنه في الواقع أقل صلابة وعناداً من الجنود الأكبر سناً، ولكنه كثير الهدو وقليل الحدة والعنف الفعل. بينما نجده أكثر إيجابية لأن هذه الفئة من الأفراد تُعرض للمحاكمة والمحاسبة، إضافة إلى ذلك تتحكم فيه الشجاعة المكتسبة، شجاعة الخضوع والإنقياد.

١. الرجل في مواجهة الخطر.

كما ذكر آنفاً يجد الجندي نفسه عندما يواجه الخطر مدفوعاً بحالتين من الدوافع وهي:

أ. **دوافع إيجابية**: تمثلها حماسه وتعوده على الخطر إلى جانب الإحساس بالشرف. وهذا ما يبني قواته المعنوية، وتنمي لديه الطاقة النفسية التي تدفعه لمقاومة أسباب الإنهيار التي تنتج نتيجة الحرب المتمثلة بالحرمان والتعب والآلام المعنوية والمرئية والمناظر الفظيعة والأخطار. والدفاع الإيحابية لها دور كبير لمساعدته على قبول التضحية مهما كانت، كما أنها تشعره بإرادة الإنتصار.

ب. **دوافع سلبية**: وهذه الدوافع تنمي في اعماقه غريزة المحافظة على البقاء. إذاً ما هو دور الدافع التي ستغلب في عواطفه نتيجة ذلك؟ إن ذلك مرتبط بشكل مباشر بالظروف الخارجية وحالة المقاتل النفسية. إلا أن الحالة النفسية تتأثر في الحالة البدنية، فالرجل ليس ملاكاً، إنه جسم يتكون من جسم وفكر بنفس

الوقت، ولا يمكن إنفصال الإثنان عن التأثير المتبادل. والحقيقة ليست السبب في ذلك ولكن وجود علاقة مباشرة بين القوة البدنية والشجاعة، ولكن عكس ذلك نجد أحياناً رجال أقوياء ويتمتعون بأجسام رياضية رائعة ولكنهم أكثر الناس جبناً. ولقد تميزت الحرب الحديثة بعدم المبارزات الفردية، وهم يملكون أسلحة قوية. ومن هذا المنطلق نهتم بقوة وصلبة معنوياتهم أكثر من إهتمامنا بقواتهم العضلية. إلى جانب الإهتمام بالقدرة على مقاومة الإجهاد والمشاق وقوة الإحتمال، فإذا كنا لا نقاتل كل يوم فنحن نتعرض للتعب والمشاق يومياً. وتتمكن قدرة إحتمال بغض النظر عن ضعفها أن تحمله بعيداً إذا كانت يتمتع بإرادة صلبة لا يستسلم للمشاق والتعب. ولا شك أن تغيرات حالة المقاتل البدنية لها تأثير على نفسيته أكثر من تأثير حالته البدنية العامة نفسها. ولا شك أن هذه التغييرات مستمرة، لأن شروط حياة الفرد في الميدان، والتي تتمثل طبيعياً في شغف العيش، إضافة إلى فترات الإرهاق والحرمان. أما بالنسبة للفرد الشبعان رد فعلي عصبي أقل عنفاً من الآخر الجائع. لأن الإنسان المرهق يميل إلى الإستسلام إلى اللامبالاة. وفي نفس الوقت نجد أن الرجل الشجاع صاحب البداهة يرى شجاعته وبداهته يبدأ بها النقصان عندما ينزل ضغط دمه وتقوم الغدة الدرقية بإفراز غير طبيعي وغير متزن يجعل المزاج وقتاً هادئاً وفي حالة أخرى عنيفاً. وفي الواقع أن الشروط المعنوية للحياة في الميدان سبب من أسباب عدم الإستقرار. لأن المقاتل في الميدان يخضع إلى إنضباط قاسي من بعض الجهات، بينما يكون ضعيف من بعض النواحي الأخرى. وللجندي همومه الخاصة العائلية والعاطفية. وهو واقع تحت التهديد الذي يولد التوتر العصبي الدائم، إلى جانب الصدمات العاطفية المتكررة. إن قيمة القادة ونفوذهم والشعور بضعف أو قوة العصبة التي ينتمي إليها، إلى جانب الإنتصارات أو الهزائم السابقة التي ما زال يتذكرها، تتدخل بإستمرار لتؤثر على أمله وثقته بالإنتصار. إن الأمل والثقة عاملان أساسيان لهما القدرة الكافية

على ترجيح الكفة في نفس المقاتل. لأنه ينظر إلى القتال كلعبة هو رأسمالها، بمعنى حياتي مقابل حياتك، وهذا في الحقيقة هو ما يفكر به المقاتل في داخله بغموض. وحتى تكون اللعبة مناسبة له، من الأفضل أن نعطيه إحتمالات عقلانية للنصر، وإذا لم نفلح بذلك فإنه سيفلت من قادته، ويبحث عن السبل التي تساعده لتجنب القتال. ولقد قال مارمون: (لا يذهب الناس إلى الحرب ليموتوا، إنهم يذهبون ليقهروا الخصم، وإذا كانوا يعرضون أنفسهم للموت، فذلك شريطة أن تكون التضحية بحياتهم بجدية). ولقد أكد أردان دوبيك، هذا الكلام فيما يلي: (لا يذهب الرجل إلى القتال من أجل المعركة، بل من أجل النصر. فهو يفعل كلما يتعلق به ليلغي المعركة وليؤمن الإنتصار). وقد أشار المارشال دوساكس إلى الدور الأساسي للأمل عندما قال: (إن الأمل يجعل الرجال يشعرون بكل شيءأ فإذا إنتزعتم منهم هذا الأمل، أو جعلتوه بعيد المنال، فإنكم تنتزعون منهم نفوسهم). كما قال نابليون حول هذا المجال: (إن الشجاعة كالحب، تريد الأمل غذاء). وفي الحقيقة أن جميع رجال الحروب يجمعون على التفكير بأن الأمل يخلق العمل، وأن من غير الممكن السيطرة على نفس المقاتل وتوجيهه إلى إرادة الإنتصار بدون أمل. وينبغي المحافظة على تطور هذا الأمل، وأن تبقيه مشتعلاً في قلوب وخاصة أولئك الذين حالتهم النفسية غير مستقرة بشكل خاص، بسبب ظروف العيش في الميدان، علماً أن هذه الحالة ستكون أكثر إضطراباً عند لحظات فتح أزمة القتال. ولا شك أن هناك الكثير من الناس القادرين على التحضية بأنفسهم بالرغم من فقدانهم الأمل، لأنهم أبطال والبطولة هي إستمراراً للشجاعة بالرغم من جميع الظروف الغير ملائمة، إنها قيمة عالية صعبة، ليس بإستطاعة أحد تسلقها إلاَّ القلة أو النوادر، ونحن هنا لا نبحث الحالات النموذجية، ولكننا نبحث حالة الرجال المساكين الذين ترتجف أجسامهم، ومع ذلك ينبغي أن نجعل منهم مقاتلين حقيقيين ومن يصر على الإنتصار إن أمكن.

٢. محنة القتال:

عندما يشعر الفرد بقرب الإشتباك بالقتال، يركز جميع جوارحه وأحاسيسه وتصبح طاقته النفسية في حالة الإنفجار، وعلامات ذلك بالضيق بإعتباره إنطباع عضوي، وبالقلق بإعتباره انطباع نفسي، لذلك يصمت جميع الأفراد ومنهم يتذكر ماضيه، وعند ذلك تصبح حركاتهم آلية ومتقطعة. ومن المحتمل أن يتطور التوتر حتى يصبح شيئاً صعب الإحتمال، لدرجة تكون فيها الوحدة تتمنى القتال المباشر، وهناك خطر إفلات الوحدة من قادتها، لأن الإنتظار أكثر أكثر إرهاقاً من الإنقضاض نفسه. وخلال الإشتباك مع العدو تظهر جميع الطاقات النفسية المتمركزة داخل الفرد. لا شك أنه يظهر في البداية خائفاً، ولكن مطيع، وعيناه متجهة إلى قائده، ويشعر بتزايد الثقة لديه عندما يتغلب على الأخطار الأولية أو ينجح في تجنبها. ويحس بالإرتياح. أما الجندي خلال الإشتباك يبدأ عنده الخوف ثم يتحول إلى الخمول حتى عندما يتعاظم الخطر ويصل إلى ذروة المأساة. والواقع أن الخطر البعيد أكثر إرهاباً، وحينما يسيطر على الخوف من الخطر الغير ظاهر، تأخذ عنده المشاعر والأحاسيس قيمة كبيرة، لأن الشعور البسيط بالحياة، والإحساس بالتنفس يصبح له لذة قيمة. ويظهر عند ذلك على الأقل الأفراد المتطورين وضوح فكري إستثنائي، وحسن واضح بإزدواج الأنا. ويرى حين ذلك الإنسان نفسه يعمل من خلال نشوة المعركة، ولا شك أن هذا الإحساس يعتبر من أفضل وأقوى الشعور الذي تستطيع الحرب منحه. وفي الواقع أن الطاقة المعنوية تنتج من أصل عصبي، وليست قدرة ثابتة ومستمرة ومكتسبة بشكل نهائي. وهذه القدرة عبارة عن كمية يخف وزنها وتتلاشى بإستمرار الإنفعالات، وتتميز الأحوال حينما يظهر على المقاتل دلائل التعب العصبي، وازمات الغضب، أو تكون فترات من الضعف والإنحطاط، إلى جانب بعض النعاس الغير واضح، والذي يشبه من يسير في الظلام. ومن المعروف خلال التجارب القتالية خلال التاريخ أن الأفراد الذين إنهارت أعصابهم، وخسروا معنوياتهم وأصبحوا لا

يستطيعون القيام بالحركات القوية أو المبادرات الجريئة، هم أفراد عبارة من المتوقع منهم القيام بتصرفات التوتر والعمليات القاسية، أو التصرف على عكس. بشكل يدل على الهلع أو البلادة. ويسيطر على المقاتل بعد القصف العنيف المستمر نعاس لا يمكن مقاومته. وهذا معروف حق المعرفة. وغالباً تمر اثناء القتال أوقات توقف وهدوء بعض الشيءأ ولكنها ليست أقل الأوقات حساسية بالنسبة للقوى المعنوية وتؤكد جميع الحروب أن أقسى شجاعة هي تلك التي تشمل السكون تحت النار، أو خلال تهديد الخطر، لأنه في هذه الحالة سيضاف عاملان آخران، هما: المجهول والبطالة عن العمل. والشي الذي يجب أن لا يغيب عن البال أن المقاتل يدخل بعد القتال مرحلة من الإنهيار، نتيجة لإنتهاكه نتيجة التعب والمشاق، وإنهاك إعصابه بسلسلة من الصدمات العاطفية التي تعرض لها. فيصبح نومه غير منتظم، إلى جانب تعرض مزاجه لكثير من التعديلات المهمة: قابلية الغضب ـ فقدان الثقة ـ مضاعفات الإحساسات. وخاصة السلبيات التي تتمركز في داخله. إن التخدير الذي يستفيد منه الجرحى المتعبون، واللامبالاة اللامعقولة والقدرية الحيوانية للوحدات المتعبة، جميع ذلك تعبيرات مؤثرة ومعروفة جداً. في الوقاع الذي لا شك فيه أن التعب العصبي هو الأكثر ضرراً في مثل هذه الحالات، ومن الأمثلة على ذلك السأم. وغالباً ما يظهر مثل هذه الأوضاع في الوحدات أو التشكيلات التي تعسكر لفترات طويلة في أوضاع هادئة بعض الشي، ومرور الوقت تتعرض لإرهاق عاطفي، نتيجة لسلسلة من الصدمات العصبية الصغيرة، المتجددة بإستمرار. ففي مثل حالة هذه الوحدات تكون منهكة ومتعبة كالذي قامت بالإنقضاض والقتال، ورغم أنها لم تذل جهوداً ذات قيمْة ولكنها جهود متواضعة ويبقى المظهر الخارجي ممتاز. ولكن طاقتها المعنوية فنية وتبددت، ولكن لها القدرة لحسن الحظ، أن تنهض مرة ثانية وتستعيد ذاتها بوقت أقل من المتوقع. ولكن لا بد من التدريب القاسي لإعادة طاقتها المعنوية والبدنية.

وكقاعدة عامة بعد الإنهيار يبدى السعي لإستعادة الزمام مرة أخرى، وتستطيع القيادة الواعية والماهرة. تسريع إعادة الزمام إلى أمورها الطبيعية، عن طريق الإسراع بالتغذية الصحية السليمة، إلى جانب توفير الراحة الجسمية والعاطفية بشكل خاص، والعمل الإداري الجاد فيما يتعلق بالإجازات والإستراحات والتي بدورها تبعد الأفكار عن هاجس الخطر. كما أن إعادة الزمام تجد لها حليفاً طبيعياً في الوقت الذي يعمل على نسيان الإنطباعات المتعبة تلقائياً، كما أن مدة القتال يساعد ولو بشكل ضئيل هذه العملية. والحقيقة أن الوقت يبدو خلال المعركة وكأنه يمر بسرعة أكبر، وتزداد هذه السرعة كلما زادت شدة القتال، والمشكلة أنه يمتد لوقت أطول في الذاكرة، ويزيد كلما زادت الذكريات وتداخلت. وتبدو الإنطباعات المؤلمة متباعدة عن بعضها نتيجة لذلك لا تعطي إطلاقاً الشعور المتعب للصدامات المتضاعفة والمستمرة وفي الواقع أن مراحل القتال والمشاكل في الحروب الحديثة أكثر عدداً وأشد قساوة وطويلة بالمقارنة مع مثيلتها في الحروب الماضية. كما أن التحسن الذي حصل على الأسلحة حتى وصلت مرتبة الكمال، الذي يسمح بتحقيق النتائج المادية الهائلة خلال وقت قصير زاد وضاعف أيضاً عدد وقساوة الصدمات العاطفية التي تسبب المآسي الهائلة للمقاتل. ولقد صاغ أردان دوبيك في وقته قانون مشهور: (إن العمل المعني للتدمير ينمو تبعاً للقوة وسرعتها). والحقيقة أن معركة اليوم بتشكيلاتها المنتشرة تمنح الفرد فرصة كبيرة للإختفاء عن انظار قائده ورفاقه. ولقد قال بايار فيما مضى: (إن الليل لا يخجل)، إشارة لمن يستغل العمليات الليلية للإختفاء. والشجاعة في الواقع إحساس إجتماعي بحيث أن الجندي يحتاج لمن يشهد على أفعاله. وبعض الأسلحة الحديثة تؤثر معنوياً بشكل كبير، وهذا الأثر المعني لا يناسب مع الآثار المادية، فهناك الدبابات التي لها أثراً معنوياً هائل، لعدم حساسيتها للإصابات ظاهرياً، إضافة إلى القنابل ذات العيار الكبير لها نفس الدور وذلك لإنفجارها العنيف سواء كانت جوية أو مدفعية أو صواريخ أو راجمات

الصواريخ.. إلخ. فإذا تخيلنا الزلزال النهائي لهذه الأسلحة والتأثير العصبي الذي تسببه. ومن المحتمل أن السبب الرئيسي الذي رفع من القوى المعنوية ودورها هو أن المعركة الحديثة بأسلحتها الميكانيكية المتطورة بعيدة المدى، تظهر وكأنها قتال ضد القدرية، بعد أن كانت صراعاً متقارباً ضد المقاتلين. وفي الحقيقة أن القوة والمعرفة ومهارة القتال المعاصر، هي حصيلة القوة الجماعية. بالرغم أنها لا توفر الحماية للفرد شخصياً، وإذا توفرت تلك الحماية فإنها تكون بشكل ضعيف وغير مباشر. لذلك نرى تناقص إستفادته من ثقته وبقيمته الخاصة إضافة إلى تناقص نشوته في المعركة. وهما عنصران لهما غاية الأهمية لدعم الرجل البدائي والدرس المهم جداً والذي يجب أن يجعله القائد في مخيلته ويحفظه دائماً وقد يكن درساً يدعو إلى اليأس، إذا كانت القوة المعنوية لجيش من الجيوش ليست إلا جمعاً للقوى المعنوية الفريدة، وهو في الواقع جمع غير ثابت في حاصله. ولكن ليس الأمر كذلك لحسن الحظ، لأن جميع الأفراد يعملون بتماس مع زملائهم، ويؤثر بعضهم ببعض لخق روح جديدة تتكون من تركيبة جماعية وتلك الروح هي التي تواجه وابل النيران خلال المعركة.

❁❁❁

الفصل السادس

أخلاقيات الحرب

لقد قال المارشال هلموث فون مولتكه الكبير:
(السلام الأبدي حلم، إلا إنه ليس حلما جميلا،
لأن الحرب حلقة في النظام العالمي الذي أراده الله)

الخاتمة

أخلاقيات الحرب:

لا يختلف إثنين أن الحرب أم المآسي الإنسانية وأكبرها بالرغم أنها ظاهرة إنسانية لا بد منها لإستقرار الشعوب رغم قساوتها وشناعتها، لأنها أداة تدمير للحياة والمنشآت وتقضي على الممتلكات، وتنشر الآلام والأتعاب والإجهاد وبالتالي الموت. ومن الأزمات العابرة والناس يكرهون الحزب والعقلاء يخافونها والأمهات تكرهها. فالحقيقة التي لا تقبل الشك أن الحرب تعتبر من الشرور الكبيرة في هذه الحياة ولو كانت حرباً منتصرة وناجحة، لأنها تجرح الشعوب بشكل قاسي جداً لا يمكن إحتماله إلا عصباً. فلا المساحات والأماكن المحتلة، ولا الغنائم الهائلة بإمكانها تعويض الأرواح التي أزهقت أو تجفيف دموع العائلات الحزينة أو الأرامل أو الأيتام الذين فقدوا أعز ما يملكون. فالحرب ألم قاسي. ولكن هذا الألم قد يكون نافعاً من الجانب الروحي، وهذا الألم ليس نافعاً بدون شروط، إن الألم وسيلة، وليس هو الذي يخلق الخلاص والإنقاذ، ولكن الوسيلة التي نستقبله فيها ونتحمله هي تضع الخلاص. وأصحاب النفوس القوية هم الذين يستفيدون من الألم. ولكن هذه النفوس لها قيمة عالية وغالية لنا قبل أي شيء آخر، لأنها ملح الأرض والخميرة في العجينة. وحيث أن الحرب تعتبر بشكل عام عند جميع البشر بإستثناء المرتزقة أنها شر من الشرور، ولكنها في الحقيقة ليست أكبر الشرور، فإنها كما قال فوفينا رع: (أقل صعوبة وتكلفة من العبودية). وعلى البشر أن يشعروا بذلك بشكل عميق لنسيان آلامهم ومآسيهم. فإذا إعتبرنا أن الحرب لم تكن على المستوى المادي، إلاّ أداة عمياء للقتل، وحيث إنها ألماً يجعلها تستطيع على المستوى الروحي أن تصير أداة للصفاء والتحسين. ولا شك أن الحرب مشكلة، لذلك فهي كأي مشكلة أو محنة أو حشدة أخرى، لها القدرة على تجييش ما بداخل الإنسان من شر وفي نفس الوقت تتمتع بقدرة كبيرة على تحريك جميع الفضائل التي في الإنسان، إضافة إلى الصفات الحميدة. فويو

يرى بأن الحرب تقتل من البشر أقل مما يقتل السلم. والمطلوب من البشرية عندما تنوي العمل العسكري الممثل بالقتال أن تنكفي على نفسها وأن توحد قواعها، على أن يجعل نفسها على إستعداد تام لجميع الجهود والإنقياد للخضوع، وأن تبعد الأشياء الثانوية عن تفكيرها لكي تجمعها بقارب واجبها المرعب المتمثل في تقبل التضحية الرهيبة وإحتقار الموت.

ويجب أن نعرف بشكل جيد الحقيقة المتمثلة بأن أعمال السلم، مهما بلغت قيمتها التقديرية ومهما كان تصنيفها وعظمتها، لا تتعدى أن تكون مدفوعة بدافع المصالح الشخصية التي لا يمثل الموت قيمتها. ولا شك أن الإخلاص والتجرد قد يظهرا خلال هذه الأعمال بشكل فردي، وفي الواقع أنهما لا يمثلان القاعدة إطلاقاً. ورغم جهود التجارة والصناعة وتوزيعهما الثروات الكثيرة إلا أنهما ينميان حب التملك، والتناقس الغير شريف، وتخلقان قساوة القلوب، والتخصص الذي يجعل ذكاء الأفراد جافاً وقاحلاً وموجه نحو الربح فقط. رغم الأضرار التي تشمل المجتمع بشكل عام. إضافة إلى ذلك الميل إلى الرفاه الشخصي، وهي في حقيقتها أساس التقدم، وتساهم في تثبيت المجتمعات إلا أنها لا تخلوا من الأنانية، أي الشعور المضاد للمجتمع. وعندما تختلط القاعدة المعنوية مع ميزان للحسابات، فليس من الممكن سوى أن ننسى لوقت معين، أن النفس البشرية تحتوي على حركات غريزية وكريمة، وميولاً عاطفية، وإنفعالات مباغتة، وإندفاعات مباغتة، وإندفاعات مفاجأة نحو المثل الأعلى. والجندي لا يعمل بدافع المصالح الشخصية إطلاقاً. إنه يخضع لقاعدة عليا نبيلة وثابتة، لم يكن له دور بوضعها، وليس لديه القدرة على تركها أو تبديلها، فهي التي تسانده وترفع من شأنه وتعمل على خلق وتطوير الفضائل النادرة أو القليلة من الطبقات الإجتماعية العاملة من الأمة. وتتمثل أغلب هذه الفضائل في الطاعة والشجاعة والإخلاص للمهمة أو الواجب لغاية الموت، وهذه الصفات الفضيلة يصعب أن تظهر خلال الحياة العادية، قد تنام وتضعب وتنهي إلى الذبول غالباً. ولكن هذه

الفضائل تجد أعلى تعبير عنها في الحياة العسكرية. إلى جانب ذلك غالباً ما تتجه حياة الجندي إلى المحافظة على المفاهيم المتعلقة بالمسؤولية والإنضباط والسلطة والتسلسل والنظام، وبمعنى آخر تتجه حياته إلى إحترام الشخصية الإنسانية والتفاني بخدمتها مقابل عبادة الذهب والجاه في الحياة المدنية. فالقوات المسلحة تمثل بالنسبة إلى الشعب بأجمعه نموذج ومربي، ويساهم في نشر الشعور بالنظام وبأكثر عناصره فعالية. إنه النموذج الدائم للأخلاص للمجموعة الوطنية، وسط مواطنين يشغلهم الإهتمام اليومي بمصالحهم الشخصية. والجندي الحقيقي أو المثالي لا يخضع للإنضباط نتيجة لإلزام خارج عن إرادته، ولكنه يقبله بكامل رضاه، وعملي الأولي ليس يمثل طاعته أو إعطائه الأوامر، ولكنه كامن في السيطرة على نفسه، وتتركز عزته الخاصة في تصيد الفرص الجيدة للتخفيف من صرامة الغرائز العنيفة التي تحررها الحرب من مرابطها، والسيطرة عليها داخل ذاته، وتحرير الإنسان من الغرائز البدائية وتسجيل النصر عليها. والحقيقة أن الجندي يستطيع أن يسرق كل شيء ويضمه لنفسه، ولكنه رغم ذلك لا يمس شيئاً، ولديه القدرة الكافية أن يكون عنيفاً، ويعامل الضعفاء معاملة سيئة، إلاَّ أنه يحمي الأطفال والنساء والضعفاء بصفة عامة. إن العمل الشريف للمحارب هي أن يكون مظهِّر القوة. وأثناء تعريض نفسه للخطر، لا يحمل الجندي الحقد ولا يسمح له بأن يطفيء الأحاسيس المضيئة الذي يأخذ منها فضيلته. وهو لا يرى في عدوه سوى خصماً ينافسه في كسب الفضائل.

إن الرجل عندما يبقى في جو الأخطار، إنه لا يعتاد عليها فقط، بل يكسب الشحاعة الحقيقية بصوزة عادية وطبيعية. وعندما يحاول كسب الهدوء وتصنعه والتعود عليه يتوصلْ بالتالي إلى إكتسابه. فالمواقف تعد الرجال على خلق الشعور، وكما ذكرنا سابقاً تبقى الشجاعة يومية، ولا شك أن الله تعالى هو الذي يمنح هذه الشجاعة. والأبطال يبقون بشراً، فإنسانيتهم هي التي تخلق عظمتهم، وإستمرار شجاعتهم هو نتيجة إنتصاراتهم المتكررة، والتوصل إلى التحرك بهذه الحالة

بسهولة تحت تهديد الموت المستمر، يفسر لنا اننا تعلمنا كيف نسيطر على أنفسنا ونتحكم بها. وبذلك نكون قد حصلنا على السيادة على الذات وهذا من أهم الأشياء اللازمة للقتال كما يعني الصعود درجة أو عدة درجات في السلم الروحي للإنسانية. وفي الواقع أن عدوى السيكولوجية الجماعية، سواء كانت مستقرة أو موجهة ضمن حدود الوحدة، عن طريق سلطة القائد، لها دور حيوي للرفع بمستوى القلوب. وفي عصرنا الحاضر ورغم الضجيج الزائد فيما يتعلق بالمسائل الإجتماعية، فهناك علاقة قوية تربط بين الجنود والقادة، أكثر أهمية من علاقات العمال بأصحاب العمل، لأنها محكومة بالثقة المتبادلة القائمة فيما بينهم، والإنسانية الحقيقية، والإخلاص المتبادل الذي يربط علاقاتهم. فالقوات المسلحة قاسية كالقوة، وهو في الواقع يماثل القرية في الإخوة والإحترام المتبادل الأكثر من المدينة والمصنع أو المكتب، ومنذ عهد بعيد كذب الفرد دوفينين المقولة الباطلة القائلة بأن الجندي إنسان قاسي القلب، حيث قال: (إن قسوة رجل الحرب قناع حديدي على وجه نبيل جميل، إنه سجن من الحجر يحتوي على أسير ملكي، إن الطبع العسكري بسيط وحسن وصبور عموماً. ونجد في هذا الطبع شيئاً من الطفولة). وقد فسر نابليون ذلك حسب أساليبه اللاذعة عندما قال: (إن الإعتياد على أعنف الأحداث ينهك القلب أقل مما تنهك التجريدات. والعسكريون أفضل من المحامين). وفي الحقيقة أن الذين يملكون القلوب الكريمة، والمتمتعين بالعواطف الوجدانية الكبيرة، وكذلك العشاق الحقيقيين الكبار، غالباً ما يكون أولئك جنود ممتازين. ومن غير المقبول أن نصف الحرب بالجميلة لأنها عكس ذلك، ولكن روح أولئك المقاتلين بشجاعة أجمل حقاً من روح البشر الآخرين. ولا شك أن الحرب تسمو بالإنسان فوق ذاته، فالحرب لا تصلب القلوب ولا تجعلها خشنة قاسية رغم قساوتها، فإنها تنظف القلوب وتطهرها. والحرب تشد القدرات وتقويها، كما تسمو فيها الفضائل وتنتقى، ويسمو الإنسان إلى حد يمتد ويتسع حتى يشمل المجال الفكري. ولقد قال

غوفيون سان سير: (التفكير القوي الواضح في داخل المكتب شيء جميل حقاً، إلاّ أن التفكير بمثل هذه القوة والوضوح وسط القذائف، هو الممارسة المثالية للقدرات الإنسانية).

وخطر الموت يشكل للجندي، جزءاً لا يتجزأ من الواجب المهني، وهذا يعطي حقيقة أن هناك مهناً تكون من خصائصها التضحية بالحياة، وبنفس الوقت يرى الإنسان التضحية مفروضة عليه أحياناً بإلتزام معنوي بعيداً عن المهنة، ولكن مهنة السلاح هي المهنة الوحيدة التي يكون خطر الموت شعارها، وفيها التعبير الرئيسي للواجب المسلكي المهني، ومشكلة وجوده. ويهدف فن الحرب قتل الخصم خلال الصراع، بمعنى أن هذا الفن من أساسياته يستوجب على كل خصم من المتخاصمين إمكانية القضاء على الآخر. وهذه الخاصية طافية لتهب حياة الجندي وقاراً وعظمة لا يمكن أن يقارنان بشيء آخر. ويزيد على ذلك فالجندي يهب حياته الخاصة من أجل قضية تتجاوزه أثناء القتال الجماعي، لأنه لا يملكها بحرية، ويحاسب عليها أمام الأمة وبنفس الوقت هو مسؤول عن فعالية تضحيته. ولا تقتصر هذه المسؤولية على ذلك فقط، ولكن تمتد مسؤوليته إلى حياة الآخرين أيضاً، إضافة إلى حياة رفاقه، لأن القوات عبارة عن إجتماع أعداد كبيرة من المقاتلين، الذين يخاطرون بحياتهم معاً من أجل هدف مشترك. ولا شك أن كل عمل لأية فرد من أفراد القوات يؤثر على أعمال الآخرين، وبالتالي يكون عمل الفرد أما يؤمن وجودهم أو يعرضهم للخطر. إن هناك علاقة قوية تربط جميع الرجال برباط قوي جداً لأنه يلتزم كل فرد منهم بالعمل لصالح الجميع، كما أن لكل واحد منهم جزءاً من المسؤولية المشتركة للجميع عما يحدث في من الأحداث، بمعنى أن لكل فرد منهم جزءاً من المسؤولية في حياة الآخرين.

إن تعبير دراغوميرون القائل: (دمت ولكن أنقذ أخاك)، هو تعبير بدائي بدون شك، ولكنه تعبير كامل الصفاء، ويشكل سمو الأخلاق لساحات المعارك، هذه المساحات التي لا يحق لأحد أن ينكر قدرتها على أن تكون أداة قوية للسمو

والكمال. والحقيقة أنه ليس في الوجود إخلاصاً أعظم من تضحية الفرد بحياته من أجل زملائه، وهذا يقدم الدليل الواضح على الإحسان الكبير داخل قلب رجل الحرب. لقد ظهر بعض الإيديولوجيات التي إتخذت مواقف منافية للفصائل الناتجة عن الحرب، وهي ترى بدون شك أنها تساهم عن طريق تبني تلك المواقف أنها تساهم في خلق مملكة السلام، ولكن جميع حججها لا تستند إلى واقع حقيقي وضعيف. فهذه الإيديولوجيات اتخذت قراراتها على أساس خاطئ وعن جهل وجعلت من الحرب عملاً شنيعاً، وهذا لا يحمل إلاَّ تفسيراً واحداً فقط وهو التشنيع بالقوة والسقوط في الإختلال الفكري الكبير. يتضمن نقل بعض المفاهيم إلى المستوى الأخلاقي بينما مكانها في مستوى آخر.

فالقوة بحد ذاتها لا يمكن تعريفها بأنها أخلاقية أو عكس ذلك. وبنفس الوقت لا يمكن وصفها بأنها مشرفة أو تستدعي الإحتقار، فالقوة بحد ذاتها لا تمثل هدفاً من الأهداف، ولكنها وسيلة كالوسائل الأخرى. ولا تعني أية قيمة روحية إلاَّ من خلال الغرض المحدد لهذه القوة أو الهدف منها. وبالتالي القوة وسيلة وليست غاية. وغالباً ما يطلب منا وتحتم الضرورة أن نتمتع بالقوة الكافية لحماية أنفسنا أولاً، ولكي يتاح لنا أن نكون مسالمين، وبمعنى آخر لكي نكون عادلين. وليس من المقبول والسهل أن نصف الحرب بالأوصاف الشنيعة، لأن واجب بذلك الحياة في الحرب يعوض بواجب قبولها، وبما أن التضحية بالحرب تظهر العنف. وهناك البعض الذين أتخذوا موقفاً مضاداً من القوات المسلحة والأسلحة، معتبرين مجرد القوات كافي للدعوة إلى الحرب. ولا شك أن هذا منطق غريب وغير مقبول. لأنه يضع النتيجة موضع السبب. لقد كان البدائيون يتقاتلون غالباً بوحشية الوحوش عن طريق العصي والأحجار. ولقد وصل الأمر بمعادين الحرب إلى حد إتهام الجنود بإثارة الحرب، التي يشكل هؤلاء الجنود أول وقودها وضحاياها، لأنها فرصتهم النادرة والوحيدة التي تعطيهم الفرصة للقيام بشكل كامل بما قدر عليهم. والحقيقة التي لا تقبل الشك أو الإنكار هي: إذا أردت

السلم، فإستعد للحرب. إن هذا التعبير لا يدعو إلى الحرب أو إثارتها. ولقد قال الجنرال فون سيكت في كتابه (الجندي) (إن الذي نظر إلى الحرب مباشرة، وحدق في عينيها الداميتين، وتأمل بعين الراصد ساحات حرب عالمية، كان مضطراً إلى رؤية الآلام للشعوب وأضحى شعره رمادياً تحت رماد البيوت المحترقة، وكان يتحمل مسؤولية موت وحياة كثير من الرجال، إن الجندي المتعلم الذي عركته الحرب، يخشى الحرب أثر بكثير من الحالم الذي لا يعرفها أبداً، ولا يتوقف عن الحديث عن السلم. ولا تثار الحرب بقلب فرح، عندما الذي يثيرها فظاعتها، حتى ولو كان يعرف مع ذلك عظمتها والأفراح الهائلة القادرة على أشاعتها).
وفي الواقع أن الحرب شر في المجال المادي، فهي ألم. لكن كونها ألماً، يجعلها قادرة في المجال الفكري على لعب دور أداة اصطفاء وتحسين.

المراجع

١. الحرب الميكانيكية، تأليف الجنرال موللر، منشور الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

٢. إدارة الحرب، تأليف الجنرال موللر، منشورات دار اليقظة العربية، القاهرة.

٣. الاختيار الصعب بين الهجوم والدفاع، تاليف ليدل هارت، منشورات دار الطليعة، بيروت.

٤. الفكر والحرب، تأليف جان غيثون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٥. في الحرب، تأليف كارل فون كلاوزفتر، منشورات الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة.

٦. في فن الحرب، تأليف نقولا ماكيافيللي، طباعة طار طيبة، الجيزة والنشار/ مكتبة النشر.

٧. الحرب الحديثة، تأليف الجنرال سيتلفورد بيدول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٨. إدارة الحرب، تأليف ج. ف. س. موللر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٩. كتاب العمليات لكلية القيادة والأركان العامة الأمريكية ٥-١٠٠ FM

❀❀❀

كتب للمؤلف:

١. المعارك الإسلامية والمبادي العسكرية الحديثة.

٢. التنظيم والتخطيط.

٣. نظريات كلاوزفتر، ونظرية المباريات.

٤. إتخاذ القرارات العسكرية، وقرار المواجهة في غزوة بدر.

٥. التدريب العسكري.

٦. إدارة عمليات القتال، وعلاقة القائد بالمرؤوسين

٧. مبادئ الحرب.

الآثار البيولوجية الحيوية للإشعاع.

❁❁❁

الفهرس

❋❋❋

ردمک: ۹۷۸-٦۰۳-۰۱-٤۰۳٤-۳